الجزء الثاني من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل * وعيون الأقاويل * في وجوه التأويل * للامام جار الله تاج الاسلام * فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري نور الله حفرته * ورفع في الجنة درجته
آمين

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

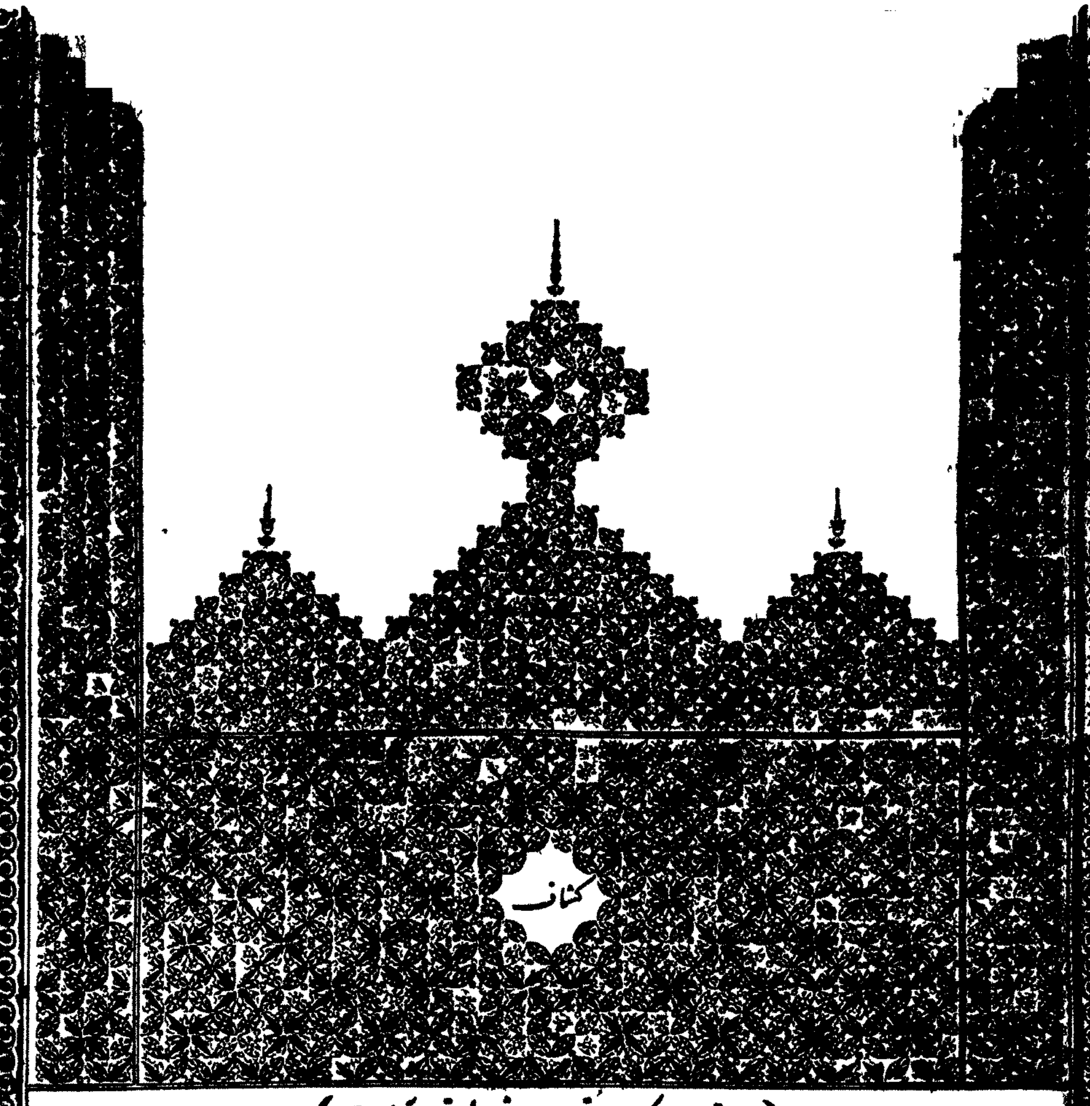
الجزء الثاني من الكشاف تفسير عربي

مولفه محمود بن عمر الزمخشري

سنه ٤٦٧ ولادت

٥٣٨ وفات

فهرسة الجزء الثاني من الكشاف



(سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان أو تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
كهيعص ذكر رحمت ربك عبده
زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
قال رب انى وهن العظم منى
واشتعل الرأس شيبا ولم أكن
بدعائك رب شقيا

(كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر * راعى سنة الله فى اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء أولى لانه أبعد من الرياء وأدخل فى الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو اخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف فى سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون * قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * ادغام السين فى الشين عن أبى عمرو شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة * توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال

من خلفه وفيل بنا الينا وقضى حاجته * كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه (من ورائى) بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم خفت الموالى من وراى وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى أى قلوا وعجزوا عن اقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة (يرثنى ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردأ يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدرى أو يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب ابن ماتان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الاسامى السنع جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم

سنع الاسامى مسبلى أزر * حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثيل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى فى أسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضا وهو يموت ابن المزرع قالوا لم يكن له مثل فى أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا * أى كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعا أرزقه (فان قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا أولا وآخرا كان على منهاج واحد فى أن الله غنى عن الاسباب * أى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن فى السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبى ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على ووجه آخر وهو أن يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القراءتين أى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيأ) لان المعدوم ليس بشئ أو شيأ يعتد به كقولهم عجبت من لا شئ وقوله اذا رأى غير شئ ظنه رجلا وقرأ الاعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك * أى اجعل لى علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم * دل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن * أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض

وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم

(سجدا) صلوا أو قيل اتسلموا وأدخلوا متواضعين أي خد التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله أحكم عقله في صباه وأوحى اليه (حنانا) رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه

وقالت حنان ما أتى بك ههنا * أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة * والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم * سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (اذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه * والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبيناهي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ أو حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه * ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان أو لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا * أرادت ان كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * أي انما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله تعالى * جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب * والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله) تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جري حكمك عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين * عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره (فانتبذت به) أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوس الجماجم ونحن

أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به

[illegible]

[illegible] الحمل وقيل أشهر [illegible] وقيل كانت مدته [illegible]

[illegible] نبذته [illegible] من الطريق [illegible] بأن حملها [illegible]

[illegible] (فأجاءها) أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك

لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء لم تقل

أتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو

تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها

رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة

كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم

منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله

تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء

صبرا على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها قرئ

(مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث

ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب إذا ارتحلوا

عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه

له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من

فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا

بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه

مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب

التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها

وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر

ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء

ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الإتباع كالمغيرة والمنخر (من تحتها) هو جبريل

عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من

مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها لا تحزني وقرأ نافع وحمزة

والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر

وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا (فإن قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام

والشراب حتى تسلى بالسري والرطب (قلت) لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب ولكن

من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل

وأن لها أمورا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس

ببدع من شأنها (تساقط) فيه تسع قراءات تساقط بإدغام التاء وتتساقط بإظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية

ويساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز

أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد

كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي

قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من

الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب وعن طلحة بن سليمان

(جنيا) بكسر الجيم للإتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية

فاجاءها المخاض
الى جذع النخلة قالت ياليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
فناداها من تحتها الا تحزني
قد جعل ربك تحتك سريا وهزي
اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فكلي واشربي

سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلى واشربى وقرى عينا أى وطيبى نفسا ولا تغتمى وارفضى عنك ما أحزنك وأهمك * وقرئ (وقرى) بالكسر لغة نجد (فاماترئن) بالهمز ابن الرومى عن أبى عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين فى الابدال (صوما) صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ فى أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق (انسيا) أى أكلم الملائكة دون الانس * الفرى البديع وهو من فرى الجلد (يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بنى اسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبى وكانت من أعقابه فى طبقة الاخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدى كانت من أولاده وانما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به أى كنت عندنا مثله فى الصلاح أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا * وقرأ عمر بن لجاء التيمى (ما كان أباك امرؤ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت اليه) أى هو الذى يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا فى المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا * أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردا لقول النصارى (والكتاب) هو الانجيل * واختلفوا فى نبوته فقيل أعطيها فى طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا فى ظاهر الآية وقيل معناه أن ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لا محالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير * قرئ (وبرا) عن أبى نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل فى معنى أوصانى وهو كلفنى لان أوصانى بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام على) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمى مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعنى أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض * قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدا محذوف وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء والشحم بالندا ويحتمل اذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون أى أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون والمرية

الشك

وقرى عينا فاماترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون

الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن أبي
طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون * كذب
النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ من
المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بأن من اذا أراد شيأ من
الاجناس كلها أوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد * والقول ههنا مجاز ومعناه أن ارادته للشئ
يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل * قرأ المدنيون
وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا والاستار
وأبو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي ان الله بالكسر بغير واو وبأن الله أي بسبب ذلك فاعبدوه
(الاحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من
مشهد يوم عظيم) أي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف
أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم
وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه *
لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد أن اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا
صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم * أوقع الظاهر
أعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم
ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أي عن قضاء الامر فقال حين يذبح الكبش
والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم في غفلة) متعلق بقوله في ضلال مبين
عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل أنه
يميتهم ويخرب ديارهم وأنه يفني أجسادهم ويفني الارض ويذهب بها * الصديق من أبنية المبالغة ونظيره
الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة
في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء
بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق لان ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته
حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم و(اذ قال) نحو قولك
رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين
والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس
ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله * التاء في (يا أبت)
عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الالف بدلا
من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة * انظر حين أراد أن ينصح أباه
ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن
قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق
مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة
ربه عز وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك
خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت
عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على
تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم
وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة

ما كان لله أن يتخذ من ولد
سبحانه اذا قضى أمرا فانما
يقول له كن فيكون وان الله
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف الاحزاب من
بينهم فويل للذين كفروا من
مشهد يوم عظيم أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين
وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي
الامر وهم في غفلة وهم
لا يؤمنون انا نحن نرث الارض
ومن عليها والينا يرجعون
واذكر في الكتاب ابراهيم انه
كان صديقا نبيا اذ قال لابيه
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وذلك أنّ العبادة هى غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب الذى منه أصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوّا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوّا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغنى عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى طائفة من العلم وشيأ منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوىّ فلا تستنكف وهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأنّ الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوّك الذى لا يريد بك الا كل هلاك وخزى ونكال وعدوّ أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذى ورّطك فى هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت ان حققت النظر عابد الشيطان الا انّ ابراهيم عليه السلام لامعانه فى الاخلاص ولارتقاء همته فى الربانية لم يذكر من جنايتى الشيطان الا التى تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر فى عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجرّه ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرّح بأن العقاب لاحق له وأنّ العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أنّ رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التى هى معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدّر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا (ما) فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول فى لا يسمع ولا يبصر منسى غير منوى كقولك ليس به استماع ولا ابصار (شيأ) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فى موضع المصدر أى شيأ من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثانى أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عنى وجهك (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) فيه تجدد العلم عنده لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بنىّ وقدم الخبر على المبتدا فى قوله (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وأنّ آلهته ما ينبغى أن يرغب عنها أحد وفى هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلسانى يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمى باللعن أو لأقتلنك من رجم الزانى أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمى بالرجام (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملىّ بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به (فان قلت) علام عطف واهجرنى (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لان لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهى الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابى انه كان من الضالين لانه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل أن يقول انّ الذى منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز

ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى

أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذى يدل على صحته قوله
تعالى الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت
فيه الاسوة وأما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر أى ما قال واغفر لابى الا عن قوله لاستغفرن
لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفى البليغ فى البر والالطاف حفى به وتحفى به
(وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة الى الشأم * المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسايطها ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن
يراد الدعاء الذى حكاه الله فى سورة الشعراء * عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم فى قوله (عسى أن لا أكون
بدعاء ربى شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس * ما خسر على الله أحد ترك الكفار
الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هى النبوة عن الحسن وعن الكلبى المال
والولد وتكون عامة فى كل خير دينى ودنيوى أوتوه * لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد
باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية قال انى أتتنى لسان لا أسر بها يريد الرسالة ولسان العرب
لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل
الاديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه * المخلص بالكسر الذى أخلص
العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذى أخلصه الله * الرسول الذى معه
كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع * الايمن من اليمين أى
من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب * شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير
واسطة ملك وعن أبى العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل
رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما فى قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه
بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على
معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضى الله عنه * ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان
ذلك موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضى الله عنه أنه وعد صاحباله أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة
وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * كان يبدأ بأهله
فى الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الاقربين
وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى أولى
وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لان أمم النبيين فى عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو
نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى شئ من ذلك * قيل
سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من
الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس
أعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم
يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس فى تلك اللغة قريبا
من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس * المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه
ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا
يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه أنه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الله
عنهما الى السماء السادسة وعن الحسن رضى الله عنه الى الجنة لا شئ أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدى
أنه لما أنشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى آخره

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة (أولئك) اشارة الى المذكورين

انه كان بى حفيا وأعتزلكم
وما تدعون من دون الله وأدعو
ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى
شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله وهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا
لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان
صدق عليا واذكر فى الكتاب
موسى انه كان مخلصا وكان
رسولا نبيا وناديناه من جانب
الطور الايمن وقربناه نجيا
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون
نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا وكان يأمر أهله
بالصلوة والزكوة وكان عند ربه
مرضيا واذكر فى الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين
أنعم الله عليهم

في السورة من لدن زكريا الى ادريس عليه السلام * ومن في (من النبيين) للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر
سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية
للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبي نوح وابراهيم عليه السلام من ذرية من حمل
مع نوح لانه من ذرية سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية
اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية * ان
جعلت الذين خبرا لاولئك كان (اذا تتلى) كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد
المكي يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل * البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع
ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري
رضي الله عنه قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي هذه القراءة يا صالح فأين البكا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم
فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين
بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من
الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك
الباكين عند تلاوة آياتك * خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون
كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة
المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد رضي الله عنهما أضاعوها
بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات
من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود
والحسن والضحاك رضي الله عنهم الصلوات بالجمع * كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وعن الزجاج جزاء غي كقوله تعالى يلق أثاما أي مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم
تستعيذ منه أوديتها وقرأ الاخفش يلقون * قرئ يدخلون ويدخلون * أي لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم
ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك أن تفعل
كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أي شيأ من الظلم * لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها
كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر
وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لارض الجنة
لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها
بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء * أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو وهم
غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والايمان به * قيل في (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل والوجه
أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى اليه احسانا أي كان وعده مفعولا منجزا * اللغو فضول
الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي
لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا
أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا * أي
ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لان معنى السلام هو الدعاء
بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول
الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام * من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة

المنهومين

من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا

المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين (نورث) وقرئ نورّث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورّث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورّث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا (وما نتنزل) حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودّعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله سبحانه هذه الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله فلست لإنسيّ ولكن لملأك * تنزّل من جوّ السماء يصوب لأنه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا غبّ وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا (وما خلفنا) من الجهات والأماكن (وما بين ذلك) وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه * وقيل معنى (وما كان ربك نسيا) وما كان تاركا لك كقوله تعالى ما ودّعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأن منّ الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الأعرج رضي الله عنه وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه إلا بقول ربك * يجب أن يكون الخلاف في النسيّ مثله في البغيّ (ربّ السموات والأرض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو ربّ السموات والأرض (فاعبده) كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة * (فإن قلت) هلا عدّي (اصطبر) بعلى التي هي صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك * أي لم يسمّ شيء بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة والعزى إله وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتدّ بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد

> تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

العبادة الا هو وحده لم يمكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالانسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فان قلت) لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى * (فان قلت) بم انتصب اذا وانتصابه بأخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة فى يا ألله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما فى اذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد * والمراد الخروج من الارض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا فى ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ * وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضى الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسىء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التى تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيأ دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر فى مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا فى بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله * القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما رضى الله عنهم فقد خففوا وفى حرف أبى يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه * فى اقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض فى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق والواو فى (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهى بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة (فان قلت) هذا اذا أريد بالانسان الكفرة خاصة فان أريد الاناسى على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فان قلت) هلا عزل السعداء عن الاشقياء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم فى المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التى نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم * (فان قلت) ما معنى احضارهم جثيا (قلت) أما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة فى مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثى أهلها على الركب لما فى ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا

وخلاف

ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا

وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الامر التى لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا فى الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة وهى فعلة كفرقة وفتية الطائفة التى شاعت أى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم * أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * واختلف فى اعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلته حتى لو جىء به لاعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فان قلت) بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وان منكم) التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما وان منهم أو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنه يردونها كأنها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعنه رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشىء الشىء ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين * الحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير أى كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره * قرئ (ننجى) وننجى وينجى وينجى على ما لم يسم فاعله ان أريد الجنس باسره فهو ظاهر وان أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجى (الذين اتقوا) أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدرى وابن أبى ليلى ثم ننجى بفتح الثاء أى هنالك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين (بينات) مرتلات الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان

ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما

والموضع * والندىّ المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أىّ الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من) تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم و(هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية * الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثىّ ما لبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسىّ

تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

* قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الرىّ الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزىّ وهو الجمع لان الزىّ محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء * أى مدّ له الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فى معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس فى مدة حياته * فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أى قالوا أىّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) أى لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الامر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فان قلت) حتى هذه ما هى (قلت) هى التى تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا ما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندىّ المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الانصار والاعوان (ويزيد) معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاى زندا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله

شجعاء جرتها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطىّ غراثا

وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده * لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع

وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا

الغيب) من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا
ويقولون مر مطلعا لذلك الامر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه
أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه
الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك * قرأ حمزة والكسائى
ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر * وقيل
فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل عهد
الله اليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاصى بن وائل
قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد
فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا
وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطا أى هو مخطئ فيما يصوره
لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه * (فان قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من
غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له
ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة أى تبين وعلم بالانتساب أنى لست
بابن لئيمة والثانى أن المتوعد يقول للجانى سوف أنتقم منك يعنى أنه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان
واستأخر فجردها هنا لمعنى الوعيد (ونمد له من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه
بالنوع الذى يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده
بمعنى وتدل عليه قراءة على بن أبى طالب ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ
به من التعرض لما نستوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة ونعطيه
من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول
له ولى فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله فى الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى
على ذلك فى قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا أعطيناه
ما اشتهاه أما نرثه منه فى العاقبة (ويأتينا فردا) غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا
بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته
لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم
نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة
نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك * أى ليتعززوا بآلهتهم
حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة
وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه
وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأى والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول
ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى هى للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما فى قواريرا والضمير فى سيكفرون
للآلهة أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى واذا
رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم
لكاذبون أو للمشركين أى ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان
أى يكونون عليهم ضد ما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا
والضد العون يقال من أضدادكم أى أعوانكم وكأن العون سمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه
(فان قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشئ واحد

أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا

افرط تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها * الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم * عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا و يبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد * نصب (يوم) بمضمر أي يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون * ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت * وذكر الكافرون بأنهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء * والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردي ردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون * الواو في (لا يملكون) ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وأني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا * قرئ (ادا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني الامر وآدني أثقلني وعظم علي ادا (يكاد) قراءة الكسائي ونافع بالياء * وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن * أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لانها تهد (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

غفورا والثانى أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وأن مثال ذلك الاثر فى المحسوسات أن يصيب هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * فى (أن دعوا) ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أى هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب أى لا ننتسب اليه * انبغى مطاوع بغى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (من) موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن) على أصله قبل الاضافة * الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا) الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله أولادا فى عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن أى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم * قرأ جناح بن حبيش (ودا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التى توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم * والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة فى أهل الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه * هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه (بلسانك) أى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر * واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون فى كل لديد أى فى كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله

أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا

(وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار * وقرئ (تحس) من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة (تسمع) مضارع أسمعت * والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

(سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون أمالوهما وعن الحسن رضي الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا وأن الاصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به

ان السفاهة طاها في خلائقكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون (ما أنزلنا) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا و(القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أي ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا أن الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لمن يخشى) لمن يؤل أمره الى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية * في نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف * ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه

افعاله

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا

ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى

أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه اما تنزيلا نصبه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له (فان قلت) ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه * وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها * قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لانه اما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق * (فان قلت) الجملة التى هى (على العرش استوى) ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) اذا جررت فهى خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا * لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين عن محمد ابن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة * أى يعلم ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك (وأخفى) منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود * يجوز أن ينتصب (اذ) ظرفا للحديث لانه حدث أو لمضمر أى حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا فى مكانكم * الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به * لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن أنفسهم * ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلى) ولم يقطع فيقول انى (آتيكم) لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به * القبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أى قوما يهدوننى الطريق أو ينفعوننى بهداهم فى أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان أفكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد أو لان المصطلين بها والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق

انى أنا ربك فاخلع نعليك انك
بالواد المقدس طوى وأنا
اخترتك فاستمع لما يوحى انى
أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى
وأقم الصلوة لذكرى ان الساعة
آتية أكاد أخفيها لتجزى كل
نفس بما تسعى فلا يصدنك
عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه
فتردى

* قرأ أبو عمرو وابن كثير (أنى) بالفتح أى نودى بأنى (أنا ربك) وكسر الباقون أى نودى فقيل ياموسى أولان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى انى أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل انى أنا ربك وأن ابليس وسوس اليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى وروى أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما لخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أى نودى نداءين أو قدس الوادى كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (لما يوحى) للذى يوحى أو للوحى تعلق اللام باستمع أو باخترتك (لذكرى) لتذكرنى فان ذكرى أن أعبد ويصلى لى أو لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد أو لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى أو لان الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى * أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه أن فى مصحف أبى أكاد أخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وعن أبى الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا أظهره أى قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسعيها * أى لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فان قلت) العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع فى صدك عما أنت عليه يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وان كثروا تلك

الكثرة

وما تلك بيمينك يا موسى قال هى
عصاى أتوكأ عليها وأهش بها
على غنمى ولى فيها مآرب أخرى
قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا
هى حية تسعى قال خذها ولا
تخف سنعيدها سيرتها الاولى

الكثرة فقلد وتهسم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك يا موسى) كقوله تعالى وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد * قرأ ابن أبى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاى) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن أبى اسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة * هش الورق خبطه أى أخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى قراءة النخعى أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أى أنحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام * السعى المشى بسرعة وخفة حركة (فان قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثانى أنها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا * لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شئ خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها * السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أى تسير سيرتها

الاولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها • قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج • السوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالابرش والبرص أبغض شئ الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر • بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفى نصب آية وجه آخر وهو أن يكون باضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف (لنريك) أى خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك • لما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال مالا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التى يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه فى الجملة أمره الذى هو خلافة الله فى أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤن ومقاساة جلائل الخطوب (فان قلت) لى فى قوله (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ما جدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لى ويسر لى فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل • عن ابن عباس كان فى لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف فى زوال العقدة بكمالها فقيل ذهب بعضها وبقى بعضها لقوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت بكمالها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى • وفى تنكير العقدة وأن لم يقل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لسانى) صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لسانى • الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من المؤازرة وهى المعاونة عن الاصمعى قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء فى معنى مفاعل مجيأ صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت فى أخيه قلبت فيه وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر وأخواته والى الموازرة • وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة أو لى وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير و (أخى) فى الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن • قرؤا جميعا اشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر وحده أشدد وأشركه على الجواب وفى مصحف ابن مسعود أخى واشدد وعن أبى بن كعب أشركه فى أمرى واشدد به أزرى ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون • الازر القوة وأزره قواه أى اجعله شريكى فى الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر (انك كنت بنا بصيرا) أى عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدى بأنه أكبر منى سنا وأفصح لسانا • السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول • الوحى الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى واذ أوحيت الى الحواريين أو يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم أو يريها ذلك فى المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أى أوحينا اليها أمرا لا سبيل الى

واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى

التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أى هو مما يوحى لامحالة
وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى (أن) هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول * القذف مستعمل في معنى
الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا
أى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت
فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم (فان قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل
(قلت) ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم
الذى هو أم اعجاز القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر * لما كانت
مشيئة الله تعالى وارادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز
وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل (فليلقه اليم بالساحل) روى أنها
جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان
فرعون نهر كبير فبيناهو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فاخرج ففتح فاذا صبي أصبح
الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ على أن البحر ألقاه بساحله وهو
شاطئه لان الماء يسحله أى يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من
الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر الى حيث البركة (مني) لا يخلو اما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى
على أنى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب واما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أى محبة حاصلة
أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روى أنه كانت على
وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (على عيني) لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك
ورا قبك كما يراعي الرجل الشئ بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر اليك لئلا تخالف
به عن مرادى وبغيتي * ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله
أى ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح
التاء والنصب أى وليكون عملك وتصرفك على عين مني * العامل في (اذ تمشي) ألقيت أو تصنع ويجوز أن
يكون بدلا من اذ أوحينا (فان قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وان
اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في
أولها وأنت في آخرها روى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل
ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالام فقبل ثديها وروى أن آسية
استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع * هي نفس القبطي الذى استغاثه عليه
الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتى عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون
فغفر الله له باستغفاره حين قال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين
هاجر به الى مدين (فتونا) يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدى كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن
أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أى فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد
ابن جبير ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان
وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة (مدين) على ثماني مراحل من مصر وعن وهب
أنه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الاجلين * أى سبق في قضائي وقدرى أن
أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل
على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة * هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب
والتكريم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا يكون
أحد أقرب منزلة منه اليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع

أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل
يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت
عليك محبة مني ولتصنع على
عيني اذ تمشي أختك فتقول هل
أدلكم على من يكفله فرجعناك
الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن
وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
وفتناك فتونا فلبثت سنين في
أهل مدين ثم جئت على قدر
ياموسى واصطنعتك لنفسى
اذهب أنت وأخوك بآياتى

الا بعينه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره • الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع أى لا تنسيانى ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكرى جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد منى معتقدين أن أمرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكرى ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر • روى أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم ذلك • قرئ (لينا) بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة • والترجى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بأنه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك • أى يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق (أو يخشى) أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة • فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أى نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها • وقرئ (يفرط) من أفرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط فى الاذية أى نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة • أو يجاوز الحد فى معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه (أو أن يطغى) بالتخطى الى أن يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته عليك وقسوة قلبه وفى المجىء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة (معكما) أى حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظى ونصرتى لكما فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شىء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو • كانت بنو اسرائيل فى ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شىء مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجىء بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين أولو جئتك بشىء مبين • يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين • خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة فى لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (خلقه) أول مفعولى أعطى أى أعطى خليقته كل شىء يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أى أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى كل شىء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه (ثم هدى) أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف

ولا تنيا فى ذكرى اذهبا
الى فرعون انه طغى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى
قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط أو
أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما
أسمع وأرى فأتياه فقولا انا
رسولا ربك فأرسل معنا بنى
اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك
بآية من ربك والسلام على من
اتبع الهدى انا قد أوحى الينا
أن العذاب على من كذب
وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال
ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم
هدى

قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل

وكان طالب الحق * سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيأ أو ينساه * يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز ان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة (الذي جعل) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدا محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله * أي قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها * أراد بخلقهم من الارض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا * وأراد باخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر * وفي قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا (وأبى) أن يقبل شيأ منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من جيب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد في قوله (فاجعل

بيننا وبينك موعدا) من أن يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا نظرا فى أن قوله تعالى موعدكم يوم
الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله تعالى
مكانا سوى لزمك أيضا أن توقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن
غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف
محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير فى تخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) فكيف
طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو
مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه
فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم
الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك
وعدا لا نخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) فكيف يطابقه
الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز
على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم
بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه
سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ
(سوى) وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء
لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى
الوقف * قرئ (وأن يحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وأن يحشر اليوم ويجوز أن يكون
فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفا على اليوم أو الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة
الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب
فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع
أهل الوبر والمدر (لا تفتروا على الله كذبا) أى لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا * قرئ (فيسحتكم) والسحت
لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا أو مجلف فى بيت لا تزال
الركب تصطك فى تسوية اعرابه * عن ابن عباس أن نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر
أنهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا
الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما * قرأ أبو عمرو (ان هذين لساحران) على الجهة
الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين
ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبى ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن
وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم
المثنى نحو الاسماء التى آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم
ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو اسحق * سموا
مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتكم المثلى وهم
بنو اسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم
قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فاجمعوا كيدكم) يعضده قوله
فجمع كيده وقرئ فأجمعوا كيدكم أى أزمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم
كالمسئلة المجمع عليها * أمروا بأن يأتوا صفا لانه أهيب فى صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل
واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا اقبالة واحدة وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لان الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين * ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا

مصلى

بيننا وبينك موعدا لا نخلفه
نحن ولا أنت مكانا سوى قال
موعدكم يوم الزينة وأن يحشر
الناس ضحى فتولى فرعون
فجمع كيده ثم أتى قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب
من افترى فتنازعوا أمرهم
بينهم وأسروا النجوى قالوا ان
هذان لساحران يريدان أن
يخرجاكم من أرضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا

مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعني وقد فاز من غلب * أن مع ما بعده اما منصوب
بفعل مضمر أو مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا
التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن
الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب
حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة
للمعتبرين * يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة
تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير
فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى
على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي * وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه
دلي ودلي وقسي وقسي * وقرئ (تخيل) على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله (أنها تسعى) من
الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى
تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك * ايجاس الخوف اضمار شئ منه وكذلك توجس
الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف
أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه. (انك أنت الاعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة
التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (ما في يمينك)
ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم
الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي
لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره
عنده فألقه يتلقفها باذن الله ويمحقها * وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة
وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون * قرئ (كيد
ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر
أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما
تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فان قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لان القصد في هذا
الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع تخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله (ولا يفلح
الساحر) أي هذا الجنس (فان قلت) فلم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) انما نكر من أجل تنكير المضاف لا من
أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا
ولا في أمر آخرة المراد تنكير الامر كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وآخري
(حيث أتى) كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان * سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم
للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى أنهم
لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم
منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم
أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي
كل شئ * قرئ (فلأقطعن) ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان
كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان
القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي
لأقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن
الشئ الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل

وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا
يا موسى اما أن تلقى واما أن
نكون أول من ألقى قال بل
ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم أنها
تسعى فأوجس في نفسه خيفة
موسى قلنا لا تخف انك أنت
الاعلى وألق ما في يمينك تلقف
ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر
ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي
السحرة سجدا قالوا آمنا برب
هرون وموسى قال آمنتم له
قبل أن آذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلأقطعن
أيديكم وأرجلكم من خلاف
ولأصلبنكم في جذوع النخل
ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى

قوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم * قرئ (تقضى هذه الحيوة الدنيا) ووجهها أن الحياة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة يعنى رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى اسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه (تزكى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل فى هذه الآيات الثلاث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله * اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب * وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك * فى (ولا تخشى) اذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أى ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا (ما غشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وما هدى) تهكم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول أى قلنا يا بنى اسرائيل وحذف القول كثير فى القرآن * وقرئ (أنجيتكم) الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة * وقرئ (الايمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم فى النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها فى المعاصى وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا فى انفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا * قرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحلل) المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم فى معنى النزول * وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك

قالت هوى من رأس مرقبة * ففتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا لا نهوض بعده * الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين فى جاءنى زيد ثم عمرو أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أى شئ عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعى

قالوا ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك ياموسى

الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوّز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثرى) وعن أبي عمرو ويعقوب اثرى بالكسر وعن عيسى بن عمر أثرى بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والاثر أفصح من الاثر وأما الاثر فمسموع فى فرند السيف مدوّن فى الاصول يقال أثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتدّ به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام * أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا * قرئ (وأضلهم السامرى) أى وهو أشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فان قلت) متى رجع الى قومه (قلت) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجل حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده * أى حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم أو أرادوا بالاوزار أنها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامرى) أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى اليه وليه الشيطان أنها اذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل (فان قلت) كيف أثرت تلك التربة فى احياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهى أن يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه فى الدرع (فان قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس أعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى فنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن

قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا

مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامري ماقال كأنهم أول ماوقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله (انما فتنتم به وان ربكم الرحمن) * لامزيدة والمعنى مامنعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقني * قرئ (بلحيتي) بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد مارأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لماغلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه * أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ماوصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها * الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ماخطبك فمعناه ماطلبك له * قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر والمعنى علمت مالم تعلموه وفطنت مالم تفطنوا له * قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه * قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال ان لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل * عوقب في الدنيا بعقوبة لاشئ أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل مايعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم * وقرئ (لامساس) بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء اذا وردت الماء فلاعباب وان فقدته فلاأباب وهي أعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب (لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ماعاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عزوجل كما مر في لأهب لك (ظلت) وظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * قرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف في (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عزوجل لرسوله أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الامم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة

ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك ياسامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا

فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقى * يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل * جمع (خالدين) على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها (فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (ساء) فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب أن يكون مبهما يفسره (حملا) والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى قوله تعالى نعم العبد انه أوّاب أيوب هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أى وساءت مصيرا جهنم (فان قلت) اللام فى لهم ماهى وبم تتعلق (قلت) هى للبيان كما فى هيت لك (فان قلت) ما أنكرت أن يكون فى ساء ضمير الوزر (قلت) لا يصح أن يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير مبهم (فان قلت) فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أهم وأحزن (قلت) كفاك صادّا عنه أن يؤول كلام الله الى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب * أسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه الى ذاته تعالى * وقرئ ينفخ بلفظ مالم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أو لاسرافيل عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن * وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى أنه القرن * قيل فى الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شئ من ألوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدوّ أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين والثانى أن المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق * يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول * يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشدّ تقالا منهم فى قوله تعالى (اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما) ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث (ينسفها) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها كما يذرّى الطعام (فيذرها) أى فيذر مقارّها ومراكزها أو يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة * (فان قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت الى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر * الامت النتوّ اليسير يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت * أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال فى قوله (يومئذ) أى يوم اذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة * والمراد الداعى الى المحشر

من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى

قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون (لا عوج له) أي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته * أي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت (فلا تسمع الا همسا) وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها اذا مشت أي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (من) يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من (أذن له الرحمن) والنصب على المفعولية ومعنى أذن له (ورضي له) لاجله أي أذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * أي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما * المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله تعالى (وقد خاب) وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر * الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه * والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم * وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة * والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة * وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

(فتعالى الله الملك الحق) استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته * ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان * وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله تعالى (رب زدني علما) متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم * يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول ان أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه * (فان قلت) ما المراد بالنسيان (قلت) يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها * وقرئ فنسي أي نساه الشيطان * العزم التصميم والمضي على ترك الاكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له * والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما (اذ) منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات * (فان قلت) ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة (قلت) كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له

لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس

كرامة له كان الجنّي الذى معهم أجدر بان يتواضع كما لو قام اقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم فى المنزلة أوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام (فان قلت) فكيف صح استثناؤه وهو جنّي عن الملائكة (قلت) عمل على حكم التغليب فى اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الافلانة لامرأة بين الرجال (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الاباء وتوقف وتثبط (فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما * وانما أسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حوّاء بعد اشراكهما فى الخروج لانّ فى ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أنّ فى ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه وروى أنه أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه * قرئ (وانك) بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع (فان قلت) انّ لا تدخل على أنّ فلا يقال انّ أنّ زيدا منطلق والواو نائبة عن انّ وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها (قلت) الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن انّ انما هى نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كانّ لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع انّ وأنّ * الشبع والرىّ والكسوة والكنّ هى الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له فى الجنة وأنه مكفىّ لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفى لنقائضها التى هى الجوع والعرى والظما والضحو ليطرق سمعه باسامى أصناف الشقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها * (فان قلت) كيف عدّى وسوس تارة باللام فى قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بالى (قلت) وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة فى أنها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الاعرابىّ

وسوس يدعو مخلصا ربّ الفلق

فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله أجرس لها يا ابن أبى كباش ومعنى وسوس اليه أنهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه وأسرّ اليه * أضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لانّ من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لانّ من باشر أثره حىّ (وملك لا يبلى) دليل على قراءة الحسن بن علىّ وابن عباس رضى الله عنهم الا أن تكونا ملكين بالكسر * طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هى للشروع فى أول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه * قرئ (يخصفان) للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أى يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا فى أطراف الاصابع * عن ابن عباس لا شبهة فى أنّ آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لانّ الغىّ خلاف الرشد ولكن قوله (وعصى آدم ربه فغوى) بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزلّ آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبىّ المعصوم حبيب الله الذى لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيآت والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط فى الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول فى فنى وبقى فنا وبقا وهم بنو طىّ تفسير خبيث (فان قلت) ما معنى (ثم اجتباه ربه) (قلت) ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الىّ كذا فاجتبيته ونظيره جليت علىّ العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى هلا جبيت اليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار (وهدى) أى وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى * لما كان آدم وحوّاء عليهما السلام أصلى البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر فى

أبى فقلنا يا آدم انّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى انّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ

أنفسهما لخوطبا مخاطبتهم فقيل (فاما يأتينكم) على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب (هدى) كتاب وشريعة * وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا قوله (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) والمعنى أن الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه * الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث * وقرئ (ضنكى) على فعلى ومعنى ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن أبى سعيد الخدرى عذاب القبر * وقرئ (ونحشره) بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك * لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) كأنه قال وللحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى أو أراد ولتركنا اياه فى العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا * فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين أى تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يمشون) يريد أن قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون (فى مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هى العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة * واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل أى ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير فى كان أى لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الاوقات أولا والاوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل فى معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فان قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفى النهار (قلت) الوجه أمن الالباس وفى التثنية زيادة بيان ونظير مجىء الامرين فى الآيتين مجيئهما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل * ولعل للمخاطب أى اذكر الله فى

فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى

هذه الاوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشئ بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وأن من أبصر منها شيأ أحب أن يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أى لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة فى اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (فان قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (فان قلت) ما معنى الزهرة فيمن حركت (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء فى الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب (لنفتنهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخره من ثواب الآخرة الذى هو خير منه فى نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أو لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبقى) لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودى وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضنى الى رجب فقال والله لا أقرضته الا برهن فقال رسول الله انى لامين فى السماء وانى لامين فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلوة) أى وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفى من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفى معناه قول الناس من دان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان اذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية * اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل أن القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة * وقرئ الصحف بالتخفيف * ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها فى معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) للعاقبة ولما يؤل اليه أمرنا وأمركم * وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوى والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا طه ويس

(سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحى رحيلهم الاصل أزف رحيل الحى ثم أزف للحى الرحيل ثم أزف للحى رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه فى باب ما يثنى

ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى
(بسم الله الرحمن الرحيم)
اقترب للناس حسابهم

فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لان اللام
مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب
ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق (فان قلت) كيف وصف
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز
وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولان كل آت وان
طالت أوقات استقباله وترقبه قريب انما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي في الدنيا أقصر وأقل
مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة
وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان
كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي
الله عنه أن المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من
صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في
عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء للمحسن والمسيء واذا
قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا
أسماعهم ونفروا * وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم
الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع
الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا
والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون
لاهية قلوبهم) حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر
بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعني أنهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم
لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم * (فان قلت) النجوى وهي
اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث
لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون * أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا اشعارا بأنهم الموسومون
بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو
مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا
على فعلهم بانه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب
بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على
سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فان قلت) لم أسروا هذا الحديث
وبالغوا في اخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم أمره وعمل
المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في
طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ان كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا * (فان قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت)
القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم
من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم * ثم بين ذلك بانه السميع العليم
لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فان قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي
يعلم السر في السموات والارض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد
تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما
دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد

وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم

أن يقول ان ربى يعلم ما أسرّوه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثمّ قصد وصف ذاته بان أنزله الذى يعلم السرّ فى السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرّة * وقرئ (قال ربى) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم * أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم فى درج الفساد وأنّ قولهم الثانى أفسد من الاول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث * صحة التشبيه فى قوله (كما أرسل الاوّلون) من حيث انه فى معنى كما أتى الاوّلون بالآيات لانّ ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث * أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أنّ رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما أحالهم على أولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الاجساد وهذا ردّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (فان قلت) نعم قد ردّ انكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا ردّ من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد امّا معتقدين أنّ الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتدّ خلودا (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والاصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقنى سنّ بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن فى بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الاخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الامانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لانّ القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لانّ المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهى وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها احدى القرى التى أرادها الله بهذه الآية * فلما علموا شدّة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدّمة العذاب ويجوز أن يشبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف (فان قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثمّ من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله ربّ العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم فى دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهى الترفة (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدّمين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب ويستشيرونكم فى المهمات والعوارض

بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاوّلون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون

ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب
أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب
الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ (تلك) إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى
كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد
لله رب العالمين (فإن قلت) لم سميت دعوى (قلت) لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل
فهذا أوانك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم * الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم
مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو
الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية (فإن قلت)
كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته
حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود * أي وما سوينا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع
والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية
والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي
لا تعد والمرافق التي لا تحصى * ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة
صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير * وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله
رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من
الإنس رد لولادة المسيح وعزير (بل) إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا
أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض
الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة
مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى
حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه * (فإن قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور
فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور
وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون * أي تسبيحهم متصل دائم في جميع
أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر * هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما
قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الأرض هم ينشرون) الموتى ولعمري إن من أعظم
المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فإن قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك
لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات
والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة
الأولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة
القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا (قلت) الأمر كما ذكرت ولكنهم
بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار
من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح
استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله (من الأرض) قولك فلان
من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض
لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي

الأصنام

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون

الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة فى قولهم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها * وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لان لو بمنزلة ان فى ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران (قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز على من دم ناظرى ولكن لا يجتمع فحلان فى شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * اذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من فى مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بان لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر فى العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسألون) أى هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه * كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أى وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحى فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهى عنه متوعد عليه * أى (هذا) الوحى الوارد فى معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر أى عظة للذين معى يعنى أمته وذكر للذين من قبلى يريد أمم الانبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معى وذكر من قبلى) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معى ومن قبلى على من الاضافية فى هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معى وذكر قبلى * كانه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار * وقرئ (الحق) بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد * نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله * نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافى الولادة الا أنهم (مكرمون) مقربون عندى مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذى غر منهم من زعم أنهم أولادى تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون (ولا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الاضافة أى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه * وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبنى على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا الا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة فى ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أى متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون

السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله * وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى
عليهم وأضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم
من أشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد * قرئ (ألم ير) بغير واو
و (رتقا) بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنفض أي كانتا مرتوقتين (فان قلت) الرتق صالح أن
يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق (قلت) هو على تقدير موصوف أي كانتا شيأ رتقا ومعنى ذلك
أن السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج
بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن
لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سودا وان أي جماعتان فعل في المضمر نحو
ما فعل في المظهر (فان قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه
وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الارض والسماء
وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا)
لا يخلو أن يتعدى الى واحد أو اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق
الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من
في قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو * أي كراهة
(أن تميد بهم) وتضطرب او لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في
نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين * الفج الطريق الواسع (فان قلت) في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهي صفة
ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت)
أحدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم
ثمة (محفوظا) حفظه بالامساك بقدرته من أن يقع على الارض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على
سكانه من الملائكة (عن آياتها) أي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات
ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على
عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها ما لا يعرف كنهه
الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أي هم
متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها
وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) * (كل) التنوين فيه
عوض من المضاف اليه أي كلهم (في فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل
يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة
والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فان قلت) الجملة ما محلها
(قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فان قلت) كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب
الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به
العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها (فان قلت)
لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم
الامير حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس
اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس * كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله تعالى عنه
الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك

ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون

فان مت أنت أيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

* أى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر أو الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار * و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه * الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزؤا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله * كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالانسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته (فان قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لانه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان * جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم * ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم * يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذى كفر أى غلب ابراهيم عليه السلام الكافر * وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فان قلت) فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة (قلت) الى النار أو الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو الى الحين لانه فى معنى الساعة أو الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة * وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتنفيس وقت التذكر عليهم أى لا يمهلون بعد طول الامهال * سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الانبياء عليهم السلام اسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه السلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما فى أم من معنى بل وقال أ (لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا * ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين

كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم

الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الامد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردّها دار اسلام (فان قلت) أىّ فائدة فى قوله (نأتى الارض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين وأنّ عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها * قرئ (ولا يسمع الصمّ) ولا تسمع الصمّ بالتاء والياء أى لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصمّ من أسمع (فان قلت) الصمّ لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (اذا ما ينذرون) (قلت) اللام فى الصمّ اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدّهم أسماعهم اذا أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصامّ من آيات الانذار (ولئن مستهم) من هذا الذى ينذرون به أدنى شئ لأذعنوا وذلوا وأقرّوا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصامّوا وأعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لانّ النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرّة * وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فان قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما ارصاد الحساب السوىّ والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرّة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أنّ داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (فان قلت) كيف توزن الأعمال وانما هى أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة * وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة * وقرأ ابن عباس ومجاهد (آتينا بها) وهى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفى حرف أبىّ جئنا بها وأنث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه * أى آتيناهما (الفرقان) وهو التوراة (و) آتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه فى نفسه ضياء وذكر أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات * وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم أو الشرف * محلّ (الذين) جرّ على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره * الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم * وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أى من قبل موسى وهرون عليهما السلام * ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل (اذ) امّا أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت * قوله (ما هذه التماثيل) تجاهل لهم وتغابٍ ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها * لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدّى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فان قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعدّاه بصلته التى هى

حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون

قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

على * ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى أن
قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شئ وجادّون فى نصرة مذهبهم
ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الاصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذى
لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك
الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد
الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع * لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا
متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا أن ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا
الذى جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل * الضمير فى (فطرهن) للسموات والارض أو للتماثيل وكونه
للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم * وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح
الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لانى لست مثلكم فأقول
ما لا أقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم * قرأ
معاذ بن جبل بالله * وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فان قلت) ما الفرق بين الباء
والتاء (قلت) ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه
تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمرى ان مثله
صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه
ولكن اذا الله سنى عقد شئ تيسرا روى أن آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه
وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا
وبقى ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس
فى عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو
القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة * وانما استبقى الكبير لانه غلب فى ظنه
أنهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبى (اليه) الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى
العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء
على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم
لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع اليه فى حل
كل مشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك فى أعراقهم فأى
فائدة دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا (قلت) اذا رجعوا اليه تبين
أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم فى عبادته على جهل عظيم * اى ان من فعل هذا الكسر والحطم
لشديد الظلم معدود فى الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم
رأوا افراطا فى حطمها وتماديا فى الاستهانة بها * (فان قلت) ما حكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما
(قلت) هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى
تذكر شيأ مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك (فان قلت) (ابراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا
محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) فى محل الحال
بمعنى معاينا مشاهدا أى بمرأى منهم ومنظر (فان قلت) فما معنى الاستعلاء فى على (قلت) هو وارد على
طريق المثل أى يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون)
عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأمروا باحضاره
* هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الأذهان الراضة من علماء المعانى والقول
فيه أن قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره

لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك
وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر الا
على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك
واثباته للامي أو المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل أن
يقول غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة
تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند
الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله
كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب
أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها * وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله أي فلعل الفاعل
كبيرهم * فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا الى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين * نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أي
استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا
في المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة
منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا
على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخذالا مما بهتهم به ابراهيم عليه السلام فما أحاروا
جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله أي نكسوا أنفسهم على رؤسهم
قرأ به رضوان بن عبد المعبود (أف) صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم
على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي
لكم ولآلهتكم هذا التأفف * أجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح
لم يكن أحد أبغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين
عجزوا عن المعارضة والذي أشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد
الاكراد وروي أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب
الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لأجمعن حطبا لابراهيم عليه السلام ثم أشعلوا نارا
عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل
عليه السلام (يا نار كوني بردا وسلاما) ويحكى ما أحرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به
هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله
عنه انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من
الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الله عليه
اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها ومن ثم قالوا (ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول
المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم
شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور أمر بشيء فامتثله والمعنى ذات
برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم أو ابردي بردا غير ضار وعن
ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها (فان قلت) كيف بردت النار وهي نار (قلت) نزع الله
عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله
على كل شيء قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك
كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله (على ابراهيم) * وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين
مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه * نجيا من العراق
الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين أن أكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم

وآثارهم

فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين

وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنيّ والفقير وعن سفيان أنه خرج الى الشأم فقيل له الى أين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة * النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فأعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات * وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة * والقرية سذوم أي في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين * هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه * والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه * أي واذكرهما واذ بدل منهما * والنفش الانتشار بالليل * وجمع الضمير لانه أرادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما * والضمير في (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فان قلت) أحكما بوحي أم باجتهاد (قلت) حكما جميعا بالوحي الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنيّ عليه كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعيّ رضي الله عنه يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعيّ فيمن غصب عبدا فأبق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوّته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادّا (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الاصوب كان مع سليمان عليه السلام وفي قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) اما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان الا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فان قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك * اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس * قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فان قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين أن

ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها

تكون رخاء فى نفسها وعاصفة فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته * وقد أحاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا * أى يغوصون له فى البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل * والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فى الجملة فيما هم مسخرون فيه * أى ناداه بأنى مسنى الضر وقرئ انى بالكسر على اضمار القول أو لتضمين النداء معناه * والضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها ألطفت فى السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحيى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا * أى لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالاحسان لاننساهم أو رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب فى الدنيا والآخرة * قيل فى ذى الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمى بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا * قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبى الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز أن يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه فى كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر * أى بانه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (ننجى) وننجى ونجى والنون لا تدغم فى الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف * سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فانك خير وارث * اصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق * التفسير

وكنا بكل شئ عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات

للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم أبواب الخير
ومسارعتهم فى تحصيلها كما يفعل الراغبون فى الامور الجادون * وقرئ (رغبا ورهبا) بالاسكان وهو كقوله تعالى
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى
القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال أما انى سألت ابراهيم فقال ألا تدرى قلت أفدنى قال بينه وبين
الله اذا أرخى ستره وأغلق بابه فليرالله منه خيرا لعلك ترى أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه
(أحصنت فرجها) احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * (فان قلت)
نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى أى أحييته واذا ثبت
ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح
فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيته
ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ فى جيب درعها فوصل
النفخ الى جوفها * (فان قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لان حالهما بمجموعهما
آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير فحل * الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام أى ان ملة الاسلام هى
ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) الهكم اله واحد
(فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى
للثانى مبتدأ والخطاب للناس كافة * والاصل وتقطعتم الا أن الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات
كانه ينعى عليهم ما أفسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء
فى دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشئ ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب
ولذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى * ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه
يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم * الكفران مثل فى حرمان الثواب كما أن الشكر مثل فى اعطائه اذا قيل لله
شكور وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا نكفر سعيه (وانا له كاتبون) أى نحن كاتبو ذلك
السعى ومثبتوه فى صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه * استعير الحرام للممتنع
وجوده ومنه قوله عزوجل ان الله حرمهما على الكافرين أى منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم * وقرئ حرم
وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم * ومعنى (أهلكناها) عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها * ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور أن يرجعوا
وينيبوا الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى أنهم
مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا أن
يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور فى الآية
المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف
لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول * (فان قلت)
بم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هى (قلت) هى متعلقة بحرام وهى غاية له لان امتناع رجوعهم
لا يزول حتى تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء
أعنى اذا وما فى حيزها * حذف المضاف الى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية
وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة
أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج
يخرجون حين يفتح السد * الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس رضى الله عنه من كل جدث وهو القبر
الثاء حجازية والفاء تميمية * وقرئ (ينسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (اذا) هى اذا المفاجأة وهى
تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء
بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هى شاخصة أو فهى شاخصة كان سديدا (هى) ضمير مبهم توضحه الابصار
وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون فى موضع

ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين والتى أحصنت فرجها
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين ان هذه
أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم
كل الينا راجعون فمن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا
كفران لسعيه وانا له كاتبون
وحرام على قرية أهلكناها أنهم
لا يرجعون حتى اذا فتحت
يأجوج ومأجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب الوعد
الحق فاذا هى شاخصة أبصار
الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى
غفلة من هذا بل كنا ظالمين

الحال من الذين كفروا (ماتعبدون من دون الله) يحتمل الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم ويصدقه ماروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وماتعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعنى عزيرا والمسيح والملائكة عليهم السلام (فان قلت) لم قرنوا بآلهتهم (قلت) لانهم لايزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا أنهم يستشفعون بهم فى الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ماقدروا لم يكن شئ أبغض اليهم منهم (فان قلت) اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى (لهم فيها زفير) (قلت) اذا كانوا هم وأصنامهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الاهم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس * والحصب المحصوب به أى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا * وعن ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم (الحسنى) الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة روى أنّ عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجرّ رداءه وهو يقول (لايسمعون حسيسها) والحسيس الصوت يحس * والشهوة طلب النفس اللذة * وقرئ (لايحزنهم) من أحزن و(الفزع الاكبر) قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح * أى تستقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حل * العامل فى (يوم نطوى) لايحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول * و(السجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لايجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (انا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه * زبور داود عليه السلام * والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح * أى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار

والوعد

انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أنّ الارض يرثها عبادى الصالحون انّ فى هذا

والوعد والوعيد والمواعظ البالغة * والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية * أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال * انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لان (انما يوحى الى) مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و(أنما الهكم اله واحد) بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفى قوله (فهل أنتم مسلمون) أن الوحى الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وأن تخلعوا الانداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى ان الذى يوحى الى فتكون ما موصولة * آذن منقول من أذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله * وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها أسماء والمعنى أنى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه مهدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها و(ما توعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا أدرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين فى الاسلام و(ما تكتمون) فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه * وما أدرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (الى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة * قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى أحكم على افعل التفضيل وربى أحكم من الاحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر * ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر * قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

(سورة الحج مكية غير ست آيات وهى هذان خصمان الى قوله الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الزلزلة شدة التحريك والازعاج وأن يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها * ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها * أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا أن يترددوا به وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة * وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أى

لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة

تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة * (فان قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن ارضاعها أوعن الذى أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام * قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما ورؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة * وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فان قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الافراد (قلت) لان الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهى معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم * قيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهى عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) فى ذلك خطوات (كل شيطان) عات * علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة فى دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

ويارب متفقو الخطا بين قومه * طريق نجاة عندهم مستوى نهج
ولو قرؤا فى اللوح ماخط فيه من * بيان اعوجاج فى طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذى رضيته لملائكتك فى سمواتك وأنبيائك فى أرضك وادخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين * والكتبة عليه مثل أى كأنما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله * وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثانى عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغنى الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد فى الجلب والطرد كأنه قيل ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم * والعلقة قطعة الدم الجامدة * والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم * وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبدأه بل هذا أدخل فى القدرة من تلك وأهون فى القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بأنه يقر (فى الارحام ما يشاء) أن يقره من ذلك (الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع * أو كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته

قوله أو رؤيتك كتب عليه بعض الاكابر مقلوب من أريتك الاصل فيه أريت فأخرت الهمزة فقيل رؤيت وهو بمعنى الظن فمن لا يقلب يقول أريت انه قائم ومن يقلب يقول رؤيت وهذا ما اراده المصنف اه ويدل عليه عبارة أبى السعود وفى بعض النسخ أو رأيتك وكتب عليه بعضهم ان كان من أريتك فمعناه تظن أنت الناس سكارى أقيم الضمير مقام الفاعل ونصب الناس وسكارى على أنهما مفعولان لان أريت متعد الى ثلاثة وان كان من رأيت فالمعنى تظن الناس سكارى أقيم الناس مقام الفاعل ونصب سكارى على المفعولية لان رأيت متعد الى اثنين اه وجعل قوله والناس منصوب ومرفوع على اللف والنشر المرتب اه مصححه

عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وماهم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا

الارحام أو اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج
لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر فى الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد
التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) * وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل
نخرج كل واحد منكم طفلا * الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد
كالاسدة والقتود والاباطيل وغير ذلك وكأنها شدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع * وقرئ ومنكم
من يتوفى أى يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى فى أوان طفولته ضعيف البنية
سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه فى درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن
يحطه حتى ينتهى به الى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أى ليصير نساء بحيث اذا كسب علما فى شئ لم
ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا
سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر بسكون الميم * الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث
ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله فى كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ
ربأت أى ارتفعت * البهيج الحسن السار للناظر اليه * أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض
مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب فى حصوله ولولاه لم يتصور كونه
وهو (أن الله هو الحق) أى الثابت الموجود وأنه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف
ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفى بما وعد * عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر
كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضرورى *
وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدى الى المعرفة * وبالكتاب المنير الوحى * أى يجادل بظن وتخمين
لا بأحد هذه الثلاثة * وثنى العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولى الجيد وقيل عن الاعراض
عن الذكر وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه (ليضل) تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء
وفتحها (فان قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى
اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال (قلت) لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما
كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال *
وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل * والسبب فيما منى به من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت
يداه وعدل الله فى معاقبته الفجار واثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا
مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فان
أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت فى أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت
فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب وعن أبى سعيد الخدرى
أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال
ان الاسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه
محنتين احداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ
خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدا محذوف * استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد فى التيه
ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته * (فان قلت) الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها فى الآيتين
وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك
ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها (لمن
ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفى حرف عبد الله من

ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من
يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم
شيأ وترى الارض هامدة فاذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك
بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى
وأنه على كل شئ قدير وأن
الساعة آتية لا ريب فيها وأن
الله يبعث من فى القبور ومن
الناس من يجادل فى الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير ثانى
عطفه ليضل عن سبيل الله له فى
الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت
يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد
ومن الناس من يعبد الله على
حرف فان أصابه خير اطمأن به
وان أصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين يدعو
من دون الله ما لا يضره وما لا
ينفعه ذلك هو الضلال البعيد
يدعو لمن ضره أقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير

ضره بغير لام * المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى
أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه
ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه
الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله
الذي يغيظه * وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع * وسمى فعله
كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد
به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه
فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤن ما وعد
الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت * وقد فسر النصر
بالرزق وقيل معناه أن الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير
رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا * أي
ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) ولان (الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين
آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا * الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا
فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة أربعة للشيطان
وواحد للرحمن * جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين
والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

* سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها
بادخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه (فان قلت) فما تصنع
بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده
بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن
أولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة (قلت) لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت
حكم الفعل وانما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله
في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل
عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على
الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على
كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب * وقرئ حق
بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا * ومن اهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه
من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما * وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه (يفعل ما يشاء)
من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين * الخصم صفة وصف
بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى
كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون
والكافرون قال ابن عباس رجع الى أهل الاديان الستة (في ربهم) أي في دينه وصفاته وروي ان
أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق
بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا
فهذه خصومتهم في ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر * وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر
لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار

منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أى اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * والمقامع السياط فى الحديث لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها * وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولول كادل فيمن جر ولولؤ وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس * وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة * يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة فى جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبى حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعى لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال أنسب الديار الى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانى مفعولى جعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفى القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان * الالحاد العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقوله (بالحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعنى أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم أراد الحادا فيه فأضافه على الاتساع فى الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة فى الحرم تكتب ذنبا * واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم * وأن هى المفسرة (فان قلت) كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له (لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى) من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان * والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق * نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه

يصب من فوق رؤسهم الحميم
يصهر به ما فى بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد كلما
أرادوا أن يخرجوا منها من غم
أعيدوا فيها وذوقوا عذاب
الحريق ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجرى من تحتها الانهار يحلون
فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى
صراط الحميد ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله والمسجد
الحرام الذى جعلناه للناس سواء
العاكف فيه والباد ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان
البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر
بيتى للطائفين والقائمين والركع
السجود وأذن فى الناس بالحج
يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم

العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات
قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص * وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم
الله لأن أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الاصلي فيما يتقرب
به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو
قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيأ من ذلك الحسن والروعة * الايام المعلومات أيام العشر عند
أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر * البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر
فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز * الامر بالاكل منها أمر اباحة لأن أهل الجاهلية كانوا
لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع
ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال
فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا (البائس)
الذي أصابه بؤس أي شدة و(الفقير) الذي أضعفه الاعسار * قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف
الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث * وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب
حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي
هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لأنه
أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن
مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير (فان قلت)
قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه
ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الامر والشأن ذلك كما يقدم
الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا * والحرمة ما
لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع
تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم
العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها * المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى (الا ما يتلى
عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الانعام
كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم أن تحرموا مما أحل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة
والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك * لما حث على تعظيم
حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه
وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك
من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور
واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان
* وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن
الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الاوثان) بيان للرجس
وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي
هو الاوثان * والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الافك من أفكه اذا صرفه وقيل قول
الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل
قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * يجوز في هذا التشبيه أن

ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء

يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة * وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلهما تختطفه * وقرئ الرياح * تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء (الى أجل مسمى) الى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها * و (ثم) للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع (محلها الى البيت) أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه * شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك * وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه باشراك * المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الحسن (والمقيمي الصلاة) بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن أبي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شئ فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب * وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء * وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام

تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها

(القانع) السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بسؤال وقرأ الحسن والمعترى وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع * منّ الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة * أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم * وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت * كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجىء أقوى وأبلغ * أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم * والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) فى محل الجر على الابدال من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله * دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أى ينصر دينه وأولياءه * هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم * يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فان قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شئ آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب

موسى

وأطعموا القانع والمعتر
كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ما هداكم
وبشر المحسنين ان الله يدافع
عن الذين آمنوا ان الله لا يحب
كل خوان كفور أذن للذين
يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على
نصرهم لقدير الذين أخرجوا من
ديارهم بغير حق الا أن يقولوا
ربنا الله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوى عزيز الذين ان مكناهم
فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا
الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ولله عاقبة الامور
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط وأصحاب
مدين وكذب موسى فأمليت
للكافرين

موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فاظنك بغيره * النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا * كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش * والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالى من خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل * وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هى خالية وهى على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعنى وهى ظالمة فهى خاوية (قلت) الاولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل * قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا أنها عطلت أى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها * والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمّروا عليهم جلهس ابن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم * يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء * أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى (فانها) الضمير ضمير الشان والقصة يجىء مذكرا ومؤنثا وفى قراءة ابن مسعود فانه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره (الابصار) وفى تعمى ضمير راجع اليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قلت) أى فائدة فى ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا * انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء * ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع الى والى حكمى (فان قلت) لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة * يقال سعيت فى أمر فلان اذا أصلحه أو أفسده بسعيه * وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم (فان قلت) كان القياس أن يقال انما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده

ثم أخذتهم فكيف كان نكير
فكأين من قرية أهلكناها
وهى ظالمة فهى خاوية على
عروشها وبئر معطلة وقصر
مشيد أفلم يسيروا فى الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو
آذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كألف سنة
مما تعدون وكأين من قرية
أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها
والى المصير قل يا أيها الناس
انما أنا لكم نذير مبين
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك
أصحاب الجحيم

(قلت) الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا فى الارض ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولا نبى) دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى (ألقى الشيطان فى أمنيته) التى تمناها أى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى أن الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة أى هم الشفعاء لا الاصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها * والذين (فى قلوبهم مرض) المنافقون والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وان الظالمين) يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة (وان الله لهاد الذين آمنوا الى) أن يتأولوا ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين * الضمير فى (مرية منه) للقرآن أو للرسول صلى الله عليه وسلم * اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير * (فان قلت) التنوين فى (يومئذ) عن أى جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة * لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه واحسانا * والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين * تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة * (فان قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور

تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى و يعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر بسبب انه قادر * ومن آيات قدرته البالغة أنه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرّفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشرّ والبغى والانصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فان قلت) ما معنى ايلاج أحد الملوين فى الآخر (قلت) تحصيل ظلمة هذا فى مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته فى أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات * وقرئ (تدعون) بالتاء والياء وقرأ اليمانى وأنّ ما يدعون بلفظ المبنى للمفعول والواو راجعة الى ما لانه فى معنى الآلهة أى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت الهيته وأن كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وأنه لا شئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا * قرئ (مخضرة) أى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة (فان قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع (قلت) لنكتة فيه وهى افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علىّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فان قلت) فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (قلت) لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لانّ معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله (لطيف) واصل علمه أو فضله الى كل شئ (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم (ما فى الارض) من البهائم مذللة للركوب فى البر ومن المراكب جارية فى البحر وغير ذلك من سائر المسخرات * وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن تقع (الا) بمشيئته (أحياكم) بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة (لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم * هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى أنّ بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين (فى الامر) فى أمر الدين وقيل فى أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبىّ صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أى غلبته أى لا يغلبنك فى المنازعة * (فان قلت) لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه (قلت) لانّ تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا * أى وان أبوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأنّ الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبىّ صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه * والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه (يسير) لانّ العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم (ويعبدون) ما لم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوىّ من جهة الوحى والسمع ولا ألجأهم اليها علم ضرورىّ ولا حملهم عليها دليل عقلىّ (وما)

ذلك بأنّ الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأنّ الله سميع بصير ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العلىّ الكبير ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة انّ الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وانّ الله لهو الغنىّ الحميد ألم تر أنّ الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه انّ الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم انّ الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أنّ الله يعلم ما فى السماء والارض انّ ذلك فى كتاب انّ ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير

للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفظيع من التجهم والبسور أو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام * وقرئ يعرف والمنكر * والسطو الوثب والبطش * قرئ (النار) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ماهو فقيل النار أى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ماتلى عليكم (وعدها الله) استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وأن يكون حالا عنها اذا نصبتها أو جررتها باضمار قد * (فان قلت) الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم * قرئ (تدعون) بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول (لن) أخت لا فى نفى المستقبل الا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فان قلت) مامحل (ولو اجتمعوا له) (قلت) النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ماخلقه الله وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا * وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه حق معرفته حتى لايسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به * هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر * ثم ذكر أنه تعالى درّاك للمدركات عالم بأحوال المكلفين ماضى منها وماغبر لاتخفى عليه منهم خافية * واليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات لايسأل عما يفعل وليس لاحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله * للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفى هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التى هى ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله * وعن ابن عباس فى قوله (وافعلوا الخير) صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رضى الله عنه فرأى سجدتين فى سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لايرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لاسجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فان قلت) ماوجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا فى الله (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والاروش

ونحوه

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
تعرف فى وجوه الذين كفروا
المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا قل
أفأنبئكم بشر من ذلكم النار
وعدها الله الذين كفروا وبئس
المصير يا أيها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيأ لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب ماقدروا الله
حق قدره ان الله لقوى عزيز
الله يصطفى من الملائكة رسلا
ومن الناس ان الله سميع بصير
يعلم مابين أيديهم وما خلفهم
والى الله ترجع الامور يا أيها
الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون وجاهدوا
فى الله حق جهاده هو اجتباكم
وماجعل عليكم فى الدين من
حرج

ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرسومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فان قلت) لم يكن (ابراهيم) أبا للامة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده (هو) يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة أبي بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم * واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

(سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد) نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه * والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و(أفلح) دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الابهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * فلو أن الاطبا كان حولي * (فان قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي * الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث * (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لأمية بن أبي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

(بسم الله الرحمن الرحيم) قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا أصح لانها فيه مجموعة (على أزواجهم) فى موضع الحال أى الاوالين على أزواجهم أو قوّامين عليهنّ من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون فى كافة الاحوال الا فى حال تزوّجهم أو تسرّيهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علىّ عنان فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك * (فان قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لانه أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث * جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة أربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه (فان قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح * وقرئ (لامانتهم) سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وانما تؤدّى العيون لا المعانى ويخان المؤتمن عليه لا الامانة فى نفسها * والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويقال من راعى هذا الشئ أى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم * وقرئ (على صلاتهم) (فان قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها فى أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أى (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مرّ فى سورة مريم * أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرّى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان * السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهرانى الطين (فان قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الاول للابتداء والثانى للبيان كقوله من الاوثان * (فان قلت) ما معنى (جعلنا) الانسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة * القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها لانها مكنت بحيث هى وأحرزت * قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصمّ وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه فى قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم

أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون

فنطق بذلك قبل املائه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح * قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق فى قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التى هى اعدام الحياة والبعث الذى هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع (فان قلت) فاذا الاحياة الاحياة الانشاء وحياة البعث (قلت) ليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر كما لو ذكرت ثلثى ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى ذكرها من جنس الاعادة * الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة أو لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها * أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وامساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فاسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض وقيل انها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم * وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شئ اذا أراده وهو أبلغ فى الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة فى الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر * خص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أى ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودى موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر (بالدهن) فى موضع الحال أى تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

والثانى أن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفى حرف أبى تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة فى قوله توقد من شجرة مباركة * قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة أى تسقيكم الانعام (ومنها تأكلون) أى تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهى الاكل الذى هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر

قال ذو الرمة سفينة برّ تحت خدّى زمامها يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحلّ وبالجرّ على اللفظ والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التى لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شئ (أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض (بهذا) اشارة الى نوح عليه السلام أو الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أى ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذى يدّعى وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدلّ على أنهم وآباءهم كانوا فى فترة متطاولة أو تكذبوا فى ذلك لانهماكهم فى الغيّ وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عنّ لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا * والجنة الجنون أو الجن أى به جن يخبلونه (حتى حين) أى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلى أمره عن عاقبة فان أفاق من جنونه والا قتلتموه * فى نصرته اهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى أو انصرنى بدل ما كذبونى كما تقول هذا بذاك أى بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرنى بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (باعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرّض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أى نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر روى أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشأم بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضى الله عنه التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع فى الارض أى أعلاه وعن علىّ رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أنّ فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الاول * يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كلّ بالتنوين أى من كلّ أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان * جئ بعلى مع سبق الضارّ كما جئ باللام مع سبق النافع قال الله تعالى انّ الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا علىّ ولا لى * (فان قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين * ولقد بالغ فى ذلك حيث أتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهمّ وأنفع له وهو طلب أن ينزله فى السفينة أو فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله (وأنت خير المنزلين) (فان قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت أنت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم (قلت) لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوّة واظهار كبرياء الربوبية وأنّ رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبىّ * وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه (ان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) أى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من

ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال
ياقوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره أفلا تتقون فقال
الملأ الذين كفروا من
قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد
أن يتفضل عليكم ولو شاء الله
لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا
فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة فتربصوا به حتى حين قال
رب انصرنى بما كذبون فاوحينا
اليه أن اصنع الفلك بأعيننا
ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار
التنور فاسلك فيها من كل زوجين
اثنين وأهلك الا من سبق عليه
القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين
ظلموا انهم مغرقون فاذا
استويت أنت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا
من القوم الظالمين وقل رب
أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير
المنزلين ان فى ذلك لآيات وان
كنا لمبتلين

مذكر (قرناآخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود
والشعراء * (فان قلت) حق أرسل أن يعدى بالى كأخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى في القرآن
بالى تارة وبفي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أي
في عاد وفي موضع آخر والى عاد أخاهم هودا (قلت) لم يعد بفي كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة
أو القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (أن) مفسرة لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) *
(فان قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من
قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما (قلت) الذي بغير واو
على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على
ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من
الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله في مكة * حذف الضمير والمعنى من
مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه (اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي
تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم * ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني
بالظرف ومخرجون خبر عن الاول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم
ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم
أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم * قرئ (هيهات) بالفتح والكسر
والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف * (فان قلت) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه
أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق وأهله فما هذه اللام (قلت) قال الزجاج في تفسيره
البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان
المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به * هذا ضمير لا يعلم
ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر
يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه
الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها
نفي الجنس (نموت ونحيي) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر * ثم قالوا ما هو الا مفتر
على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقديم
وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها (الصيحة)
صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل
من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه * شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
مما بلي واسود من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
من السيل والغثاء فلكة مغزل * بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهي من جملة
المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا
وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون
(قرونا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني اسرائيل (أجلها) الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج وتيقور أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه تعالى والى
أممهم وقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
ملابس المرسل والمرسل اليه جميعا (فأتبعنا) الامم أو القرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم)
أخبارا يسمر بها ويتعجب منها * الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه

ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين
فأرسلنا فيهم رسولا منهم
أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
أفلا تتقون وقال الملأ من
قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة وأترفناهم في الحيوة
الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم
يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون ولئن أطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون
أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما أنكم مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان هي الا
حيوتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن
بمبعوثين ان هو الا رجل افترى
على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين
قال رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن نادمين
فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم
أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين
ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا
تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه
فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون

وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التى هى مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهى مما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا * (فان قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أى هى آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين ان فرعون علا فى الارض لا يريدون علوا فى الارض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغى والظلم * البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر * ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لانه كان يدعى الالهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير فى لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * (فان قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه آية) ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها * الربوة والرباوة فى رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الارض المرتفعة قيل هى ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر * والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها * والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض وقد اختلف فى زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة * هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه * والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل * قرئ وان بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولان وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها * وقرئ (زبرا) جمع زبور أى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل فى رسل * أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق * الغمرة الماء الذى يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأننى ضارب فى غمرة لعب وعن على رضى الله عنه فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره * وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز فى يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى واستجرارا الى زيادة الاثم

ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون
بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وملئه فاستكبروا وكانوا قوما
عالين فقالوا أنؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون
فكذبوهما فكانوا من المهلكين
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون وجعلنا ابن مريم
وأمه آية وآويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
انى بما تعملون عليم وان هذه
أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم
زبرا كل حزب بما لديهم فرحون
فذرهم فى غمرتهم حتى حين
أيحسبون أنما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم

وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و (بل) استدراك لقوله أيحسبون يعنى بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا فى ذلك أهو استدراج أم مسارعة فى الخير (فان قلت) أين الراجع من خبر أنّ الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله انّ ذلك لمن عزم الامور أى انّ ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالباس (يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يارسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون فى الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لانّ فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات (لها سابقون) أى فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها أو اياها سابقون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله

أنت لها أحمد من بين البشر * يعنى أنّ هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أنّ الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته * بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهمّ اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد * الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه أى يقال لهم حينئذ (لا تجأروا) فانّ الجؤار غير نافع لكم (منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة * قالوا الضمير فى (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذى سوّغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة الا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع الى آياتى الا أنه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوّا فانتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بتهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر فى منطقه اذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ (جاءهم ما لم يأت آباءهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مرّ فانهم

في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين

كانوا على الاسلام وماشككتم فيه من شئ فلا تشكوا فى أن تبعا كان مسلما وروى فى أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا وصحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها أبو طالب فى نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا * الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه برىء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق مانشؤا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر * (فان قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الايمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبى طالب (فان قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه (قلت) ياسبحان الله كان أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضى الله عنهما ويخفى اسلام أبى طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والارض ماقامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب مايقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والارض (بذكرهم) أى بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم * قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ماتخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ماتبرعت به والخراج مالزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر * يحتمل ان هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب * لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذى أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه * واستشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل وهو أطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فان قلت) ماوزن استكان (قلت) استفعل من

الكون

أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون

السكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فان قلت) هلا قيل وماتضرعوا أوفما يستكينون (قلت) لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا * انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك * أي تشكرون شكرا قليلا (وما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (واليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره * وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم * الاساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة اني وأسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق * أي أجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين * وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية * قرئ الاول باللام لاغير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشأم وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ * ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله * أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى * وقرئ أتيتهم وآتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا (لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شئ * (فان قلت) اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف * ما والنون مؤكدتان أي ان كان لابد من أن تريني ماتعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فان قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه * وقرئ اما ترئنهم بالهمز مكان تريني كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة * وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار * كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار * هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا

وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني مايوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة

قوله وقرئ اما ترئنهم الخ هذه نسخة وأخرى اما ترئني بالهمز كما قرئ الخ وأخرى اما ترئنهم بالهمز كما قرئ الخ وتحرر القراءة اه مصححه

لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها
مالم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء
ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم * الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز
الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على
المشي ونحو الهمز الازّ في قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداه
وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضي الله عنه عند تلاوة القرآن وعن
عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار
منهم أو على قوله وانهم لكاذبون * خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله ألا فارحموني يا اله محمد اذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الامر أدركته الحسرة على ما فرط فيه
من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلي أعمل صالحا) في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي
آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أأسس أسا وأبني عليه وقيل فيما
تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار
واستبعاد * والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل صالحا فيما تركت
(هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب
اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أي أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس
المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * الصور بفتح
الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * ونفي
الانساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف
الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من
أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء في السين (فان قلت) قد ناقض
هذا ونحو قوله ولا يسئل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق
بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة
يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني أن التناكر يكون عند
النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس * الموازين جمع موزون وهي
الموزونات من الاعمال أي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد
خبر لاولئك أو خبر مبتدا محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا أن اللفح أشد تأثيرا
* والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة
عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ
سرته وقرئ كلمون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه * والشقاوة
سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما
(اخسؤا فيها) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون)
في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء
كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس أن لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة
ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله
وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرجنا فيجابون

اولم

وقل رب نحن أعلم بما يصفون وقل رب
أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون
حتى اذا جاء أحدهم الموت قال
رب ارجعون لعلي أعمل صالحا
فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها
ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا
أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم
المفلحون ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا أنفسهم
في جهنم خالدون تلفح وجوههم
النار وهم فيها كالحون ألم تكن
آياتي تتلى عليكم فكنتم بها
تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا
أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
قال اخسؤا فيها ولا تكلمون

أولم تكونوا فيناد ون ألقاربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيناد ون أقارب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها * فى حرف أبى أنه كان فريق بالفتح بمعنى لانه * السخرى بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل الخصوصية فى الخصوص وعن الكسائى والفراء أن المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية أى تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى تركتم أن تذكرونى فتخافونى فى أوليائى * وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال) فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم ففى قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وفى قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار * استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة اليها أو لانهم كانوا فى سرور وأيام السرور قصار أو لان المنقضى فى حكم مالم يكن وصدقهم الله فى تقالهم لسنى لبثهم فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها * وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقى اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين * (عبثا) حال أى عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهى أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أى للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه * وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته الى أكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد (لا برهان له به) كقوله مالم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جىء بها للتوكيد لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فالله مثيبه * وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

(سورة النور مدنية وهى ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) خبر مبتدا محذوف و(أنزلناها) صفة أو هى مبتدأ موصوف والخبر محذوف أى فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت فى حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التى فيها وأصل الفرض القطع

انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات

اى جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة فى الايجاب وتوكيده أولان فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرّضت الفرائض أولكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها * رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم (الزانية والزانى) أى جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنا فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء * والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فان قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند أبى حنيفة ست الاسلام والحرّية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعىّ الاسلام ليس بشرط لما روى أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فان قلت) اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لانّ قوله الزانية والزانى عامّ فى الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزانى يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك * وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أنّ الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ويستعملوا الجدّ والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة فى استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فى ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحدّ سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم منى فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة اقامة حدّ بارض خير لاهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرّده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرّحا ولا هينا مفرّقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا الثلاثة الوجه والرأس والفرج وفى لفظ الجلد اشارة الى أنه لا ينبغى أن يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أنّ الجلد حدّ غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعىّ على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعىّ فى تغريب الحرّ واحد وله فى العبد ثلاثة أقاويل يغرّب سنة كالحرّ ويغرّب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرّب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس الاذى فى قوله تعالى فأمسكوهنّ فى البيوت وقوله تعالى فآذوهما * قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمى نكالا * الطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشئ وعن ابن عباس فى تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدّقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لانّ الاربعة هى الجماعة التى يثبت بها هذا الحدّ والصحيح أنّ هذه الكبيرة من أمّهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فانّ فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأمّا اللاتى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأمّا اللاتى فى الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حدّ القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهى الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها

لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين

الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما الى أربعين رجلا من المصدقين بالله * الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وأنكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه (فان قلت) أي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فان قلت) كيف قدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضي الله عنه لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها * وقرئ وحرم بفتح الحاء * القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيئان أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط أربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة * وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فان قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فان قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم (قلت) يجوز عند أبي حنيفة خلافا للشافعي (فان قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزاني الا أنه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها (فان قلت) فاذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحد الا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير * رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضي الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا

استوفى لم تقبل شهادته أبدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودى الشهادة عنده فى أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و (الا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فان الله غفور رحيم) والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا غير أنه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى حنيفة رضي الله عنه أن يكون منصوبا لانه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فان قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبى حنيفة رضي الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الاسلام (قلت) المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار (فان قلت) هل للمقذوف أو للامام أن يعفو عن حد القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال (فان قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبى حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث وعند الشافعي رضي الله عنه يورث واذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية فى حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال فى عائشة رضي الله عنها ❊ قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود فى القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا أو محدودا فى قذف والمرأة محصنة حد كما فى قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول فى الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا ثم تقول فى الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رمانى به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له انى أخاف ان لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس فى مسجده ولعان المشرك فى الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضى بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند أبى حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتى لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رضي الله عنه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن

وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين

يجىء

يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن * وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة أو لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة (فان قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظا عليها لانها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به * الافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم * وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة * أي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه * والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان رضي الله عنه مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضي الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها * والخطاب في قوله (هو خيرا لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها (بأنفسهم) أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما روي أن أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فان قلت) هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا افك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء

الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله * لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى ولولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك * يقال أفاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات * وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضى الله عنها وعن سفيان سمعت أمى تقرأ اذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (فان قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم) والقول لا يكون الا بالفم (قلت) معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم * أى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشئ من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقى الافك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم * (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها (فان قلت) فأى فائدة فى تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغى ويصح أى ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق و (سبحانك) للتعجب من عظم الامر (فان قلت) ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح (قلت) الاصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فان قلت) كيف جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات * أى كراهة (أن تعودوا) أو فى أن تعودوا من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه * وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين و (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح * ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شئ فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة * المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذى تولى كبره منهم (والله يعلم) ما فى القلوب من الاسرار والضمائر (وأنتم لا تعلمون) يعنى أنه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها * وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب والرؤف والرحيم * الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب *

ضرائر

قوله تقرأ اذ تثقفونه هكذا فى نسخ بتاء مثناة فثاء مثلثة وفى نسخة بتاءين مثناتين وعبارة أبى السعود والبيضاوى وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته وتتقفونه أى تتبعونه اه فليحرر ما معه تقرأ به اه مصححه

فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء

ضرائر حرمى تفاحش غارها أى افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه * وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها * وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم * هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه شيأ ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا فى أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت فى شأن مسطح وكان ابن خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسئ * ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبى بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعنى على أسرارها

وكذلك البله من الرجال فى قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله * وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ فى شئ تغليظه فى افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه (فان قلت) ان كانت عائشة هى المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثانى أنها أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدنى من نصر الخبيبين قدى أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر الا أن هذا فى الاسم وذاك فى الصفة (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسئ ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه * أى (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء

والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين

(والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون و (أولئك) اشارة الى
الطيبين وأنهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة ومارميت به
من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت وأنهم مبرؤن
مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث
وكذلك أهل الطيب * وذكر الرزق الكريم ههنا مثله فى قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت
تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد
حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وانى
لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى
يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى
حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا
النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى أن يكون من الاستئناس الذى هو الاستعلام
والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا
الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت
واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثمة
انسان وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة
والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت * والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات
فان أذن له والا رجع وعن أبى موسى الاشعرى أنه أتى باب عمر رضى الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل
قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثة واستأذن رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه
فانه لا يحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل
الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل
مع امرأته فى لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند
الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت فى بيتك اذا رعف عليك
الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية وفى قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفى قراءة أبى حتى
تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن
واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه
فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى
أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أى
أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان * يحتمل (فان لم
تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها
أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر
على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التى يطويها الناس
فى العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف فى ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه
والا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أى لا تلحوا فى اطلاق الاذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على
الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروءة

والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات
أولئك مبرؤن مما يقولون لهم
مغفرة ورزق كريم يا أيها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على أهلها ذلكم خير لكم
لعلكم تذكرون فان لم تجدوا
فيها أحدا فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم وان قيل لكم
ارجعوا فارجعوا

ومن تاضين بالآداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها
من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فى عادات من لم يتهذب من أكثر الناس
وعن أبى عبيد ماقرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فان قلت) هل يصح أن يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع
فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم النهى عن الدخول مع فقد الاذن وحده من أهل الدار
حاضرين وغائبين لم تبق شبهة فى كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن (فان قلت) فاذا
عرض أمر فى دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أى
الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا * ثم أوعد المخاطبين
بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه * استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهى الخانات والربط وحوانيت البياعين * والمتاع المنفعة
كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال
يارسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا
ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين
يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة * من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به
على ما يحل وجوز الاخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه (فان قلت) كيف دخلت فى غض البصر دون حفظ
الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن
وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها
وكفيها وقدميها فى احدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر الا ما استثنى منه
وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن
ابن زيد كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد به الاستتار * ثم أخبر أنه (خبير)
بأفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا
ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كل حركة وسكون * النساء مأمورات أيضا بغض الابصار ولا يحل
للمرأة أن تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من
المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن
أم سلمة رضى الله عنها قالت كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك
بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يارسول أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان
أنتما ألستما تبصرانه (فان قلت) لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج (قلت) لان النظر بريد الزنا ورائد
الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه * الزينة ما تزينت به المرأة من حلى
أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب وما خفى
منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين
وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهى الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء
الزين نفسها ليعلم أن النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر اليها غير ملابسة لها
لا مقال فى حله كان النظر الى المواقع أنفسها متمكنا فى الحظر ثابت القدم فى الحرمة شاهدا على أن النساء
حقهن أن يحتطن فى سترها ويتقين الله فى الكشف عنها (فان قلت) ما تقول فى القراميل هل يحل نظر هؤلاء
اليها (قلت) نعم (فان قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت
القراميل على ما يحاذى ما تحت السرة (قلت) الامر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلى
لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا
كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه (فان قلت) ما المراد بموقع الزينة

هو أزكى لكم والله بما تعملون
عليم ليس عليكم جناح أن
تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون قل
للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم ان الله خبير بما يصنعون
وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن

ذلك العضو كله أم المقدار الذى تلابسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل فى عينيه والخضاب بالوسمة فى حاجبيه وشاربيه والغمرة فى خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء (فان قلت) لم سومح مطلقا فى الزينة الظاهرة (قلت) لان سترها فيه حرج فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (الا ما ظهر منها) يعنى الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح فى الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم فى الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك * كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم * قيل فى نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدى مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضى الله عنهما والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من فى صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء فى حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضى الله عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لاتغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبى حنيفة لايحل استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم (فان قلت) روى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصى فقبله (قلت) لايقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الاسباب (الاربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لايعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية * وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا (لم يظهروا) اما من ظهر على الشئ اذا اطلع عليه أى لايعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهى لغة هذيل (فان قلت) لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال (قلت) سئل الشعبى عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشترك الاب والابن فى المحرمية الا العم والخال وأبناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيدانى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فى التستر * كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهى عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ * أوامر الله ونواهيه فى كل باب لايكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة (فان قلت) قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن

الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا

قوله والقرم روى بالراء والذال اه مصححه

أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم

يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ماقبلها (الايامى) واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أوثيبين قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه عليه السلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه السلام اذا تزوج أحدكم عج شيطانه ياويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لاتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى الى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لاتنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فان قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح * ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شئ ففني وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فأصبحت الى ما ترى (والله واسع) أي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستعفف) وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لا يجدون نكاحا) أي استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ماينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالاعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن مارتب هذه الاوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند أبي حنيفة رضي الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيأ فعقده حالا

منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة
فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه
آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان أداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة
ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة واذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذى هو فى
الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان
شاء لم يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا)
قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه
فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرنى أن آكل غسالة أيدى الناس (وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه
الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفى الرقاب عند
أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فان قلت) هل يحل لمولاه اذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه (قلت)
نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقى طاب للمولى ما أخذه لانه لم يأخذه بسبب
الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو ايجاب على الموالى أن
يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس
رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيأ وعن عمر رضى الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول
عبد كوتب فى الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضى الله عنه وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته
الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبى حنيفة رضى الله عنه على وجه الندب وقال انه عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا
ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن
يكاتبه فأبى فنزلت * كانت اماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبى رأس النفاق ست
جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب
فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفى
الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى * والبغاء مصدر البغى (فان قلت) لم أقحم قوله (ان
أردن تحصنا) (قلت) لان الاكراه لا يتأتى الامع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها
ولا أمره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن
ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أو لهن أو لهم ولهن ان تابوا وأصلحوا وفى
قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف
المكره عليه فى أنها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه
التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه
فتكون آثمة (مبينات) هى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الاحكام والحدود ويجوز
أن يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فى الظرف وقرئ بالكسر أى بينت هى الاحكام والحدود جعل الفعل لها على
المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أى قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة) ما وعظ به فى الآيات
والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله أن
تعودوا لمثله أبدا * نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
أى من الباطل الى الحق وأضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه
وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وأنهم يستضيئون به

ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من
مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء ان أردن
تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا ومن يكرههن فان الله من
بعد اكراههن غفور رحيم
ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
وموعظة للمتقين الله نور
السموات والارض

(مثل

(مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (فى زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامى أزهر * شبهه فى زهرته باحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أى ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور (لا شرقية ولا غربية) أى منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا فى مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى شجرة فى مقنأة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه (يكاد) يضىء من غير نار (نور على نور) أى هذا الذى شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوى النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك أن المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شىء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه (يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على رضى الله عنه الله نور السموت والارض أى نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبى بن كعب رضى الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب الى الدر أى أبيض متلألئ ودرىء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرىء كمريق ودرى كالسكينة عن أبى زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقى والضمير فاصل (فى بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح لهرجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت * والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أوفق له وهو عام فى كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه * وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبى جعفر رضى الله عنه بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما * والآصال جمع أصل وهو العشى والمعنى بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال أصل كاظهر وأعتم * التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه فى الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شىء يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذاك مظنون واما أن يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لاهل الجلب اتجر فلان فى كذا اذا جلبه * التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وتقلب القلوب والابصار اما أن تتقلب وتتغير فى أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت

قوله ودرى كالسكينة كتب عليه فى هامش بعض النسخ قراءة شاذة وهى بفتح الدال وكسرة الراء المهملة وتشديد الياء وشبهه بالسكينة بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة اهـ

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار

القلوب الحناجر واما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر
الابصار بعد أن كانت عميا لا تبصر (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى
والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة
المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض (والله يرزق
ما يتفضل به (بغير حساب) فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى فى الفلاة
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجرى * والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو
المنبسط المستوى من الارض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بتاء مطوطة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وقد
جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال
الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه
الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه
فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد
ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام * اللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو
معظم ماء البحر * وفى (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن
أن يراها ومثله قول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه
من بعيد شيأ ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا
يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من
لج البحر والامواج والسحاب * ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا
الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى الى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب
ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء * والضمير
فى (علم) لكل أو لله وكذلك فى (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما
ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (يزجى) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التى يزجيها
كل أحد لا يرضاها * والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا
فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين أجزائه كما قيل فى قوله بين الدخول فحومل
* والركام المتراكم بعضه فوق بعض * والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل
وقرئ من خلله (وينزل) بالتشديد * ويكاد سناء على الادغام * وبرقه جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة
واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل فى جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء
والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع * و (ويذهب بالابصار) على زيادة الباء كقوله ولا
تلقوا بأيديكم عن أبى جعفر المدنى وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من فى
السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وأنه سخر السحاب التسخير الذى
وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه
حكمته ويريهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار
ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين فى غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على
صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فان قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من فى السموات
ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد فى السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة اخبار
الله اياه بذلك على طريق الوحى (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من السماء من

جبال

ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به

جبال من برد (قلت) الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال (فان قلت) مامعنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الارض جبال حجر والثانى أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب * وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ماوراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشى فى الماشى على بطن والماشى على أربع قوائم * (فان قلت) لم نكر الماء فى قوله (من ماء) (قلت) لان المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فان قلت) فماباله معرفا فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى (قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وذلك أنه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه * (فان قلت) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ماهو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (فان قلت) لم سمى الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا أو الى الفريق المتولى فمعناه على الاول اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولى وحده وعلى الثانى اعلام بأن الفريق المتولى لم يكن ماسبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولى والاعراض والتعريف فى قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا * معنى (الى الله ورسوله) الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه أراد قبل فرط القطا روى أنها نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين على بن أبى طالب رضى الله عنه خصومة فى ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضنى وأنا أخاف أن يحيف على (اليه) صلة يأتوا لان أتى وجاء قد جاآ معديين بالى أو يتصل بمذعنين لانه فى معنى مسرعين فى الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ماذاب لهم فى ذمة الخصم * ثم قسم الامر فى صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه * وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لاسبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان فى قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فان قلت) الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أى وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا * قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه

من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد
سنا برقه يذهب بالابصار يقلب
الله الليل والنهار ان فى ذلك
لعبرة لأولى الابصار والله
خلق كل دابة من ماء فمنهم
من يمشى على بطنه ومنهم
من يمشى على رجلين ومنهم
من يمشى على أربع يخلق الله
مايشاء ان الله على كل شئ قدير
لقد أنزلنا آيات مبينات والله
يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم ويقولون آمنا بالله
وبالرسول وأطعنا ثم يتولى
فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك
بالمؤمنين واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم
معرضون وان يكن لهم الحق
يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم
مرض أم ارتابوا أم يخافون
أن يحيف الله عليهم ورسوله بل
أولئك هم الظالمون انما كان
قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا
سمعنا وأطعنا وأولئك هم
المفلحون

بكنف خفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله فى هذه الآية أسباب الفوز* وعن
ابن عباس فى تفسيرها (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه
(ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية* جهد يمينه مستعار
من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى
الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم
المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال
جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أى أمركم والذى يطلب
منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم
ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون
الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدى طاعة معروفة بالنصب
على معنى أطيعوا طاعة (ان الله خبير) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم
لا محالة ومجازيكم على نفاقكم* صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ
فى تبكيتهم* يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من
أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقى بالقبول والاذعان
فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج
من الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا أن يبلغ ماله نفع
فى قبولكم ولا عليه ضرر فى توليكم* والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية* ومعنى المبين كونه
مقرونا بالآيات والمعجزات* الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتى فى آخر
سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى
اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن النبى صلى الله
عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون
فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب
وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج
الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك النعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون
سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها* وقرئ
كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد (فان قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون فى (ليستخلفنهم)
(قلت) هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى
به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (فان قلت) ما محل (يعبدوننى) (قلت) ان جعلته استئنافا لم يكن له
محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله
ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم
الله (فأولئك هم الفاسقون) أى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا
على غمطها (فان قلت) هل فى هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لان
المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وليس يبعد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف أن يكون غير
المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها* وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين
فى الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله فى الارض حتى يطمعوا هم فى مثل ذلك
وهذا معنى قوى جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره فى قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الاصل

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض

لايحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لايحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لايفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم * أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين * ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لأدى الى الحرج وروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لايدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها * وعن أبي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل * (فان قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة (فان قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة (الاطفال منكم) أي من الاحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لايؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي أن تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لايعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ماهي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فان قلت) ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله

مازال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره * القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لايرجون نكاحا) لايطمعن فيه * والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع

قوله أن لايدخلوا قيل لا زائدة لتأكيد النهي عن الدخول وروى بدونها وقيل على اضمار الارادة وقيل غير ذلك اه مصححه

ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة

خير لهن * لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم (فان قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدأ وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك * كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة فى ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك وعن عكرمة كانت الانصار فى أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يؤدى الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين أكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذى أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فى أن كل واحدة منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر (فان قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت) دخل ذكرهم تحت قوله (من بيوتكم) لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفى الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ولان الولد أقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذى هو أقرب منهم أولى (فان قلت) ما معنى (أو ما ملكتم مفاتحه) (قلت) أموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها فى يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه (فان قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت) معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضى الله عنهم وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق أكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه (جميعا أو أشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب

وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله

سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله * ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا قال لى لشئ كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا * أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا * ومعنى قوله (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب أن يأذن له * والامر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور فى خطب مهم أو تضام لارهاب مخالف أو تماسح فى حلف وغير ذلك أو الامر الذى يعم بضرره أو بنفعه * وقرئ أمر جميع وفى قوله اذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضئ بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة أحدهم فى مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الامر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) * وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الاحسن الافضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر فى الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه * اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا وينادبه باسمه الذى سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل * واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعنى ينسلون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أى ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذى لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح * يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه * الضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر * أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على

مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه

المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما فى خروجها الى معنى التكثير فى نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما ٭ أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير

أخى ثقة لاتهلك الخمر ماله ٭ ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع مافى السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون فى سترها عن العيون واخفائها ٭ وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة فى قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

(سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٭ البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله ٭ والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركى كافر بالفرق ٭ وعن ابن الزبير رضى الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ٭ والضمير فى (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أى مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر (الذى له) رفع على الابدال من الذى نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه (فان قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشئ لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به ٭ (فان قلت) فى الخلق معنى التقدير فما معنى قوله (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) كانه قال وقدر كل شئ فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شئ احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى بابى الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه أو سمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل وأوجد كل شئ فقدره فى ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم ٭ الخلق بمعنى الافتعال كما فى قوله تعالى انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها الا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار ٭ جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل ٭ وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ٭ والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برىء منه اليه (أساطير الاولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء

ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم
(بسم الله الرحمن الرحيم)
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها

واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقى ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (فان قلت) كيف قيل اكتتبها (فهى تملى عليه) وانما يقال أمليت عليه فهو يكتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الانكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الاولين (بكرة وأصيلا) أى دائما أو فى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم * أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فان قلت) كيف طابق قوله (انه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا أما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون أى ان صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم * وأراد بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون (فان قلت) ما وجها الرفع والنصب فى فيكون (قلت) النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما فى حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الامثال) أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير (الذى ان شاء) وهب لك فى الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور * وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويجوز فى ويجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام فى تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة * السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضى الله

فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

عنه أنه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد * والثبور الهلاك أي دعاؤه أن يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أي يقال لهم ذلك أوهم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول * ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم * الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيرا) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * والضمير في (كان) لما يشاؤن * والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم * يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا (فإن قلت) كيف صح استعمال ما في العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب * (فإن قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فإن قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم * وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في

هـداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهـم أضـل البعير فى معنى جعله ضالا أى ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط فى حفظه قيـل أضـله سواء كان منه فعل أو لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهـم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصـدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غيرهما أندادا * ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولوا نادونك أو ما كان ينبغى لنا أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهـم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدنى نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعنى اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحـد وهو من أولياء والاصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معـنى النفى والثانية من المتعدى الى مفعولين فالاول ما بنى له الفعل والثانى من أولياء ومن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام * والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع * والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ * هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسـنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسـل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

* وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعـنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعـنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فان قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء (قلت) اى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يسـتطيعون بالتاء والياء أيضا يعنى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهـم انه ليتصرف أى يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم * الخطاب على العموم للمكلفين * والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظـيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم * الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حـذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد * وقرئ ويمشون على البناء للمفعول أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه فى الاسواق بعد ما احتج عليهـم بسائر الرسل يقول وجرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهـم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهـم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصـبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسـن عملا (بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به وغـيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهـم فان فى صـبرك عليها سعادتك وفوزك فى الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهـم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليـك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعـك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغـيرة

قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا

قوله ولو قرئ يمشون أى معروفا من التمشية لكان أوجه لانه يكون حينئذ مبالغة مشى المخفف فيطابق المشهورة ولا يحتاج الى تقدير تمشيهم حوائجهم أو الناس مشى الرجل ومشى بمعنى وهذه نسخة جيدة وفى نسخة يمشون أى مجهولا من الامشاء لكان أوجه أى مما قرئ مجهولا من التمشية لان الامشاء فى المحسوس والتمشية فى المعانى أكثر هذا حاصل ما فى هامش اه مصححه

والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا اذلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض * أي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا * اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وأن الله لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فان قلت) ما معنى (في أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان * وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه (حجرا محجورا) ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربي منكم وحجر

* (فان قلت) فاذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا * والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة * المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون * والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

فقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى معناه قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين * وقرئ (تشقق) والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذى تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فان قلت) أى فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة * وقرئ وننزل الملائكة وننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل قراءة أهل مكة * الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه * عض اليدين والانامل والسقوط فى اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أقلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع الى مكة فمات * واللام فى (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره * تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد انى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا * وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى * فلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام * والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو أراد ابليس وأنه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله * اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام أكثر * الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجؤا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا * ثم أقبل عليه مسليا ومؤسيا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك) كان كل نبى قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بى هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم * مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أى جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى

وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الاولين والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا * والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفرقا * والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شئ وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما فى عشرين سنة وقيل فى ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قلت) ذلك فى كذلك يجب أن يكون اشارة الى شئ تقدمه والذى تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لان قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها فى صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان فى تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل فى مدة متباعدة وهى عشرون سنة ولم يفرقه فى مدة متقاربة (ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم * ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها أدخل فى الاعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب فى فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته * ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا * الوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا * والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة * كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل

عدوا من المجرمين وكفى بربك
هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه
ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك
بالحق وأحسن تفسيرا الذين
يحشرون على وجوههم الى
جهنم أولئك شر مكانا وأضل
سبيلا ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه أخاه
هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا بآياتنا
فدمرناهم تدميرا وقوم نوح
لما كذبوا الرسل أغرقناهم

صريحاً أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم (للظالمين) إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه * عطف عاداً على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين * وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر * قيل في أصحاب الرس كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها (بين ذلك) أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الأمثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره * والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج * وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له * أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله تعالى أربعاً بأهلها وبقيت واحدة * ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشاً مروا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوماً كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشوراً) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية * إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما * واتخذه هزواً في معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوأً به (أهذا) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار و(بعث الله رسولاً) وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً وقولهم (إن كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و(لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلاً) كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله * من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي * أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذناً ولا إلى تدبره عقلاً ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فإن قلت) لم أخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلهاً (قلت) ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقاً زيداً لفضل عنايتك

قوله يقال له فتخ في أصح النسخ بالتاء المثناة من فوق والحاء المهملة وقيل صح بالخاء المعجمة وقيل بالمنقوطة من تحت والجيم وفي بعض النسخ دمخ اه من هامش كتبه مصححه

وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً

بالمنطلق (فان قلت) مامعنى ذكر الاكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الاداء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فان قلت) كيف جعلوا أضل من الانعام (قلت) لان الانعام تنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته * ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا * ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك * وقبضه اليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شىء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فألقت القبة ظلها على الارض فينانا ما فى أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر * والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر * قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و (بين يدى رحمته) استعارة مليحة أى قدام المطر (طهورا) بليغا فى طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شىء والطهور على وجهين فى العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور أى طهارة (فان قلت) ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله فى البدن لاداء عبادة عند أبى حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فان قلت) فما تقول فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شىء الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال (ميتا) لان البلدة فى معنى البلد فى قوله فسقناه الى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل * وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا * الاناسى جمع انسى أو انسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء والاصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم فى أناعيم (فان قلت) انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير

ألم تر الى ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ثم قبضناه
الينا قبضا يسيرا وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا
وهو الذى أرسل الرياح نشرا
بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا
ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى
كثيرا

على

على فرس جواد لا يصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فان قلت) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قلت) فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فان قلت) لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي (قلت) لان حياة الاناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم * يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى) أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا الا الكفور وأن يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير (فان قلت) هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء (قلت) ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد أن تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر * يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و (لبعثنا في كل قرية) نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وانما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم * والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة * سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه * ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا (فان قلت) (وحجرا محجورا) ما معناه (قلت) هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى

والقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا

(وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى * الظهير والظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى أنها نزلت فى أبى جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم * مثال (الا من شاء) والمراد الا فعل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع فى الثواب من أصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فانى أطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وأنك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه * ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة فى سبيل الله * أمره بأن يثق به ويسند أمره اليه فى استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحى الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس اليه من أمر عباده شئ آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم (فى ستة أيام) يعنى فى مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام وأما الداعى الى هذا العدد أعنى الستة دون سائر الاعداد فلا نشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا الا بداعى حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدى الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنى عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعى الحكمة فى جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه فى قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب أيضا فى أن لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما انما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين * الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أو صفة للحى والرحمن خبر مبتدا محذوف أو بدل عن المستتر فى استوى * وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى * وقرئ فسل والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شئ وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لانهم أنكروا اطلاقه على الله

وكان ربك قديرا * ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا * وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا * قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا * وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا * الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا * واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

(لما تأمرنا) أى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله أمرتك الخير أو لأمر لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفى (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول * البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره * والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار معها * وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهى جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فأضافه اليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان

بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب * الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة أى ذوى عقبة أى يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه * وقرئ يذكر ويذكر وعن أبى بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له فى النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره فى آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا * وقرئ وعباد الرحمن * وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للمشى بمعنى هينين أو مشيا هينا الا أن فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز أخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله ويمشون فى الاسواق (سلاما) تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أى نتسلم منكم تسلما فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبى العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع * البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القرآن فى صلاته وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفا * ر كانا عذابا وكانا غراما

وقال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالى

ومنه الغريم لالحاحه ولزامه * وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (ساءت) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير

أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا
تبارك الذى جعل فى السماء بروجا
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد
شكورا وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما انها ساءت مستقرا ومقاما

اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية اقوالهم * قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة * ووصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فأما فى القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى رجل شيأ الا اشتراه فأكله * والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشئ يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعنى بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أى حرمها والمعنى حرم قتلها و (الا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فان قلت) ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيآت حسنات (قلت) اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا * يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان

مشاهدة

والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور

مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لأن
حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة
ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم
لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن
الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا بأهل
اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا
اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه
لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح
كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وانما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما
هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى أنهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم
فى اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها
مقبلين على من يذكر بها مظاهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا
يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم * قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا
ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ
أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه
يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم * أراد أئمة فاكتفى
بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا اماما
أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أرادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية
ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة
(فان قلت) من فى قوله من أزواجنا ما هى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا
أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فان قلت)
لم قال قرة أعين فنكر وقلل (قلت) أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير
المضاف اليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهى قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تنكير أعين انها أعين
خاصة وهى أعين المتقين * المراد يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على
الجنس والدليل على ذلك قوله وهم فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ فى الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على
الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لأجل الشياع فى كل
مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما والتحية
دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم
عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا
مما رزقتهم فى دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم
الرفع من درجاتهم فى الجنة أتبع ذلك بيان أنه انما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم
لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويحزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة
وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به * والدعاء العبادة
وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى فى محل النصب وهى عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبء يعبأ بكم لولا
دعاؤكم يعنى أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به
من فوادح همومى ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له أى ما اعتددت به من كوارثى ومما يهمنى وقال
الزجاج فى تأويل ما يعبأ بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن يكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول اذا

واذا مروا باللغو مروا كراما
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا
والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين
واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم

أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي أن أحسن الى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فان قلت) الى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضي الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما * وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

(سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها (الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين * البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضي الله عنه باخع نفسك على الاضافة * أراد آية ملجئة الى الايمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فان قلت) كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور أولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة * أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به (فان قلت) كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له (فسيأتيهم) وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم * وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع (ان في) انبات تلك الاصناف (لآية) على أن منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فان قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما

فسوف يكون لزاما
(بسم الله الرحمن الرحيم)
طسم تلك آيات الكتاب المبين
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا
مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين وما يأتيهم من ذكر من
الرحمن محدث الا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم
أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم
يروا الى الارض كم أنبتنا فيها
من كل زوج كريم ان في ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم

وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون

وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الارض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيأ الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون (فإن قلت) فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به الى مصدر أنبتنا فكأنه قال ان في الانبات لآية أي آية وأن يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر * سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم * قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فإن قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الانكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض أخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستحي من الناس (فإن قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون (قلت) اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا * ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فإن قلت) في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فإن قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبرائيل واجعله نبيا وأزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فإن قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته

فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل * أراد بالذنب قتله القبطى وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعنى ولهم على تبعة ذنب وهى قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلونى به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فان قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك فى هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع * جمع الله له الاستجابتين معا فى قوله (كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أى اذهب أنت والذى طلبته وهو هرون (فان قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لان أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا (فان قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أى أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه البرم * (فان قلت) هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل فى الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول أرسلت اليك أن افعل كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك أرسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما * ويروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل * الوليد الصبى لقرب عهده من الولادة * وفى رواية عن أبى عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك * وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت لذلك من الكافرين بنعمتى أو وأنت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون والهيته أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الهتك * فأجابه موسى بأن تلك الفعلة انما فرطت منه

ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا

وهو (من الضالين) أى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ٭ ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمى نعمته الا نقمة حيث بين أن حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدنى قومى وقد كثرت ٭ فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان

(فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء (فان قلت) لم جمع الضمير فى منكم وخفتكم مع افراده فى تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد (فان قلت) تلك اشارة الى ماذا وأن عبدت ما محلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن فى موضع نصب المعنى انما صارت نعمة على لان عبدت بنى اسرائيل أى لو لم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم ٭ لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (وما رب العالمين) يريد أى شئ رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما أن يريد به أى شئ هو من الاشياء التى شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشئ مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وأنه شئ مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شئ واما أن يريد به أى شئ هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هى فأجابه بأن الذى اليه سبيل وهو الكافى فى معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التى هى فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيرى وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير ٭ (فان قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع اليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال فى الهيجا جمالين (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الايقان (قلت) معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع أو ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله ٭ (فان قلت) ومن كان حوله (قلت) أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (فان قلت) ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذى كفر ٭ وقرئ رب المشارق والمغارب الذى أرسل اليكم بفتح الهمزة ٭ (فان قلت) كيف قال أولا

وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون

ان كنتم موقنين وآخران كنتم تعقلون (قلت) لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة فى العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لان معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ＊ الواو فى قوله (أو لو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين أى جائيا بالمعجزة وفى قوله (ان كنت من الصادقين) أنه لا يأتى بالمعجزة الا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين فى دعواك أتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (للناظرين) دليل على أن بياضها كان شيأ يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روى أن فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ＊ (فان قلت) ما العامل فى حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ ونصب فى المحل فالعامل فى النصب اللفظى ما يقدر فى الظرف والعامل فى النصب المحلى وهو النصب على الحال قال ＊ ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقى لا يدرى أى طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (ان هذا الساحر عليم) قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا ألزم (تأمرون) من المؤامرة وهى المشاورة أو من الامر الذى هو ضد النهى جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة ＊ وماذا منصوب اما لكونه فى معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله أمرتك الخير ＊ قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته اذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه (حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه ＊ وقرأ الاعمش بكل ساحر ＊ اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا ＊ أو عبد رب أخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام ＊ وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (ان لنا لاجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وانكم اذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى ＊ أقسموا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك

بالله

قال لئن اتخذت الها غيرى
لأجعلنك من المسجونين قال
أولو جئتك بشئ مبين قال
فأت به ان كنت من الصادقين
فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم
يريد أن يخرجكم من أرضكم
بسحره فماذا تأمرون قالوا
أرجه وأخاه وابعث فى المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن
الغالبين قال نعم وانكم اذا
لمن المقربين قال لهم موسى
ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون

بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة * روى أنهم قالوا ان يك ماجاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء * وانما عبر عن الخرور * بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا مارأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فان قلت) فاعل الالقاء ماهو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو ايمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو اليه هذان والذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال مافعلتم * الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لان كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجىء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا الا لذلك * قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (انكم متبعون) علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فانى سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى فأرسل فرعون فى أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (ان هؤلاء) محكى بعد قول مضمر * والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه * وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المؤدى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوى قال

فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال (كذلك) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى الامر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت (سيهدين) طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم * وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفى معناه بيت الحماسة

أبعد بنى أمى الذين تتابعوا * أرجى الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى انا لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد * الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد * والطود الجبل العظيم المنطاد فى السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أى قربناهم من بنى اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها * وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه * عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدى موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدرى موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان فى ذلك لآية) أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم * وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه * كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال * (فان قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس فى بلادك فيقول ألبس البرد الاتحمى فأجر ذيله بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل * لابد فى (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم * وقرأ قتادة يسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ فى التبكيت * لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا الى أقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم

ويكونون

قوله بل ادارك هذه نسخة وفى نسخ اداركت اهـ مصححه

فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون

ويكونون عليهم ضدا أولان المغرى على عبادتها أعدى أعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال (عدو لى)
تصويرا للمسئلة فى نفسه على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة
من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا مانصحنا
ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه
ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه
التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه مايحكى عن الشافعى أن رجلا واجهه بشئ فقال
لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ماهو بيتى ولا بيتكم والعدو
والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة قال

وقوم على ذوى مئرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الا رب العالمين)
استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك
هدايته المتصلة التى لاتنقطع الى كل مايصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى أن يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا
ومن هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من
هدايات المعاش والمعاد * وانما قال (مرضت) دون أمرضنى لان كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من
الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ماسبب آجالكم لقالوا التخم
* وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هى
قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى وما هى الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست
بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهى تقع مكفرة فماله أثبت لنفسه خطيئة
أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ماسبق لى أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم
ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم فى اجتناب المعاصى والحذر
منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم * (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر فى الدنيا (قلت) لان
أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفى لايعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبى
ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله * والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به فى جملتهم أو يجمع بينه وبينهم فى
الجنة ولقد أجابه حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين * والاخزاء من الخزى وهو الهوان ومن الخزاية وهى
الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفى (يبعثون) ضمير العباد لانه معلوم أو ضمير
الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (الا من أتى الله)
الا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه
أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له
بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين فى معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع
غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه ولك أن
تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من
جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر
المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع
ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله
بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى ومما أكرم الله
تعالى به خليله ونبه على جلالة محله فى الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له
فى قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية
الله وقول آخر هو الذى سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن مارتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع
المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفت ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا

فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم

تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون
حجة ثم صوّر المسئلة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه
وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه
ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم
والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرّة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف
السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بأنهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم
يتحسرون على أنهم المسوقون اليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا * يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما فى كل لحظة
ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم
بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين
برزت لهم الجحيم * والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه اذا ألقى
فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار (وجنود ابليس) شياطينه
أو متبعوه من عصاة الجن والانس * يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى
ذلك بين العصاة والشياطين * والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الاوّلون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل
لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين
(ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لانه لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى
والتباغض قال الله تعالى ألاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
من الذين كنا نعدّهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم
الاصدقاء من شياطين الانس أو أرادوا أنهم وقعوا فى مهلكة علموا أن الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا
يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم * والحميم من الاحتمام
وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فان قلت) لم جمع
الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم
نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو
الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فأعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال
اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع * الكرة الرجعة الى الدنيا * ولو فى مثل هذا الموضع فى معنى
التمنى كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقى فى التقدير ويجوز أن تكون على أصلها
ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت * القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة * ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح
عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد * قيل أخوهم لانه كان منهم من
قول العرب يا أخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

* كان أمينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش (وأطيعون) فى نصحى لكم وفى
ما أدعوكم اليه من الحق (عليه) على هذا الامر وعلى ما أنا فيه يعنى دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون
فاتقوا الله فى طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلة جعل علة
الاول كونه أمينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم * وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد
أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد فى واتبعك * وقد جمع الارذل على الصحة
وعلى التكسير فى قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى
بالديانة وهكذا كانت قريش تقول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الانبياء كذلك حتى

صارت

وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت
الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما
كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم أو ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود ابليس أجمعون قالوا
وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفى ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وما أضلنا الا
المجرمون فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة
فنكون من المؤمنين ان
فى ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت قوم نوح
المرسلين اذ قال لهم أخوهم
نوح ألا تتقون انى لكم رسول
أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسئلكم عليه من أجر ان
أجرى الا على رب العالمين
فاتقوا الله وأطيعون قالوا
أنؤمن لك واتبعك الارذلون

صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أباسفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال مازالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة (وماعلمى) وأى شئ علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم اراذلنا بادى الرأى ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ماهو الرذالة عندهم ثم يبنى جوابه على ذلك فيقول ماعلى الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز (لوتشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا فى ايمانكم وما على الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم * ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وانما أدعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك * فاحكم (بينى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات * الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام * والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا * قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

في الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها * والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام * والمصانع مأخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود فى الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفى حرف أبى كأنكم * وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا (واذا بطشتم) بسوط أو سيف * كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين فى العواقب * بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد * (فان قلت) كيف قرن البنين بالانعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها * (فان قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ * من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس فى قديم الدهر أو ما هذا الذى جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون انكارا لان يتركوا مخلدين فى نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة فى تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة (فيما ههنا)

قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فى ماههنا آمنين

فى الذى استقر فى هـذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وهـذا أيضا اجمال ثم تفصيل
* (فان قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل أول شئ كما يتناول النعم الابل كذلك من
بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير
تسقى جنة سحقا (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر الشجر تنبيها على
انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل * الطلعة
هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
وشماريخه * والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفى طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرنى ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله فى أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لان
الاناث ولادة التمر والبرنى أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء
وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه
قال ونخل قد أرطب ثمره * قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء * وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس
والنشاط ومنه خيل فرهة * استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الامر مطاعا على
المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى (فان قلت)
ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال
بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح * المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة
وانه بشر * الشرب النصيب من الماء نحو السقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا
نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين
وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى رأيت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه
الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك * عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف
العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد * وروى أن مسطعا ألجأها الى مضيق فى شعب
فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين
فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم * (فان قلت) لم أخذهم
العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن
يرى فى بعض الامور رأيا فاسدا ويبنى عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعى أو ندموا ندم تائبين ولكن
فى غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية
وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد * واللام فى العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم * اراد بالعالمين
الناس أى أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على
ذكورهم فى الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
يعنى أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان (من
أزواجكم) يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفى قراءة
ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم * العادى المتعدى فى ظلمه
المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون فى جميع المعاصى فهذا من جملة
ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا
وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من
أخرجوه على أسوإ حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا أجلوا بعض من يغضبون
عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة * و (من القالين) أبلغ من أن يقول انى لعملكم قال كما تقول
فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا فى زمرتهم ومعروفة مساهمته
لهم فى العلم ويجوز أن يريد من الكاملين فى قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد

فى جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم وتنحتون من
الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله
وأطيعون ولا تطيعوا أمر
المسرفين الذين يفسدون
فى الارض ولا يصلحون قالوا
انما أنت من المسحرين ما أنت
الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت
من الصادقين قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب يوم عظيم
فعقروها فأصبحوا نادمين
فأخذهم العذاب ان فى ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت قوم لوط المرسلين اذ
قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون
انى لكم رسول أمين فاتقوا
الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر ان أجرى الا على
رب العالمين أتأتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق
لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم
قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين قال انى
لعملكم من القالين

وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى
تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية
العصمة * (فان قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) (قلت) معناه انه عصمه وأهله من ذلك
الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم
العاصي (فان قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت)
الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان (فان قلت)
(في الغابرين) صفة لها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه الا عجوزا
مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها اهلكت مع من خرج من القرية
بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم * وأما الامطار فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم
حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء (مطر
المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم * قرئ أصحاب
الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد
فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء
كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب
أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة
واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
* (فان قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا ان شعيبا لم يكن من أصحاب الايكة وفي
الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الأيكة * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد
فأمر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي
دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا عليه * قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي * وقيل
هو بالرومية العدل * يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد
أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا * يقال
عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع
الفساد فنهوا عن ذلك * وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة
وهو كقولك والخلق الاولين * (فان قلت) هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) اذا
أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون
مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا
مثلهم * (فان قلت) ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما
أن يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب
المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا * قرئ كسفا بالسكون والحركة
وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه
* والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل الى
التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا
من السماء (ربي أعلم بما تعملون) يريد ان الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان أراد أن
يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا
من عذاب الظلة ان أرادوا بالسماء السحاب وان أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس
عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا
الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا

رب نجني وأهلي مما يعملون
فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الآخرين
وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ان في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذب
أصحاب ليكة المرسلين اذ قال
لهم شعيب ألا تتقون اني لكم
رسول أمين فاتقوا الله
وأطيعون وما أسئلكم عليه
من أجر ان أجري الا على رب
العالمين أوفوا الكيل
ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس أشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين
واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين قالوا انما أنت من
المسحرين وما أنت الا بشر
مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين
فأسقط علينا كسفا من السماء
ان كنت من الصادقين قال
ربي أعلم بما تعملون فكذبوه
فأخذهم عذاب يوم الظلة انه
كان عذاب يوم عظيم

بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة
* (فان قلت) كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه
وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن
تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق الى
تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر
وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت
بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده
بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وانه) وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات
والمراد بالتنزيل المنزل * والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل
الله الروح نازلا به (على قلبك) أي حفظكه وفهمك اياه وأثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى (بلسان عربي) اما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة
هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان
العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به
وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك
ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون
الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام
يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا
في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن يعني ذكره
مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة
على أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح * وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها
خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة
موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية
تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عردت اقدامها

* وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به
انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (فان قلت) كيف خط في المصحف علماء بواو قبل الالف (قلت) خط
على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا * الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه
عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من
يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت
من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت أعجما * سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى
أنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض
بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته
في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه
وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه (ولو نزلناه على بعض) الاعاجم الذي
لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا
ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا
مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل به

ان في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربي مبين
وانه لفي زبر الاولين أولم يكن
لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه على بعض الاعجمين
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين

وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (فان قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فان قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به * وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة (فان قلت) ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل * ثم قال هب أن الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت * وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة اما لان أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (فان قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء * وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري الاعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه * قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحركه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين

علينا بعض الاقاويل فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك * فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه و يبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثانى أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يابنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت محمد وياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ * الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم

وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك فى رفعه أجدلا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع * (فان قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم * يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفى مصاحف أهل المدينة والشأم فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته * ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة * والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم * وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملا الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين

كاذبون

وأنذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى
برىء مما تعملون وتوكل على
العزيز الرحيم الذى يراك حين
تقوم وتقلبك فى الساجدين
انه هو السميع العليم هل أنبئكم
على من تنزل الشياطين تنزل
على كل أفاك أثيم يلقون السمع
وأكثرهم كاذبون

كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرّها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقرّ الصب (فان قلت) كيف دخل حرف الجرّ على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أنّ الاسم دلّ على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه أنّ الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمرّ الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا أدخلت حرف الجرّ على من فقدّر الهمزة قبل حرف الجرّ في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فان قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجرّ صفة لكل أفاك لانه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأنّ قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (فان قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعدما قضى عليهم أنّ كل واحد منهم أفاك (قلت) الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون الا بالافك فأراد أنّ هؤلاء الافاكين قلّ من يصدق منهم فيما يحكى عن الجني وأكثرهم مفتر عليه (فان قلت) وانه لتنزيل ربّ العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرّق بينهنّ وهنّ أخوات (قلت) أريد التفريق بينهنّ بآيات ليست في معناهنّ ليرجع الى المجيء بهنّ وتطرية ذكر ما فيهنّ كرّة بعد كرّة فيدلّ بذلك على أنّ المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدّت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه (والشعراء) مبتدأ و(يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى ابن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حبّ النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد * ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقيّ وعن الفرزدق أنّ سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبيّ مصرّعات * وبتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحدّ فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحدّ بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون * استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد أنّ رجلا من العلوية قال له انّ صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أنّ الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع

والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا

لا كاد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) ومافيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) واطلاقه وقوله (أى منقلب ينقلبون) وابهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أى منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

(سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) قرئ بالتفخيم والامالة و (تلك) اشارة الى آيات السورة * والكتاب المبين اما اللوح وابانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه (فان قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (فان قلت) ما وجه عطفه على القرآن اذا أريد به القرآن (قلت) كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى فى نحو قولك هذا فعل السخى والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك آى كتاب مبين وقرأ ابن أبى عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (فان قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لافرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثانى نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) فى محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أى هادية ومبشرة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هى هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أى جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى فى كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة فى هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا (فان قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق * (فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان فى علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة والثانى أن يكون من المجاز الحكمى فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثانى أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين

وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب
ينقلبون
(بسم الله الرحمن الرحيم)
طس تلك آيات القرآن وكتاب
مبين هدى وبشرى للمؤمنين
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم أعمالهم

لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لان المجاز الحكمى يصححه بعض الملابسات وقيل هى أعمال الخير التى وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن * والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين فى أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر * و (الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من) عند أى (حكيم) وأى (عليم) وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم * وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا * الشهاب الشعلة * والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس * والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله (فان قلت) سآتيكم منها بخبر ولعلى آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجى اذا قوى رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فان قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لاهله أنه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فان قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هى المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لانه لابد من قد (فان قلت) فعلى اضمارها (قلت) لا يصح لانها علامة لا تحذف * ومعنى (بورك من فى النار ومن حولها) بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى حصلت فيها وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبى تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذى بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد فى بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير فى أقاصيها ويبث آثار يمنه فى أباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذى جرى فى تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من أرض الشأم ولقد جعل الله أرض الشأم بالبركات موسومة فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهى مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى اليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فان قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه فى أرض الشأم كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى من ذلك وايذان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن * الهاء فى (انه) يجوز أن يكون ضمير الشان والشان (أنا الله) مبتدأ وخبر و (العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعنى أن مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير * (فان قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لان المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر * وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد فى الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه (انى لا يخاف لدى المرسلون) و (الا) بمعنى لكن لانه لما أطلق نفى الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى * والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبى عمرو فى رواية عصمة حسنا (فى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (الى فرعون) ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم * المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد ابصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهما وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر * الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة * والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا * وفائدة ذكر الانفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأى ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا * (فان قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) * والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر * ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الامور * والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما أصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق

يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير

لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يامذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدأ يقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله ياغافلين والنسر يقول ياابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس * وأراد بقوله (من كل شئ) كثرة ماأوتى كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة فى العلم واستكثارمنه ومثله قوله وأوتيت من كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولافخر أى أقول هذا القول شكرا ولاأقوله فخرا (فان قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثانى أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح فى عين عدو ألاترى كيف أمر العباس رضى الله عنه بأن يحبس أباسفيان حتى تمر عليه الكتائب * روى أن معسكره كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لايتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى مالاتقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لايتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة * قيل هو واد بالشأم كثير النمل (فان قلت) لم عدى أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ماقربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم مادامت الريح تحملهم فى الهواء لايخاف حطمهم * وقرئ نملة يأيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت ياأيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عماشئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى * وقرئ مسكنكم ولايحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لايحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم * ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فان قلت) لايحطمنكم ماهو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للامر وأن يكون نهيا بدلا من الامر والذى جوز أن يكون بدلا منه أنه فى معنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لاأرينك ههنا أراد لايحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسى ومن اشفاقها

قوله واظهار آيينه كذا فى النسخ التى بأيدينا وكتب عليها بالهامش فى نسخة أبهته وزاد فى هامش نسخة وفى الحواشى أى مراتبه وبهائه وقيل لذى القرنين بيت على العدو فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر أقول هذا لفظ أعجمى يستعمل فى السياسة ولهذا يضاف الى الاكبر فى الاكثر اه

وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون

* ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى أنه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم السلام وأما ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة فى وصف ماوجد منه من الضحك النبوى والافبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فان قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شيآن اعجابه بمادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لايشعرون تعنى أنهم لوشعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله ممالم يؤت أحدا من ادراكه بسمعه ماهمس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى * وحقيقة أوزعنى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفك شاكرا لك * وانما أدرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة * ومعنى (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) واجعلنى من أهل الجنة * أم هى المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالى لا أرى) * على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ونحوه قولهم انها لابل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شىء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عقريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف ليذبحنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه فقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله * تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة أقرانه (فان قلت) من أين حل له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له مايستصلح به * وقرئ ليأتينى وليأتين * والسلطان الحجة والعذر (فان قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لامقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتى بسلطان حتى يقول والله ليأتينى بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو فى الحكم الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس فى هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتينى بسلطان مبين عن دراية وايقان (فمكث) قرئ بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير

فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد

قوله عقريت الطير كذا فى نسخ وفى نسخة عريف وهو كذلك فى أبى السعود وقوله قالت بلى أو ليأتينى بعذر مبين هو كذلك فى جميع النسخ التى بأيدينا وفى أبى السعود قالت بلى قال أو ليأتينى الخ اه مصححه

فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله

مستغربا وليبان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بادغام الطاء فى التاء
باطباق وبغير اطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة
والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على أن فى أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما
بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء وأعظم بها
فتنة والاحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول
الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه * سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روى
بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا أيدى سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى أو الاب الاكبر صرف قال

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

وقال

الواردون وتيم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد
المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذى له شأن * وقوله (من سبا بنبا) من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع
وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجئ مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه
صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبا بخبر
لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى النبا من الزيادة التى يطابقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شراحيل
وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها
مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى (تملكهم) راجع الى سبا فان أريد به القوم فالامر ظاهر وان أريدت
المدينة فمعناه تملك أهلها * وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان
ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه
سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان
(قلت) يجوز أن يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله
وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض أمراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم
ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن
وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله
(فان قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شئ) مع قول سليمان وأوتينا من كل شئ كأنه سوى بينهما (قلت)
بينهما فرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا الى
ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطفها الهدهد على الملك فلم يرد
الا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد (فان قلت) كيف خفى على سليمان
مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز
وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب * (فان قلت) من أين للهدهد التهدى
الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد
أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح
العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم
منطقها وجعل ذلك معجزة له * من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن
ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا
ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى وفى حرف
عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون
على الخطاب وفى قراءة أبى ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون

* وسمي الخبء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة
بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول
الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة * وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت الى العظيم هو كلام
الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء
تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على
ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا
ورد ما عمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في
احداهما (قلت) هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن
تركها واحدى القراءتين أمر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله
على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند
الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد
فغير مرجوع اليه (فان قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون
ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وان شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم
(فان قلت) كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم (قلت) بين الوصفين بون
عظيم لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم
تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض * وقرئ العظيم بالرفع (سننظر) من النظر الذي
هو التأمل والتصفح * وأراد أصدقت أم كذبت الا أن كنت من الكاذبين أبلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط
في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم
الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و (يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض
القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة (فان قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ
الجمع (قلت) لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر
الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه
أو وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله
عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب
الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم * هو استئناف وتبيين
لما ألقي اليها كأنها لما قالت اني ألقي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت
وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه
قيل ألقي الي أنه من سليمان ويجوز أن تريد لانه من سليمان ولانه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره
باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في (ألا تعلوا) مفسرة أيضا لا تعلوا
لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن
نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا
على وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه
بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها
فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة
والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة
عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين)
منقادين أو مؤمنين * الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد
بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى

استشارتهم

قوله وقيل من أحطت الخ في التقريب وفيه نظر لان أحطت الخ ظاهر أنه من كلام الهدهد ولعل الخلاف في قوله الا يسجدوا الى العظيم كما في اللباب اه

الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري

استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية * أي لا أبت أمرا الا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف * أرادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد * وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب (والامر اليك) أي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك * كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك * لما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ(ـان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) أي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة * وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة اليهم بهدية) أي مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف * وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا (أتمدونني) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتحاجوني وبنون واحدة أتمدوني * الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه * والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك (تفرحون) بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به الا بالايمان وترك المجوسية (فان قلت) ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت) اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه الى امداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله (فان قلت) فما وجه الاضراب (قلت) لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه

ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

قوله فأخذت شعرة ونفذت فيها عبارة أبي السعود في الدرة وقوله وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها عبارة أبي السعود في الجزعة اهـ مصححه

وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل
الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك
بأنكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم
وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر (لا قبل) لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة
والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير فى منها لسبأ *
والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولا يقتصر بهم
على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا * يروى أنها أمرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل
عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا
يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض
ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه
السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد
أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها * وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية
والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان
اسمه ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب)
رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو ياحى ياقيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت
وقيل ياذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان
عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل
هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا آريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه
الخضر عليه السلام * علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده
علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل * الطرف تحريكك أجفانك
اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف فى نحو قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) أنك ترسل طرفك الى شئ
فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى
طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام
بالشأم بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجئ به كما تقول لصاحبك
افعل كذا فى لحظة وفى ردة طرف والتفت ترنى وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لأنه يحط به عنها
عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة
وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى
نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا
أنت لم ترج لله وقارا (غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته والذى قاله سليمان عليه السلام
عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة
القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته
وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله * وقرئ ننظر
بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه أو للدين
والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه
الابواب ونصبت عليه الحراس * هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل
أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فـ(قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك
من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فان قلت) علام عطف

ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين

قوله بالشأم الظاهر أن يقول بمأرب كما تقدم اه

هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذى سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى
فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها
وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التى تقدمت عند
وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة
ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام
قبلها (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهرانى الكفرة ويجوز أن يكون من
كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل
هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعنى ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الاسلام ثم قال الله تعالى
وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير
حذف الجار وايصال الفعل * وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها * الصرح القصر
وقيل صحن الدار * وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد * والممرد المملس
وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته
الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن
والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن
يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن
والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا
هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها (انه صرح ممرد من قوارير) وقيل هى
السبب فى اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها
وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل
زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا
حتى مات سليمان (ظلمت نفسى) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها
فى اللجة فقالت ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام * وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء
(فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم
أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معى * السيئة العقوبة والحسنة التوبة (فان قلت) ما معنى
استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين أحداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا
يقولون لجهلهم ان العقوبة التى يعدها صالح عليه السلام ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين
أن التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم
واعتقادهم * ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه * كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما
نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذى هو السبب
فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذى
تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أى تشاءمنا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أى سببكم الذى يجئ
منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب
عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه
وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو
يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة (المدينة) الحجر * وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه فى معنى الجماعة
فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع

وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض

قوله وقرئ تطيرنا بكم كذا فى جميع النسخ التى بأيدينا والصواب بك كما هو واضح اهـ
مصححه

ابن مهرج حمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين
سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعنى أن شأنهم
الافساد البحت الذى لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح (تقاسموا)
يحتمل أن يكون أمرا وخبرا فى محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا * وقرئ لتبيتنه بالتاء
والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا أن يكون خبرا والتقاسم
والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال
ليس من آيين الملوك استراق الظفر * وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من
أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان * (فان قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا
مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفى هذا دليل قاطع على أن
الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبى الله
ولم يرضوا لانفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق فى خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب * مكرهم
ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر
على سبيل الاستعارة روى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه
يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا
الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم
أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى
سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (انا دمرناهم)
استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدا محذوف تقديره هى تدميرهم أو نصبه على معنى
لانا أو على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية) حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن
عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف (و) اذكر (لوطا) أو أرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه * واذ
بدل على الاول ظرف على الثانى (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا اليها وان
الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهى مضادة لله فى حكمته وحكمه وعلمكم بذلك
أعظم لذنوبكم وأدخل فى القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لانه أعلم
العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا فى ناديهم يرتكبونها معالنين بها
لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم ما تأتى وذرنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون)
فكيف يكونون علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون
العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها (فان قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه
لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت
الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة * وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع
والمشهورة أحسن (يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا انها لمن
الغابرين فالتقدير واقع على الغبور فى المعنى * أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة
بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شئ وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من
عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما
على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء
والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام

قوله سمعان كذا فى جميع النسخ التى بايدينا بالسين المهملة وفى ابى السعود بالمعجمة اه مصححه

ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفى مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم فى الفتوح والتهانى وغير ذلك من الحوادث التى لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم * معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيأ على شئ الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الايثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التى كانت تجرى تحته * ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله كما عددها فى موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وقرئ يشركون بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فان قلت) ما الفرق بين أم وأم فى أم ما تشركون وأمن خلق (قلت) تلك متصلة لان المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الا آلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وقرأ الاعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والارض خير أم ما تشركون * (فان قلت) أى نكتة فى نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته فى قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتى ذلك محال من غيره ووكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم * والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به (أاله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أالها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا * الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر (فان قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب (قلت) الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم (خلفاء الارض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط * وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفى (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر * (فان قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للاعادة (قلت) قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار (من السماء) الماء (و) من (الارض) النبات (ان كنتم صادقين) أن مع الله الها فأين دليلكم عليه * (فان قلت) لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن فى السموات والارض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار أحد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله

عشية ما تغنى الرماح مكانها * ولا النبل الا المشرفى المصمم

آلله خير أما يشركون
أمن خلق السموات والارض
وأنزل لكم من السماء ماء
فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله
مع الله بل هم قوم يعدلون أمن
جعل الارض قرارا وجعل
خلالها أنهارا وجعل لها رواسى
وجعل بين البحرين حاجزا أاله
مع الله بل أكثرهم لا يعلمون
أمن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض أاله مع الله قليلا
ما تذكرون أمن يهديكم
فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله
مع الله تعالى الله عما يشركون
أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن
يرزقكم من السماء والارض أاله
مع الله قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين قل لا يعلم من
فى السموات والارض الغيب الا
الله

وقولهم ما أتانى زيد الا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه (فان قلت) ما الداعى الى اختيار المذهب التميمى على الحجازى (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى أن علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما فى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الانيس (فان قلت) هلا زعمت أن الله ممن فى السموات والارض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من فى السموات والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمى به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة * وقرئ بل أدرك بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل آدرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وادرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادرك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم فى شك منها بل هم منها عمون * يريد المشركين ممن فى السموات والارض لانهم لما كانوا فى جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم (فان قلت) ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشئ منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذى لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثانى أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذى الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لا طريق الى معرفته وفى أدرك علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقد فسره الحسن رضى الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لانها أم التى بمعنى بل والهمزة (فان قلت) فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم فى الآخرة على سبيل التهكم الذى معناه المبالغة فى نفى العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفى الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (فى الآخرة) فى شأن الآخرة ومعناها (فان قلت) هذه الاضرابات الثلاث ما معناها (قلت) ما هى الا تنزيل لاحوالهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل

وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون

البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون * العامل فى اذا مادل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدى عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهى همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم *(فان قلت) قدم فى هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفى آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام انما سيق لاجله ففى احدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذى تعمد بالكلام وفى الاخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد * لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان تأنيثها غير حقيقى ولان المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين فى ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (فى ضيق) فى حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد فى أمر ضيق من مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال

فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق

يعنى دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل فى قومه وفضول ومعناه أنه متفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش * قرئ تكن يقال كننت الشئ وأكننته اذا سترته وأخفيته يعنى أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمى الشئ الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها فى العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة فى أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة * قد اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أى من بنى اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فان قلت) ما معنى يقضى بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين * أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الابلج الذى لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل (فان قلت) (انك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله

وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالاذى والعداوة فلاءم ذلك
أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم
وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول
لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح
السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر
أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل (فان قلت) ما معنى قوله (اذا ولوا مدبرين)
(قلت) هو تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته
* وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهاد العمى على الاصل وتهدي العمى وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمى
وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى (ان تسمع) أي
ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) أي مخلصون من
قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له * سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا
من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة
* ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى
لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل
وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع
آدم عليه السلام وروى لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها
من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن
علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج
ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم
المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج
من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول
(ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات
وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر
رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشأم ثم اليمن فتفعل مثل ذلك
وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض
تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة
في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر
بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا
وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم
من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى
التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر
لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم
بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول
أو باضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فان قلت) اذا كانت حكاية لقول
الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله
وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم

اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي
العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون
واذا وقع القول عليهم أخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم ان
الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
ويوم نحشر من كل أمة فوجا
ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون

على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود
سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون فى دين الله أفواجا وعن
ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر
قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار (فان قلت) أى فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض
والثانية للتبيين كقوله من الاوثان * الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى
الى احاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا
أذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك
أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا
الا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها أو التكذيب ومثاله
أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعى سوء أتأكل نعمى أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك
وأساسه هو الذى صح عندك من أكله وفساده وترمى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها
الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجىء منه الا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف
ذلك أو أراد أما كان لكم عمل فى الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك
يعنى أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا
قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم
وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الابصار للنهار
وهو لاهله (فان قلت) ما للتقابل لم يراع فى قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا
(قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه
طرق التقلب فى المكاسب * (فان قلت) لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهى الاشعار بتحقق
الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل
وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من
الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور
وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ فى الصور
فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله * وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى
والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز
أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد فى مكانه اذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير
الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة فى مكان واحد (وهى تمر) مرا حثيثا كما يمر السحاب
وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ فى الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به
الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال
صنع الله (الذى أتقن كل شئ) يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء
واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب
ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه
وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولامر ما أعجز
القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده
وأنه ما كان ينبغى أن يكون الا كما قد كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله
بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كل شئ ومن أحسن من الله صبغة

حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة

لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله * وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الاضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة * وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه أضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع (فان قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الاول هو ما لا يخلو منه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية وأما الثانى فالخوف من العذاب (فان قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضى ذلك وفى الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار * أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله * وقيل السيئة الاشراك * يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا فى النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه ايذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول * أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك * والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال انى أعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت وأشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه * ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن * وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك اشارة الى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شئ اللهم بارك لنا فى سكناها وآمنا فيها شر كل ذى شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التى حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبى وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه اياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الانداد عنه والدخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل) ولم يتبعنى فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ * ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التى تلجئهم الى المعرفة والاقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة عن الحسن وعن الكلبى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم الآية * وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين * قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

(سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(من نبإ موسى وفرعون) مفعول نتلو أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كقوله تنبت بالدهن (لقوم يؤمنون) لمن سبق فى علمنا أنه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا فى الارض) يعنى أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم

فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا

أن يلوى عنقه قال الاعشى

وبلدة يرهب الجوّاب دلجتها * حتى تراه عليها يبتغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يتسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط * والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل * وسبب ذبح الابناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل و(يستضعف) حال من الضمير فى وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و(يذبح) بدل من يستضعف وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب * (فان قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد (قلت) هى جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فان قلت) كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا أراد الله شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) متقدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة الى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم * مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم فى الارض وهى أرض مصر والشأم أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم * وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أى يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم * اليم البحر قيل هو نيل مصر * (فان قلت) ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثانى فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف * (فان قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى الله اليها فألقته فى اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله * اللام فى (ليكون) هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجىء والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) فى كل شىء فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطا * روى

يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين

وقالت امرأت فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون

انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا * أو نتبناه فانه أهل للتبنى ولان يكون ولدا لبعض الملوك (فان قلت) (وهم لا يشعرون) حال ذو حالها (قلت) ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطإ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أى جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أى خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر يعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدى به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى بأنه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه * وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره * وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه أى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم * التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشئ فقد منعه ألا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره * روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأنجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فان قلت) كيف حل لها أن تأخذ الاجر على ارضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها

المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين
سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال
لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون
أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان
لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي
ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد
عليه كما قال لقيط

واستحملوا أمركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة * العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء
سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء
وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه * المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر * وحين
غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل
أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل * وقرأ سيبويه فاستعانه (من شيعته) ممن
شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري (من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان
يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون * والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن
مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله * (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي أن
يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت علي) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة
لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وأن يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من
المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته
إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة
أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له
إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين
قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة
حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت علي
من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني
إسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الإخبار وما يقال فيه * ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان
سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يبطش بالضم * والذي هو عدو لهما القبطي لأنه ليس على دينهما
ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل * والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر
الحديث في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا بقتله * قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و (يسعى)
يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة
لجاء لم يجز في يسعى إلا الوصف * والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما
يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب)
التعرض له في الطريق أو أن يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين
ابن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن
عباس خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه * و (سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا
لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل

(ماء مدين) ماءهم الذى يستقون منه وكان بئرا فيما روى * وورود مجيئه والوصول اليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم * والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أى ما مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمى المشؤن شأنا فى قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده * وقرئ لا نسقى و يصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلهما وروى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروى أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة فى المعروف واغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص أمره وما أوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب فى الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء فى ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم (فان قلت) لم ترك المفعول غير مذكور فى قوله يسقون وتذودان ولا نسقى (قلت) لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقى لا المسقى (فان قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا اليه عذرهما فى توليهما السقى بأنفسهما (فان قلت) كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقى الماشية (قلت) الامر فى نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروأة فالناس مختلفون فى ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (انى) لاى شئ (أنزلت الى) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى فى بطنه من الهزال ما سأل الله الا أكلة ويحتمل أن يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له * وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) فى موضع الحال أى مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق * فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فان قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى فى الاخبار وما كانت الا مخبرة عن أبيها بانه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فان قلت) كيف صح له أخذ الاجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل أخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف و يكرم خصوصا فى دار نبى من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار

ولما ورد ماء مدين وجد عليه
أمة من الناس يسقون ووجد
من دونهم امرأتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى
يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير
فسقى لهما ثم تولى الى الظل
فقال رب انى لما أنزلت الى من
خير فقير فجاءته احداهما
تمشى على استحياء قالت ان
أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت
لنا فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين

الفقر والفاقة طلبا للأجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدّم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك * والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص * كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوّجها * وعن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوّته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوّب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه وقولها (انّ خير من استأجرت القوىّ الأمين) كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعنى الكفاية والامانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتمّ مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى ساقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوّته وأمانته (فان قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسما لانّ والقوىّ الامين خبرا (قلت) هو مثل قوله

ألا انّ خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فى أنّ العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنه أمر قد جرّب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر * روى أنه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما (تأجرنى) من أجرته اذا كنت له أجيرا كقولك أبوته اذا كنت له أبا و(ثمانى حجج) ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فان قلت) كيف صح أن ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل انى أريد أن أنكحك (فان قلت) فكيف صح أن يمهرها اجارة نفسه فى رعية الغنم ولا بدّ من تسليم ما هو مال ألا ترى الى أبى حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوّز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لانه فى الاوّل مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الامر على مذهب أبى حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعىّ فقد جوّز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعلّ ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيأ آخر وانما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدّة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى أفعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فان أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتمّ الاجلين وايجابه (فان قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر (قلت) حقيقته أنّ الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الاوقات والمداقة فى استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حدّ الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) يدلّ على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بينى وبينك) خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علىّ ولا أنت عما

قالت احداهما يا أبت استأجره انّ خير من استأجرت القوىّ الأمين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك

أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب

شرطت على نفسك * ثم قال أىّ أجل من الاجلين قضيت أطولهما الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان علىّ) أى لا يعتدى علىّ فى طلب الزيادة عليه (فان قلت) تصوّر العدوان انما هو فى أحد الاجلين الذى هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما أنى ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لاشك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما فى القضاء وأما التتمة فموكولة الى رأيى ان شئت أتيت بها والا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علىّ ولا تبعة علىّ وفى قراءة ابن مسعود أىّ الاجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * علىّ من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فان قلت) ما الفرق بين موقعى ما المزيدة فى القراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة مؤكدة لابهام أىّ زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أىّ الاجلين صممت على قضائه وجرّدت عزيمتى له * الوكيل الذى وكل اليه الامر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدّى بعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضنّ بها فقال غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردّها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أوّل طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أىّ الاجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوّج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت * الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهنّ جميعا العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوّار ولا دعر

* (وقال) *

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرّها والتهابها

* من الاولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة * و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لانّ الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم * وقرئ البقعة بالضم والفتح * والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فان قلت) ما معنى قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) (قلت) فيه معنيان أحدهما أنّ موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لانّ يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضمّ جناحه اليه

فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى انى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين

والثانى أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب (فان قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى و بالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين و يسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمى لها (فذانك) قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فان قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها ﴿ يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

وردئى كل أبيض مشرفى ﴿ شحيذ الحد عضب ذى فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب (ردأ يصدقنى) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء (فان قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وانما هو أن يلخص بلسانه الحق و يبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى الى قوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فأسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله انى أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردأ يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقنى ﴿ العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

أبنى لبينى لستم بيد ﴿ الا يدا ليست لها عضد

و يقال فى دعاء الخير شد الله عضدك وفى ضده فت الله فى عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به ونعينك فاما أن يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة (سلطانا) غلبة وتسلطا أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به فى تسع آيات أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أى تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (فى آبائنا) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا

وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين

بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله
فى فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا
وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها * يقول (ربى أعلم)
منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان
كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده
الظالمون و (عاقبة الدار) هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان
وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فان قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار
لان الدنيا اما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت)
قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله
ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذا عاقبتها الاصلية هى
عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو
على ما فى مصاحف أهل مكة وهى قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام
عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام
هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء
* وقرئ تكون بالتاء والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء
سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه
بنيان أحد من الخلق فكان البانى لا يقدر أن يقوم على رأسه يبنى فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند
غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت
قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك وروى فى هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه
فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها
بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته * قصد بنفى علمه باله غيره نفى وجوده معناه ما لكم
من اله غيرى كما قال الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض معناه بما ليس فيهن وذلك
لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشئ معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثمة كان
انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره
وأن الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وانى لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه السلام
كاذبا فى اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين
بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب فى بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى عليه السلام وان كان جاهلا
مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه فى مكان كما كان هو فى مكان وأنه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد
فى عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الارض ولا ترى بينة أثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملئه
وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعرى أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك
من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان فى نفسه بتلك الصفة
وان صح ما حكى من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول فى غير موضع
من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت
على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال (أوقد لى
يا هامان على الطين) ولم يقل اطبخ لى الآجر واتخذه لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة
أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد

على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضى الله عنه أنه حين سافر الى الشأم ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون * والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى * الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام الفخم الذى دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسى شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وماهى الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته (فان قلت) مامعنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) (قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة الى النار وقلنا انهم أئمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته (فان قلت) فأى فائدة فى ترك المردوف الى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لاثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويتصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم فى الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لانها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) ارادة أن يتذكروا شبهت الارادة بالترجى فاستعيرلها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربى) المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له فى الالواح * والامر المقضى الى موسى عليه السلام الوحى الذى أوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذى أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام فى ميقاته وكتبة التوراة له فى الالواح وغير ذلك * (فان قلت) كيف يتصل قوله (ولكنا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أى وجه يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم (العمر) أى أمد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل فى اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه * ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (اذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام

قوله وجعلنا فيها رواسى كذا فى نسخة وهو الموافق للتلاوة لكن ليس فيه شاهد وفى بقية النسخ وألقينا الخ وفيه الشاهد لكنه مخالف للتلاوة والظاهر أن يقول وألقى فى الارض رواسى أن تميد بهم اهـ مصححه

واستكبر هو وجنوده فى الارض
بغير الحق وظنوا أنهم الينا
لا يرجعون فأخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة
يدعون الى النار ويوم القيامة
لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة
هم من المقبوحين ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس
وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت
من الشاهدين ولكنا أنشأنا
قرونا فتطاول عليهم العمر
وما كنت ثاويا فى أهل مدين
تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا

ليلة المناجاة وتكليمه و (لكن) علمناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أى هى رحمة (ما أتاهم) من نذير فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم * (لولا) الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها فى حكم الامر من قبل أن الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعنى أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك (فان قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهى أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا وانما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدى وتقديم الايدى وان كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل فى أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أولم يكفر آباؤهم (قالوا) فى موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أى تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فان قلت) بم علقت قوله من قبل فى هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولى أن أعلقه بأوتى فينقلب المعنى الى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا فى موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو فى الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه فى كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل على * هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم * (فان قلت) ما الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية وبينه فى قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدى بغير اللام (قلت) هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام ويحذف الدعاء اذا عدى الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف (فان قلت) فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع فى دينه الا (هواه بغير هدى من الله) أى مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف (ان الله لا يهدى) أى لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه * قرئ (وصلنا)

ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول

بالتشديد

بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين * نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم وقيل فى أربعين من مسلمى أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشأم * والضمير فى من قبله للقرآن * (فان قلت) أى فرق بين الاستئنافين انه وانا (قلت) الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا فى الكتب الاول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحى (بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الاذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (فان قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو (لا تهدى من أحببت) لا تقدر أن تدخل فى الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل فى الاسلام (من يشاء) وهو الذى علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الالطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه الى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك كلمة واحدة فانك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكنى أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف * قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس أى قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم فى الحرم الذى آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل أوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (تجبى اليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة * وثمرات بضمتين وبضمة وسكون * ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا أنداده * (فان قلت) بم انتصب رزقا (قلت) ان جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شئ ويرزق ثمرات كل شئ واحد وأن يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم * وانتصبت (معيشتها) اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها

الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه
(الا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافر ومارّ الطريق يوما أو ساعة ويحتمل
أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلا (وكنا نحن
الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خرّبناها وسوّيناها بالارض

تخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث) في القرية التي هي أمّها أي أصلها وقصبتها التي
هي أعمالها وتوابعها (رسولا) لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق
قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم
الانبياء * وقرئ أمّها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر * وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه
لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل
ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكمته
منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم * وأيّ شئ
أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه
(خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لان بقاءه دائم سرمد * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع * هذه الآية تقرير وايضاح لتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة
على وجه التعظيم والاستحقاق وأيّ شئ أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى * و(لاقيه) كقوله تعالى
ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت
من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في عليّ
وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فان قلت) فسر لي الفاءين وثمّ وأخبرني عن مواقعها
(قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى
أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها وأما
الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم فلتراخي حال الاحضار
عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته * وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل
بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو أحسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل (شركاءي)
مبنيّ على زعمهم وفيه تهكم * (فان قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله ولم أزعمك عن ذاك معزلا فأين هما
(قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار
على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم
مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين و(هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغوينا) صفته
والراجع الى الموصول محذوف و(أغويناهم) الخبر * والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم
فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو الا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم والجاء أو دعونا
الى الغي وسوّلوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء
فلا فرق اذا بين غيّنا وغيّهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى
الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد
والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شئ حيث قال لابليس انّ عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا

للحق

فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك

للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا إيانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فعميت عليهم الأنباء) فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي إليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبإ الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك وجمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح * الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار (فإن قلت) فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لأنه مفهوم (سبحان الله) أي الله بريء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالإلهية المختص بها و(لا إله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي * (فإن قلت) الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هنالك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا * والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص * (فإن قلت) هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف * وقيل معنى كونه

ما كانوا إيانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون إن قارون

من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان الى هرون فمالى وروى أنه لما جاوزبهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى أخيه وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بنى اسرائيل أن يجىء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم فى الثياب شبرا * المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح * ويقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله * والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة * ومحل اذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى

وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك * والفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الامر عندى كذا كأنه قال انما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأيى هكذا * يجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة وأخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل (أولم يعلم) فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا * (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك (فى زينته) قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج

وقيل

كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته

وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر * كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه
على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل
الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو
الذي يتمنى أن تكون نعمته له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما
يضر العضاه الخبط * والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ
وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا أحاظ وجدود * ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل * والراجع
في (ولا يلقاها) للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لانه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي
الايمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير * كان
قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن
كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل
وقال ان موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال
نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل
طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه
ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال
وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر
وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك
فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم
الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى عليه السلام
ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله الى
موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا
فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف
بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال
نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع * قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت
المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وي) مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ
وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا
(كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وي كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك
وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله
ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول أو لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو
الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك * وقرأ الاعمش لولا
من الله علينا * وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم
لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها * لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك
ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه
ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها

قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
انه لذو حظ عظيم وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل
صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
فخسفنا به وبداره الارض فما
كان له من فئة ينصرونه من
دون الله وما كان من المنتصرين
وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس
يقولون وي كأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
أن من الله علينا لخسف بنا
وي كأنه لا يفلح الكافرون تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا

ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلوّ لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله انّ فرعون علا فى الارض ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره علىّ والفضيل وعمر * معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيآت) موضع الضمير لانّ فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعنى انّ الذى حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(لرادّك) بعد الموت (الى معاد) أىّ معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد ردّه اليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهور عز الاسلام وأهله وذلّ الشرك وحزبه والسورة مكية فكأنّ الله وعده وهو بمكة فى أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (فان قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب فى معادهم (فان قلت) قوله (الا رحمة من ربك) ما وجه الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك * وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهى فى لغة كلب وقال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقى عن أنوف الحوائم

(بعد اذ أنزلت اليك) بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك * والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذى سبق ذكره (الا وجهه) الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذب به ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أنّ كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

(سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الحسبان لا يصح تعليقه بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لانّ قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دالّ على مضمون فأردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظنّ لا اليقين فلم تجد بدا فى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فان قلت) فأين الكلام الدالّ على المضمون الذى يقتضيه الحسبان فى الآية (قلت) هو فى قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أنّ تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أوّل مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأمّا غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل المجئ بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فان قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشرّ وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة فى قولك خرجت مخافة الشرّ وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشرّ وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين

والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون انّ الذى فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

كما جعلتهما مبتدأ وخبراً ۰ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر
الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الانفس والاموال وبمصابرة الكفار
على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالايمان
أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم
ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال
لتبلونّ فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان
تصبروا وتتقوا فانّ ذلك من عزم الامور وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله وقيل فى ناس أسلموا بمكة فكتب اليهم
المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردّوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم
فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه وهو أوّل قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أوّل من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وامرأته
(ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعنى أنّ أتباع
الانبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين
من نبىّ قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع
المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب
ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمنّ الله) بالامتحان (الذين صدقوا) فى الايمان (وليعلمنّ الكاذبين) فيه (فان قلت)
كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجوداً الا اذا وجد والمعنى وليتميزنّ الصادق
منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعداً ووعيداً كأنه قال وليثيبنّ الذين صدقوا وليعاقبنّ الكاذبين وقرأ
علىّ رضى الله عنه والزهرىّ وليعلمنّ من الاعلام أى وليعرّفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون
بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعنى أنّ الجزاء يلحقهم
لا محالة وهم لم يطمعوا فى الفوت ولم يحدّثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة واصرارهم
على المعاصى فى صورة من يقدّر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا تحسبنّ الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون (فان قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سدّ مسدّ
المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدّر وأم منقطعة ومعنى
الاضراب فيها أنّ هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاوّل لان ذاك يقدّر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظنّ أنه
لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم ۰ لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك
الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتى ويذر فاما أن يلقاه ببشر وترحيب
لما رضى من افعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال
وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فانّ أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى
يصدّق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذى لا يخفى عليه شئ مما
يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال
اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها (فان قلت) فانّ أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) اذا علم أنّ لقاء
الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من
كان يرجو لقاء الله فانّ لقاء الله لآت لانّ الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فانّ يوم الجمعة
قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فانما
يجاهد) لها لانّ منفعة ذلك راجعة اليها وانما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغنىّ عنهم وعن طاعتهم
* اما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤا فى بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أى

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين أم حسب الذين
يعملون السيآت أن يسبقونا
ساء ما يحكمون من كان يرجوا
لقاء الله فانّ أجل الله لآت
وهو السميع العليم ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه انّ الله لغنى
عن العالمين والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم
سيآتهم ولنجزينهم أحسن
الذى كانوا يعملون

يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون أى أحسن جزاء أعمالهم وأما قوم مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصى ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم فى الاسلام * وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الاصلاح

وذبيانية وصت بنيها * بأن كذب القراطف والقروف

كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا و (لا تطعهما) فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك أيها الانسان (ما ليس لك به علم) أى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال لتشرك بى شيأ لا يصح أن يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق * ثم قال الى مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيآن أحدهما أن الجزاء الى فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى الدنيا كما أنى لا أمنعهما رزقى والثانى التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر المرجع والوعيد روى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالاحسان وروى أنها نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام أخواه لامه أسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك وهى أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (فى الصالحين) فى جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى ابراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين أو فى مدخل الصالحين وهى الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية * هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا * واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (انا كنا معكم) أى مشايعين لكم فى دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من المغنم * ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما فى صدور العالمين) من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه * ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين * وقرئ ليقولن بفتح اللام * أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا

ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ

أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى فى المتسمين بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن * (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعنى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم (وليسئلن) سؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أى يختلقون من الاكاذيب والاباطيل * وقرئ من خطيئاتهم * كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة * (فان قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لانه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهى أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فان قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج

وغم طوفان الظلام الاثأبا

(أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة * والضمير فى (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة * نصب (ابراهيم) باضمار اذكر وابدل عنه (اذ) بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعى وأبو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (ان كنتم تعلمون) يعنى ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم * وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص * وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أى خلقا أفكا أى ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك * (فان قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لانه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيأ من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه * وان تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت

انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين

أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير
قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون
وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم

مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها (فان قلت) اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله (قلت) قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة فى معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس ألف سنة فى قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب * (فان قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا فى الارض (قلت) هى حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى أكثر القرآن (فان قلت) فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفى قصة ابراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو مامنى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى أنكم يامعشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه * قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر فى قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك مازلت أوثر فلانا واستخلفه على من أخلفه (فان قلت) هو معطوف بحرف العطف فلابد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله مازلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع الى ما يرجع اليه هو فى قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد * دل بقوله (النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء أى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لاتفاوت بينهما الا أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة (فان قلت) مامعنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعا فى الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم فى الابداء بانه من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذى لايعجزه شئ هو الذى لم يعجزه الابداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الارض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والارض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يئسوا من رحمتى) وعيد أى ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال

اولئك

أولئك يئسوا من رحمتى وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا لله عزوجل خائفا ٭ قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين ٭ وروى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها ٭ قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان أن يكون خبرا لان على أنّ ما موصولة وأن يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى أنّ الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة   وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا انما مودة بينكم فى الحياة الدنيا أى انما تتوادّون عليها أو تودّونها فى الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا ٭ كان لوط ابن أخت ابراهيم وهو أوّل من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (الى ربى) الى حيث أمرنى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو مصلحتى (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرّية الطيبة والنبوّة وأنّ أهل الملل كلهم يتولونه ٭ (فان قلت) ما بال اسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه (قلت) قد دلّ عليه فى قوله وجعلنا فى ذرّيته النبوّة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلوّ قدره ٭ (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذرّيته من الكتب الاربعة التى هى التوراة والزبور والانجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على ابراهيم أو على ما عطف عليه و (الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقرّرة لفحاشة تلك الفعلة كأنّ قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لانّ أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط ٭ وقرئ انكم بغير استفهام فى الاوّل دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون ٭ وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس وأخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث و (المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحلّ الازرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا يتضارطون وقيل السخرية بمن مرّ بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا (ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب ٭ كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتدّ غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين فى دعائه (بالبشرى) هى البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب ٭ واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال   والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم (كانوا ظالمين) معناه أنّ الظلم قد استمرّ منهم ايجاده فى الايام السالفة وهم عليه مصرّون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (انّ فيها لوطا) ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال فى شأنه لانهم لما عللوا اهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأنّ فيها من هو برىء من الظلم وأراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من

فلما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من النار انّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذرّيته النبوّة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية انّ أهلها كانوا ظالمين قال انّ فيها لوطا

الحزن لاجله والتشمر فى نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن
أن لا يحوط المؤمن ألا ترى الى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال
قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب *
وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر
فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته
المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته
وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له
والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة *
الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب *
وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو بينة (وارجوا) وافعلوا
ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان
كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف * والرجفة الزلزلة الشديدة
وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها (فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم أو فى ديارهم
فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله
فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ما وصفه من اهلاكهم (من)
جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها
(وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل
بهم لان الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين
أدركهم أمر الله فلم يفوتوه * الحاصب لقوم لوط وهى ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم
والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا
ومعتمدا فى دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس فى الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت
ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فان قلت) ما معنى قوله (لو كانوا
يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت) معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ
هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه فى دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن
أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح
التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان أوهن ما يعتمد عليه فى الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن
يقول مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى
رجل يبنى بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالتاء والياء
وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيأ (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث
عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ
الحكيم الذى لا يفعل شيأ الا بحكمة وتدبير * كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب
المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) أى لا يعقل صحتها وحسنها
وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هى الطرق الى المعانى المحتجبة فى الاستار حتى تبرزها وتكشف
عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (بالحق) أى بالغرض
الصحيح الذى هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته
ألا ترى الى قوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم

قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه
وأهله الا امرأته كانت من
الغابرين ولما أن جاءت رسلنا
لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا
وقالوا لا تخف ولا تحزن انا
منجوك وأهلك الا امرأتك كانت
من الغابرين انا منزلون على
أهل هذه القرية رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون ولقد تركنا
منها آية بينة لقوم يعقلون والى
مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر
ولا تعثوا فى الارض مفسدين
فكذبوه فأخذتهم الرجفة
فأصبحوا فى دارهم جاثمين
وعادا وثمود وقد تبين لكم من
مساكنهم وزين لهم الشيطان
أعمالهم فصدهم عن السبيل
وكانوا مستبصرين وقارون
وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا
فى الارض وما كانوا سابقين
فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من
أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من أغرقنا
وما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين
اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان
أوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شئ وهو
العزيز الحكيم وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون خلق الله السموات
والارض بالحق ان فى ذلك لآية
للمؤمنين

اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

قال ذلك ظن الذين كفروا * الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها (فان قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهي عن السيآت يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي أن فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال ان المراعي للصلاة لابد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لانها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان أولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف * وقوله (قولوا آمنا بالذي أنزل الينا) من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم * ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب الى من كان قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه * وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (اذا) لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده (فان قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فانه رجل قارئ كاتب (قلت) سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو أن سائر الانبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم

يؤمنوا به وهو غير أمّى (فان قلت) مافائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات فى صدور) العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه أكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ماجاء فى صفة هذه الامة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم المكابرون * قرئ آية وآيات أراد وا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ماتقترحونه لفعل (وانما أنا نذير) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لاتزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان * ان فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لاتشكر * وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق مافى أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض مايقول اليهود فلما أن نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ماذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب (يعلم مافى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ماتعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا أن الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يامحمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذى قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الايكة فأسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم (لمحيطة) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هى محيطة بهم فى الدنيا لان المعاصى التى توجبها محيطة بهم أو لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أى يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ماكنتم تعملون) أى جزاءه * معنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمرى ان البقاع تتفاوت فى ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للامر الدينى فى الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ماسهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هى فى المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرانى الكفرة (فاياى فاعبدون) فى المتكلم نحو اياه فاضربته فى الغائب واياك فاضربك فى المخاطب والتقدير فاياى فاعبدوا فاعبدون (فان قلت) مامعنى الفاء فى

بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون

فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا
العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة
تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص * لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى
يتطلبوا لها أوفق البلاد وان شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها
والاستعداد بجهده (لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة) علالى وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة
يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا
نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم
أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم * وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين
صبروا) على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى
الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت *
والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله
(الله يرزقها واياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم
مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي
لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان
والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا أنه ينساها (وهو
السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما في ضمائركم * الضمير في (سألتهم) لاهل مكة (فأنى
يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع اقرارهم بأنه خالق السموات والارض *
قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (فان قلت) الذي رجع اليه الضمير في قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكان بسط
الرزق وقدره جعلا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء
لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة
(ان الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر
بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين
وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال (بل أكثرهم
لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله
ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن
عنده جناح بعوضة * يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون
(وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة
والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة
حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في
بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن
الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا
الموضع المقتضي للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فان قلت) بم اتصل قوله فاذا ركبوا
(قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد (فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا
الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم الى البر) وآمنوا عادوا الى حال
الشرك * واللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي وكذلك في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم
يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف

كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون

ماهو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله فى انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ماشاؤا وهوناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الامر خطأ وأنه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ماشئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشئ مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ماشئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارّون آمنون فيها لايغزون ولايغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لايقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم * افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا * وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب * وفى قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم فى جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته أن الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون فى جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة * أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل مايجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبى سليمان الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

(سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشأم أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنه الاردن وفلسطين * وقرئ فى أدانى الارض * والبضع مابين الثلاث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع

أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

(بسم الله الرحمن الرحيم) الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين

سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون فى جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى فى احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفى الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده (فان قلت) كيف صحت المناحبة واغاهى قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبى ابن خلف (من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليب من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفى ذلك قوة للاسلام وعن أبى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم نصر المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لان معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه فى معنى وعد * ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء فى أمور الدنيا بله فى أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم أردىء هو أم جيد * وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا * وقوله (ظاهرا من الحيوة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر * وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و (غافلون) خبره والجملة خبر هم الاولى وأن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع واليهم ترجع (فى أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر فى الامر وأجال فيه فكره و (ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أى ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا * والباء فى قوله الا بالحق مثلها فى قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهى ملتبسة بالحق مقترنة به (فان قلت) اذا جعلت فى أنفسهم صلة للتفكر فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها

لله الامر من قبل ومن بعده ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى

من انتهاء الى وقت يجازى بها فيه الحكيم الذى دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا
عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لابد لها من الانتهاء الى ذلك
الوقت * والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من
عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية * ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض)
وحرثوها قال الله تعالى لاذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثورا لاثارته الارض وبقرة
لانها تبقرها أى تشقها (وعمروها) يعنى أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل
واد غير ذى زرع مالهم اثارة الارض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم فى دنياهم لان
معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى
عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان كان هذا أبلغ
لانه خالق القوى والقدر * فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا
ما أوجب تدميرهم * قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأى) تأنيث الاسوإ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث
الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى
العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا) بمعنى لان كذبوا
ويجوز أن يكون أن بمعنى أى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو
نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ
الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام (ثم اليه ترجعون)
أى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء * الابلاس أن يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فأبلس اذا لم ينبس
ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لاترغو * وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (من
شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها أو
وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم * وكتب شفعواء فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمواء بنى اسرائيل
وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها * الضمير فى
(يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين
هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة)
فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى
أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له
وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه
يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن
وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى
فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا أعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء
خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم
يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله
ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا
(محضرون) لايغيبون عنه ولايخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لايفتر عنهم * لما ذكر الوعد والوعيد
أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد * والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء
عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس رضى الله عنهما
هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة
الفجر (وعشيا) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد
فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه
(فان قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله الى أن هذه الآية مدنية (قلت) لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس

وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعواء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة

بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الاكثر أن الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته وفى قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ بمعنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البيضة و(الميت من الحى) البيضة من الطائر * واحياء الارض اخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الابداء والاعادة متساويان فى قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت واحياء الميت واماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لانه خلق أصلهم منه و(اذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم) لتوادّ والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه المودّة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده * ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان * الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فى الحلية فيعروك الخطأ فى التمييز بينهما وتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون * وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون * هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن * يسمعونه بالآذان الواعية * فى (يريكم) وجهان اضمار أن وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من أن تراه وقول القائل

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذى أثير

(خوفا) من الصاعقة أو من الاخلاف (وطمعا) فى الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فان قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون فى المعنى لانهم راؤن فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثانى أن يكون على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطامعين * وقرئ ينزل بالتشديد (ومن آياته) قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد (بأمره) أى بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب

الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت به ابن الطود أو هو أسرع

يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون * قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي (فإن قلت) بم تعلق (من الأرض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل * (فإن قلت) ما الفرق بين إذا وإذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط * وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فإن قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون والمراد به الإعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فإن قلت) لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين (قلت) هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فإن قلت) ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن يتنقل في أحوال ويتدرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور وإما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به * ووصف في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول * (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد * تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب

ومالك

من الأرض إذا أنتم تخرجون وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم

ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أى مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات)
أى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى و يوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك
بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أى اتبعوا
أهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه
شئ (من أضل الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هدايةمثله وقوله (وما لهم
من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت
عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ
عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه و(حنيفا) حال من المأمور أو من الدين
(فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وانما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين
حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى
الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه
مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم
أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه (لا تبديل لخلق الله)أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فان قلت)لم وحد الخطاب أولا ثم جمع
(قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم
للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم)تركوا دين الاسلام
وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع
امامها الذى أضلها (كل حزب)منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون من الذين منقطعا
عما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله
وكل خليل غير هاضم نفسه * الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك * والرحمة الخلاص من
الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) نظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون)
وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا
مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته * وما فى (بما كانوا) مصدرية
أى بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى
بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم
بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها
وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة * ثم أنكر
عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من
المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته * حق ذى القربى صلة الرحم * وحق المسكين
وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد
والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم (فان قلت) كيف تعلق قوله (فآت
ذا القربى) بما قبله حتى جىء بالفاء (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب
أن يفعل وما يجب أن يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أى يقصدون
بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى أو يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة
أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة * هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى
الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم اكلة الربا (من ربا ليربو فى) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا
يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكوة) أى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة

كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله

ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظيره المضعف المقوي والموسر لذي
القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل
أو يهدي له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك
الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذي ليس بحرام
أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما أتيتم من ربا بمعنى
وما غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا أي لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات أي
يزيدها وقوله تعالى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين
يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به
لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما
في الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والاول أملأ بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذي خلقكم)
أي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين
اتخذتموهم أندادا له من الاصنام وغيرها (من يفعل) شيأ قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه
ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله
(من ذلكم) هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من أفعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة
منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد في البر والبحر) نحو الجدب والقحط
وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق
واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس
أجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر
مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور
(بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم
ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك * (فان قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون) (قلت) أما على التفسير الاول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها
ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما
على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم ارادة
الرجوع فكأنهم انما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون
* ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الارض فينظروا كيف أهلك الله الامم
وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب
تدميرهم وأن مادونه من المعاصي يكون سببا لذلك * القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج
(من الله) اما أن يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون
ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته * والمرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون)
يتصدعون أي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية
وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة (فلانفسهم يمهدون) أي يسوون
لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من
نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت
فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة
الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه (ليجزي) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله)
مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون

الا

قوله أقط المشهور أن قط لا تستعمل الا في الماضي اه مصححه

فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله

الابعد حصول ماهو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا * وقد عدد الاغراض في ارسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجرى الفلك) في البحر عند هبوبها * وانما زاد (بأمره) لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر * ولتشكروا نعمة الله فيها (فان قلت) بم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها * اختصر الطريق الى الغرض بان أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فيبسطه) متصلا تارة (ويجعله كسفا) أي قطعا تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء * وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة (ان ذلك) يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شئ) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (فرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت * ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و(لظلوا) جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الانسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن

انه لا يحب الكافرين
ومن آياته أن يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون
ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى
قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا
من الذين أجرموا وكان حقا
علينا نصر المؤمنين الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله
كسفا فترى الودق يخرج من
خلاله فاذا أصاب به من يشاء
من عباده اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم
من قبله لمبلسين فانظر الى آثار
رحمت الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى
وهو على كل شئ قدير ولئن
أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين وما أنت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع
الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون
الله الذي خلقكم من ضعف ثم
جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق
ما يشاء وهو العليم القدير ويوم
تقوم الساعة

تستعجله وجرت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة * وارادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان الا ساعة * القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون (في كتاب الله) في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة * ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه (فان قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك اذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى الى قوله

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله أي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته (ولقد) وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل * ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه والوفاء به * ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

(سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء

يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

الزكاة والايقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الالمعىّ الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

حكى عن الاصمعىّ أنه سئل عن الالمعىّ فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها * اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى و(لهو الحديث) نحو السمر بالاساطير والاحاديث التى لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفى حديث النبىّ صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فان قلت) ما معنى اضافة اللهو الى الحديث (قلت) معناها التبيين وهى الاضافة بمعنى من وأن يضاف الشئ الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه * وقوله يشترى اما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الاعاجم أو من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق * وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و(سبيل الله) دين الاسلام أو القرآن (فان قلت) القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول فى الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه والثانى أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف * (فان قلت) ما معنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشترى بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها * وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشترى أو ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال (فان قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل فى كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ ولا يعجزه يقدر على الشئ وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى (فان قلت) ما محلها من الاعراب (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة أو هى فى محل الجر صفة للعمد أى بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى وهى امساكها بقدرته (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته * والخلق بمعنى المخلوق و(الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأرونى ماذا خلقته

قوله الموسيقار فى بعض الحواشى هو بالراء العالم بصنعة آلة الغناء وبغير راء صنعة الغناء ومعرفة النغم وهى من الالفاظ اليونانية

١٨

ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه

آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة * ثم أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى اذا كفيت وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل واكثر الاقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص أمره فى القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبى كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترانى أسود فقلبى أبيض وروى أن رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال ألست الذى ترعى معى فى مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (أن) هى المفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غنى) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد * قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبى اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لان التسوية بين من لا نعمة الا هى منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه * أى (حملته) تهن (وهنا على وهن) كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو فى موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبى عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن * وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ما ليس لك به علم) أراد بنفى العلم به نفيه أى لا تشرك بى ما ليس بشئ يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شئ (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب الى) يريد واتبع سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا (ثم الى) مرجعك ومرجعهما فأجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة وروى أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه وفى القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا لخرجت لما ارتددت الى الكفر (فان قلت) هذا الكلام كيف وقع فى أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك (فان قلت) فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه الى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه

أحمل امى وهى الحماله * ترضعنى الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله

(فان قلت) ما معنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى فى توقيته بهذه المدة أنها الغاية التى لا تتجاوز والامر

بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى رضى الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لاتثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبى يوسف ومحمد وأما عند أبى حنيفة رضى الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن أبى حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وان أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم * قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة أو الاحسان أى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما أنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر أى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الاشياء فى أخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين يكتب فيها أعمال الكفار * وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر (ان ذلك) مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أى لم يقطعه بالنية ألا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أى مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا فى معنى الفاعل أصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها فى سائر الامم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها * تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون * أراد (ولا تمش) تمرح (مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لأجل المرح والاشر أى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم دينى أو دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس * والمختال مقابل للماشى مرحا * وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا (واقصد فى مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت * وقرئ وأقصد بقطع الهمزة أى سدد فى مشيك من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه (أنكر الاصوات) أوحشها من قولك شئ نكر اذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت * والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه

يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير

ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله

على أنه من كراهة الله بمكان (فان قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما فى السموات) الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما فى الارض) البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ * وقرئ نعمه ونعمة ونعمته (فان قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فان قلت) لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان (قلت) لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غنى غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا أن يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه *(فان قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم فى بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى الى العلم بها وقد أكثروا فى ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن رضى الله عنه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس * معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب * قرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك الى الله (فان قلت) ماله عدى بالى وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى أنه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه * قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (ان الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ الذى لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه * قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الاول * وقرئ يمده ويمده وبالتاء والياء (فان قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى (فان قلت) زعمت أن

قوله

قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال (قلت) هو كقوله
وقد اغتدى والطير فى وكناتها · وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم
الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للارض (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر
ولا واحدة الا قد بريت أقلاما (فان قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم
الله (قلت) معناه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت
جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحى كلام
سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية
وانما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا
التوراة وفيها علم كل شئ (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ ومثله
لا تنفد كلماته وحكمه (الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها أى سواء فى قدرته القليل والكثير والواحد
والجمع لا يتفاوت وذلك أنه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن
شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (ان الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة
واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجرى
فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى
يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى
النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته
(فان قلت) يجرى لأجل مسمى ويجرى الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك
هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم
لصحة الغرض لان قولك يجرى الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لأجل مسمى تريد يجرى
لادراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى
القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته
التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق
الثابت آلهيته وأن من دونه باطل الالهية (وأن الله هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك
الذى أوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن الها غيره باطل وأن الله هو العلى الكبير
عن أن يشرك به * قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض
وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) باحسانه ورحمته
(صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن * يرتفع
الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع
ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار
أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد
قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم
انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

(لا يجزى) لا يقضى عنه شيأ ومنه قيل للمتقاضى المتجازى وفى الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى
عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغنى يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف (الغرور)
الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله أن يتمادى
الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيآتك غرة وقرئ بضم الغين وهو
مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لانها غرور (فان قلت) قوله

ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم فى الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيأ فلذلك جىء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك * روى أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حباتى فى الارض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت ما فى بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك وأهله فى النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه (عنده علم الساعة) أيان مرساها (وينزل الغيث) فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفى بلد لا يتجاوزه به (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا او عازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أى بتأنيث كل فى قولهم كلتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدإ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى انكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لان أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الافعال الواجبة على الاطلاق التى

لا يعرى

ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير
(بسم الله الرحمن الرحيم) الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك

لا يعرى عن وجوه بها مكاف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته (فان قلت) كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله لان نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شئ من الريب وأما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الاعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجى للارادة (فان قلت) ما معنى قوله (ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثانى أن الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا (من السماء الى الارض) ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج اليه) أى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا الى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى أو رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة ألف سنة لان المسافة مسيرة ألف سنة فى الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء الى الارض الى أن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله أى يصير اليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبى عبلة يعرج على البناء للمفعول * وقرئ يعدون بالتاء والياء (أحسن كل شئ) حسنه لانه ما من شئ خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله

قيمة المرء ما يحسن

وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان * وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شئ وخلقه على الوصف أى كل شئ خلقه فقد أحسنه * سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه أى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و (سواه) قومه كقوله تعالى فى أحسن تقويم * ودل باضافة الروح الى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم جميعا * وقرئ أئنا وانا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أو غبنا (فى الارض) بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ على وابن عباس رضى الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضى الله عنه صللنا من صل اللحم وأصل اذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهى الارض (فان قلت) بم انتصب الظرف فى أئذا ضللنا (قلت) بما يدل عليه انا لفى خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا * لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه الى ما هو أبلغ فى الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع الى

لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون

ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا * والتوفي استيفاء النفس وهي
الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك
توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في
مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت لملك الموت الارض
وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت
يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم
فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون لو
الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد
كما تقول فلان لئيم ان اكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت ان أكرم
وان أحسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في
تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له * يستغيثون بقولهم (ربنا
أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما
فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة الى الدنيا (لآتينا كل نفس هداها) على طريق الالجاء والقسر
ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى
دون البصراء ألا ترى الى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان
العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات
أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (انا نسيناكم) على المقابلة أي جازيناكم
جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا
نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء * وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر
الموبقة * (اذا ذكروا بها) أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا
بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من
يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم * داعين ربهم
عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضي الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم
من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون
عنها (ما أخفي لهم) على البناء للمفعول ما أخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفي لهم وما نخفي
لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي * وقرئ من قرة أعين وقرات
أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب
ادخر الله لاولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح
وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان

قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
ولو ترى اذ المجرمون ناكسو
رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا انا نسيناكم
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون
تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء
بما كانوا يعملون

شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا) و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستوون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا * وأما الذين فسقوا) ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك و (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الادنى) عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنه عذاب القبر و (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا اذا تقين العذاب الاكبر (قلت) ارادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى فى نزولها أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على رضى الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان فى مثل حالهما وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا فى عشر آيات وسماك فاسقا * ثم فى قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الاعراض عن مثل آيات الله فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم فى بيت الحماسة

لا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها * (فان قلت) هلا قيل انا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (الكتاب) للجنس والضمير فى (لقائه) له ومعناه انا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم الى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضى فيميز المحق فى دينه من المبطل * الواو فى (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير فى (لهم) لاهل

أذن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم

مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادل عليه (كم أهلكنا) لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره
أولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء
والاموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و (القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون
في مساكنهم) يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الارض
التي جرز نباتها أي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه
قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها أرض اليمن وعن مجاهد رضي الله عنه هي أبين * به
بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء * الفتح
النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح
بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه
كائن و (يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم
بدر وعن مجاهد والحسن رضي الله عنهما يوم فتح مكة (فان قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق
هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه
التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا
فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا
(فان قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء
يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون
ايمانه عند ادراك الغرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله
تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم
فانهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الاجر كأنما أحيا ليلة
القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

(سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن زر قال قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي
يحلف به أبي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن
وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة
والروافض * جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله (يا أيها النبي اتق الله) يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى ياداود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها
بفضله (فان قلت) ان لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول
(قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار
ألا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من
أنفسكم وقال الرسول يارب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي * اتق الله
واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع
الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله
وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان
يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم

كم أهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ان في ذلك
لآيات أفلا يسمعون أولم يروا
أنا نسوق الماء الى الارض الجرز
فنخرج به زرعا تأكل منه
أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون
ويقولون متى هذا الفتح ان
كنتم صادقين قل يوم الفتح
لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون فأعرض عنهم
وانتظر انهم منتظرون
(بسم الله الرحمن الرحيم)
يا أيها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين

صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أباسفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه في الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت (ان الله كان عليما) بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيأ ولا يأمر به الا بداعى الحكمة (واتبع ما يوحى اليك) في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (ان الله) الذى يوحى اليك خبير (بما تعملون) فموح اليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر * ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليها واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشئ الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد ابن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهرى وكان يقول ان لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى انه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى * والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه * (فان قلت) أى فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التى في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع الى الانكار * وقرئ اللاى بياء وهمزة مكسورتين واللاء ى بياء ساكنة بعد الهمزة * وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وأفف الرجل اذا قال أف وأخوات لهن (فان قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى في أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس

ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاءى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم

هذا بحكمه (فان قلت) ما معنى قولهم أنت على كظهر أمي (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت على حرام
كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن
البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره
ووجه آخر وهو أن اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون اذا
أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه
شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك * (فان قلت) الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو
الذي يدعى ولدا فماله جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون
ذلك في نحو رمي وسمي (قلت) ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك
التشبيه اللفظي (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد
لصحته وكونه حقا * والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق * ثم قال
ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل
الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق
النظم * وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه
ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان
(فان لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم اليهم (ف)هم (اخوانكم في الدين) وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا
أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه (ما تعمدت) في محل الجر عطفا على
ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه
الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه
بعد النهي أولا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين
ويجوز أن يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن
أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول
لعمومه خطأ التبني وعمده (فان قلت) فاذا وجد التبني فما حكمه (قلت) اذا كان المتبنى مجهول النسب
وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت
النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت
نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن الخطا وعن العمد اذا تاب
العامد (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شيء من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد
فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها
وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا أعضل خطب ووقاءه اذا
لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة
الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى
بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان
النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو
وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن
فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعني أنهن انما كن
أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن

ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم

وكذلك لم يثبت لهنّ سائر أحكام الامّهات * كان المسلمون فى صدر الاسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم فى الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية أو فى آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أى الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الاجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة * (فان قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) (قلت) من أعمّ العامّ فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبىّ الا فى الوصية تريد أنه أحق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدّى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (ذلك) اشارة الى ما ذكر فى الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مرّ آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام * (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى) وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لانّ من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم به أممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى الهين من دون (فان قلت) لم قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدّم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدّم من قدّمه زمانه (فان قلت) فقد قدّم عليه نوح عليه السلام فى الآية التى هى أخت هذه الآية وهى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ثم قدّم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أنّ الله تعالى انما أوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء فى العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير * (فان قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه فى بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا * (فان قلت) علام عطف قوله (وأعدّ للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبيين لانّ المعنى أنّ الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعدّ للكافرين عذابا أليما أو على ما دلّ عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق (اذ جاءتكم جنود) وهم الاحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدىّ أمّا محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسىّ رضى الله عنه ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتدّ الخوف وظنّ المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب الى الغائط وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها

من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا (زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع * الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بألسنتهم فظن الاولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف فى الوقف زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال أقلى اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها فى الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن فى الامام بألف * وعن أبى عمرو اشمام زاى زلزلوا * وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الازعاج (الا غرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس ابن قيظى ومن وافقه على رأيه وعن السدى عبد الله بن أبى وأصحابه * ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لا مقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجعوا) الى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان * قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها (وما تلبثوا بها) وما ألبثوا اعطاءها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشئ وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه * عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (لن ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل * وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب * (فان قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء فى العصمة ولا عصمة الا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون * كانوا يقولون (لاخوانهم) من ساكنى المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا

وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم

لما لاتهم أبو سفيان وأصحابه نخالوهم * و (هلم الينا) أى قربوا أنفسكم الينا وهى لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد مثل أحضر وقرب قل هلم شهداءكم (الا قليلا) الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيأ قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا (أشحة عليكم) فى وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (ينظرون اليك) فى تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا انصرتم عليه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد * (فان قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الاعمال يجدى عليه فبين أن ايمانه ليس بايمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف أساس أمره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على أن الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا (فان قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكل شىء عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعى ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا رياء وسمعة * وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفى رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدى ويساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه * كان عليكم أن تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه (فان قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) وقرئ اسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه فى نفسه أسوة حسنة أى قدوة وهو المؤتسى أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والثانى أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهى المواساة بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم * يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله أى فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك * وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه فى قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك * وهذا اشارة الى الخطب أو البلاء (ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره * نذر رجال من الصحابة أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعنى حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعنى عثمان وطلحة وفى الحديث من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة (فان قلت) ما قضاء النحب (قلت) وقع عبارة عن الموت لان كل حى لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أى نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته

هلم الينا ولا يأتون البأس الا
قليلا أشحة عليكم فاذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور
أعينهم كالذى يغشى عليه من
الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم
بألسنة حداد أشحة على الخير
أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان
يأت الاحزاب يودوا لو أنهم
بادون فى الاعراب يسألون عن
أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا لقد كان لكم فى رسول
الله اسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا
ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
وصدق الله ورسوله وما زادهم
الا ايمانا وتسليما من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر

شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) فما حقيقة قوله صدقوا
ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني أخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقني سن
بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما أن يكون بمنزلة
السن في طرح الجار واما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم
وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا (وما بدلوا) العهد ولا غيروه لا المستشهد
ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون
كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين
مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما * ويعذبهم (ان شاء) اذا لم
يتوبوا (أو يتوب عليهم) اذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) مغيظين كقوله تنبت
بالدهن (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى
أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وأنزل) الذين ظاهروا الاحزاب من أهل
الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك
وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار
على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك
بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من
كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل
مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة
وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير * وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين *
وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم
في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضي الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضي
الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة ومن
بدع التفاسير أنه أراد نساءهم * أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله
ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وروى أنه قال لعائشة اني ذاكر
لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني
أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا
ولم يبعثني متعنتا (فان قلت) ما حكم التخيير في الطلاق (قلت) اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال
اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة
وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي
اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري
رضي الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار

وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها

وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروى أفكان طلاقا
وعن على رضى الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه
أيضا أنها ان اختارت زوجها فليس بشئ * أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطئ
ثم كثر حتى استوت فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن لاحد أمرين ولم يرد
نهوضهن اليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعكن) أعطكن متعة
الطلاق (فان قلت) المتعة فى الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها فى العقد
متعتها واجبة عند أبى حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه
متعتان احداهما يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد
ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح فى المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد
ابن جبير رضى الله عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة متعة الا المختلعة
والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب
لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فان قلت)
ما وجه قراءة من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير
ضرار طلاقا بالسنة (منكن) للبيان لا للتبعيض * الفاحشة السيئة البليغة فى القبح وهى الكبيرة * والمبينة
الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر فى
حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لان زيادة قبح المعصية
تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء
النبى صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا
يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصى العالم أشد منه للعاصى
الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان أبا حنيفة وأصحابه لا يرون
الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) ايذان بأن كونهن نساء النبى صلى الله عليه وسلم ليس
بمغن عنهن شيأ وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف
عنه * قرئ يأت بالتاء والياء * مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين * يضاعف ويضعف على
البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون * وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون
والقنوت الطاعة وانما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب
المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى * أحد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى
النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه * ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن
كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة
تساويكن فى الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين
جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى وان كنتن
متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات
(فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنهن نهين عن
الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر
الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وأسناد الفعل الى ضمير القول أى فيطمع القول المريب (قولا معروفا)
بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا * وقرن بكسر القاف
من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن
وقرن بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمدانى
فى كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى الى قول عضل والديش

فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن

اجتمعوا فكونوا قارة و (الجاهلية الاولى) هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل مابين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز أن تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر * أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما فى جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ماوراءهما ثم بين أنه انما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى * واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة ما ينفر أولى الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفى هذا دليل بين على أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم من أهل بيته * ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحى وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (ان الله كان لطيفا خبيرا) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم فى دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين * يروى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت * والمسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله * والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به * والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها * والصادق الذى يصدق فى نيته وقوله وعمله * والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى * والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذى اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله * والمتصدق الذى يزكى ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق فى أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين * ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين * والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه (فان قلت) أى فرق بين العطفين أعنى عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت) العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم) * خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يارسول الله فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله أو لان قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرا) من الامور * أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءنى من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعا

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء و (الخيرة) ما يتخير (للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار * (فان قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج * (فان قلت) ما الذى أخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية (فان قلت) فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فانى أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عينى اليك هل تشير الى فأقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد * (فان قلت) كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى صلى الله عليه وسلم التصريح بشئ الا والشئ فى نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وما له لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شئ بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا

واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله

نزل عنها أن ينكحها الآخر فانّ المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شئ حتى انّ الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرّة بزيد ولا باحد بل كان مستجرّا مصالح ناهيك بواحدة منها أنّ بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أمّا من أمّهات المسلمين الى ماذكر الله عزوجلّ من المصلحة العامّة فى قوله لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطرا فبالحرىّ أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرّا * (فان قلت) الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله أحق ماهى (قلت) واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدّتها (زوّجناكها) وقراءة أهل البيت زوّجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ماقرأتها على أبى الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علىّ على أبيه الا كذلك ولا قرأها علىّ بن أبى طالب على النبىّ صلى الله عليه وسلم الا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية يعنى وكان أمر الله الذى يريد أن يكونه مفعولا مكوّنا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين فى تحريمهنّ عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهنّ ويجوز أن يراد بأمر الله المكوّن لانه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله له) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكدا لقوله تعالى ما كان على النبىّ من حرج كأنه قيل سنّ الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارىّ وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرّية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (فى الذين خلوا) فى الانبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يحتمل وجوه الاعراب الجرّ على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون أو على أعنى الذين يبلغون * وقرئ رسالة الله * قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا * ووصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمّته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادّعاء والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما روى أنه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا (فان قلت) أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أنّ هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثانى أنه قد أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فان قلت) أما كان أبا للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشئ آخر وهو أنه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أنّ الحسن والحسين قد عاشا الى أن نيف أحدهما على الاربعين والآخر على الخمسين * قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكنّ بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكنّ رسول الله من عرفتموه أى لم يعش له ولد ذكر وخاتم

وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبىّ من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما

بفتح التاء بمعنى الطابع و بكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقوّ يه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (فان قلت) كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل فى آخر الزمان (قلت) معنى كونه آخر الانبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض امته (اذكروا الله) أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أى فى كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى فى قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلىّ العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان أعنى اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصلّ يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لانّ معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصى والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فانّ كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهى الصلاة فى جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لانّ أداءها أشق ومراعاتها أشد * لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوّا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف (فان قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله (وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هى قولهم اللهمّ صلّ على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أى أحياك وأبقاك وحييتك أى دعوت لك بأن يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى انّ الله وملائكته يصلون على النبىّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أى ادعوا الله بأن يصلى عليه والمعنى هو الذى يترحم عليكم و يترأف حيث يدعوكم الى الخير و يأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من) ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أنّ المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله تعالى انّ الله وملائكته يصلون على النبىّ قال أبو بكر رضى الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم و بشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم * والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم (فان قلت) وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت) هى حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدرا به الصيد غدا (فان قلت) قد فهم من قوله انا أرسلناك (داعيا) أنه مأذون له فى الدعاء فما فائدة قوله (باذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لانّ الدخول فى حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أنّ دعاء أهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع أمر فى غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بأنّ الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله و يسره ومنه قولهم فى الشحيح انه غير مأذون له فى الانفاق أى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حكم التعذر * جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير و يهتدى به أو أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الابصار * ووصفه بالانارة لانّ من السرج

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدّ لهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا

ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة
ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير أو وتاليا
سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك * الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب
واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل
وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوهم به (ولا تطع
الكافرين) معناه الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج (أذاهم) يحتمل اضافته الى الفاعل
والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به
ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله)
فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب
مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم
وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله
على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من
عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من
توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع
خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه * النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث
انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز
أسنمة الآبال في سحابه سمى الماء بأسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح
في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ
الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان * (فان قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به
الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات (قلت) في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والاولى به
أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف
أن يدخل تحت لحاف واحد عدو الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح
المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فان قلت) ما فائدة
ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة
العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها (فان قلت)
اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه
حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فما لكم عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على
النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله
ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا * (فان قلت) ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب اليه (قلت) ان كانت
غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات
وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض
على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن) مهورهن لان المهر أجر على البضع
وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد (فان قلت) لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء
الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى
واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك أن تسمية المهر
في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة
ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم
وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار

وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن

الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي
من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى (مما أفاء الله عليك)
لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك
اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ
بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل
له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء
المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب
بنت خزيمة أم المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن * قرئ (ان وهبت)
على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا
محذوفا معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن
مسعود بغير ان * (فان قلت) ما معنى الشرط الثاني مع الاول (قلت) هو تقييد له شرط في الاحلال
هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها
وأنت تريد أن تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم (فان قلت) لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله
تعالى (نفسها للنبي ان أراد النبي) ثم رجع الى الخطاب (قلت) للايذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على
لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ
الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ
يحتاج الى دليل وقال أبو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن
وقال أبو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر
مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر
غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الاحلالات الاربع مخصوصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت
أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من
دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى
أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه
واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ
خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه
هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفورا) للواقع في الحرج اذا تاب (رحيما) بالتوسعة على
عباده * روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى
ان عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني أرى ربك يسارع في هواك (ترجي) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوي)
تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن
شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو
الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن
يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم

وما ملكت يمينك مما أفاء الله
عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامرأة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي ان أراد
النبي أن يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين قد علمنا
ما فرضنا عليهم في أزواجهم
وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون
عليك حرج وكان الله غفورا
رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي
اليك من تشاء ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك

لهن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن ارجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوّى مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوّى بينهن فى الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما فى قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر * كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيد لهن فى آتيتهن * (لا تحل) وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقى واذا جاز بغير فصل فى قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو ببعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبى صلى الله عليه وسلم عليهن وهى التسع اللاتى مات عنهن عائشة بنت أبى بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبى سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبى أمية صفية بنت حيى الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية رضى الله عنهن * من فى (من أزواج) لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتى نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح وقيل فى تحريم التبدل هو من البدل الذى كان فى الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وأبادلك بامرأتى فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضى الله عنها من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعنى أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما أن يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدل لا من المفعول الذى هو من أزواج لانه موغل فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن * واستثنى ممن حرم عليه الاماء (رقيبا) حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه (أن يؤذن لكم) فى معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و (غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبى صلى الله عليه وسلم الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد أن يدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم الا أن يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن أبى عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هى * وانى الطعام ادراكه يقال أنى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن

ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولا مستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ✽ لابد فى قوله (فيستحيى منكم) من تقدير المضاف أى من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيى من الحق يعنى أن اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ✽ ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الافعال قيل (لا يستحيى من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحى بياء واحدة ✽ الضمير فى (سألتموهن) لنساء النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسألوهن) المتاع قيل ان عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء فى المسجد فقال ان احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضى الله عنها يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب ✽ وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده ✽ وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلى منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثانى فى هدم الثلاث مما يجرى مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك (ان تبدوا شيأ) من نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة أهول وأجزل روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أونحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أى لا اثم عليهن فى أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وأبناؤهما غير محارم ✽ ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى فى حفظهما وليكن عملكن فى الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن (ان الله كان على كل شئ) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت فى علمه الاحوال ✽ قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أى قولوا الصلاة على الرسول

ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن

والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فان قلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب اليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار (فان قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فان قلت) فما تقول في الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد أن بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان أذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا) بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول * الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق الى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن

يعرفن) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن (فان قلت) ما معنى من فى من جلابيبهن (قلت) هو للتبعيض الا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة فى درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها والثانى أن ترخى المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدى أن تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين فى قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الافاعيل التى تسوءهم وتنوءهم ثم بأن تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها (الا) زمنا (قليلا) ريثما يرتحلون ويتلقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر فى قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل فى قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين (فان قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك (فان قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) لو جعل الثانى مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا * كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين (قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة فى معنى اليوم أو فى زمان قريب * السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد * وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أى نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها فى النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا * وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم * يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف * وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل

فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا

قوله أو طرحها فى النار الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وعبارة أبى السعود أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين اه فتأمل اه مصححه

أحياء الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب فى جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه برىء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك (فان قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لان ما اما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسد قولهم فى كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق فى المجىء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله تعالى فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعى الى تركه * لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة) وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما أن الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز * وأما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما فى يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق أخيك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الانسان فابين الا أن يؤدينها وأبى الانسان الا أن يكون محتملا لها لا يؤديها * ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثانى أن ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته (انه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن فى الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فان قلت) قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لانه مثلت حاله فى تميله وترجحه بين الرأيين وتركه

يا أيها [الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا] وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

المضىّ على أحدهما بحال من يتردّد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضىّ فى وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شئ مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك مافى هذه الآية فانّ عرض الامانة على الجماد وإباءه واشفاقه محال فى نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا أن تشبه شيأ والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به فى الآية وفى قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفى نظائره مفروض والمفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها * واللام فى ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لانّ التعذيب نتيجة حمل الامانة كما أنّ التأديب فى ضربته للتأديب نتيجة الضرب * وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافى كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

(سورة سبأ مكية وهى اربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مافى السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذى كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد فى الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فان قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أمّا الحمد فى الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب وأمّا الحمد فى الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون * ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلج فى الارض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع فى الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هى له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفرطين فى أداء مواجب شكرها * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ننزل بالنون والتشديد * قولهم (لا تأتينا الساعة) نفى للبعث وانكار لمجىء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد * أوجب ما بعد النفى ببلى على معنى أن ليس الامر الا اتيانها ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمدّ التوكيد القسمىّ امدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزى لانّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوّة حال المقسم عليه وشدّة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فان قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أنّ قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية وأوّلها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شئ من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا (فان قلت) الناس قد أنكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الايمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو فى معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله فى العقول وركب فى الغرائز وجوب الجزاء وأنّ المحسن لا بدّ له من ثواب والمسىء لا بدّ له من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له * قرئ

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما
(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم

لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند الى عالم الغيب أى ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك وقال أو يأتى أمر ربك * وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر فى الزاى من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) اشارة الى مثقال ذرة * وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفى الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فان قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفى وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير فى عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب فى اللوح لأن اثباتها فى اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شىء ولا يزل عنه الا مسطورا فى اللوح * وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر * وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) فى موضع الرفع أى ويعلم أولوا العلم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما الذى أنزل اليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة فى موضع المفعول الثانى وقيل يرى فى موضع النصب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزداد واحسرة وغما (الذين كفروا) قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب أنكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد * أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه * ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون فى شىء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما فى الحقيقة مقترنان * وقرأ زيد بن على رضى الله عنه ينبيكم (فان قلت) فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الاموات فى بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح * (فان قلت) ما العامل فى اذا (قلت) ما دل عليه انكم لفى خلق جديد وقد سبق نظيره * (فان قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذى جده الناسج الساعة فى الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهى عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك * (فان قلت) لم أسقطت الهمزة فى قوله أفترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم الى ترك اسقاطها فى نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام * (فان قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل (فان قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما فى قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول فى أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلى ببعض الاحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا

قوله وبالفتح على نفى الجنس وقوله والنصب كذا فى النسخ والظاهر العكس فان أصغر منصوب لشبهه بالمضاف وحول وقوة مفتوحين لعدم الشبه بالمضاف الا أن يقال جرى على مذهب من يطلق ألقاب الاعراب على ألقاب البناء وبالعكس اه

عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض

وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (انّ فى ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع الى ربه المطيع له لانّ المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به ● قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه ● وقرأ الكسائى يخسف بهم بالادغام وليست بقوية (يا جبال) امّا أن يكون بدلا من فضلا وامّا من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال ● وقرئ أوّبى وأوبى من التأويب والاوب أى رجعى معه التسبيح او ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها ● وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوّزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فان قلت) أىّ فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى الى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا اشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرّفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدّة القوّة ● وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أوّل من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدّق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدّر) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق ● والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله ● (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوّها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أنّ بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشأم ان شاء الله ● القطر النحاس المذاب من القطران (فان قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت) أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى أرانى أعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (باذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه ● وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى ● المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد ● والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فان قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لانّ التمثال كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصوّر محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد

ان نشأ نخسف بهم الارض أو
نسقط عليهم كسفا من السماء
ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب
ولقد آتينا داود منا فضلا
يا جبال أوّبى معه والطير وألنا له
الحديد أن اعمل سابغات وقدّر
فى السرد واعملوا صالحا انى بما
تعملون بصير ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر
وأسلنا له عين القطر ومن الجن
من يعمل بين يديه باذن ربه ومن
يزغ منهم عن أمرنا نذقه من
عذاب السعير يعملون له
ما يشاء من محاريب وتماثيل
وجفان كالجواب

بسط الأسدان له ذراعيهما واذا اقعد أظله النسران بأجنحتهما * والجوابي الحياض الكبار قال

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية السيح العراقي تفهق

لان الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود وانتصب (شكرا) على أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر * قرئ فلما قضي عليه الموت * ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فأضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة * وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا * والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر * وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى * و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة أبي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الانس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام

وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان

أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أنّ افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه * قرئ (لسبا) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا * ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فان قلت) ما معنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين فى أنفسهما آية وانما جعل قصتهما وأنّ أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره (فان قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) اما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم) الجرذ الذى نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقيهم فلما طغوا قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل العرم المطر الشديد * وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر * والخمط شجر الاراك وعن أبى عبيدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله * والاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نوّن أنّ أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلانّ أكل الخمط فى معنى البرير كأنه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لانّ الاثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيأ بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا * وقرئ وهل يجازى وهل نجازى بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أنّ مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو أنّ الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عامّ للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العامّ وانما أراد الخاص وهو العقاب

لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن
يمين وشمال كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتى أكل خمط وأثل
وشىء من سدر قليل ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل
نجازى الا الكفور

بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما تخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التى باركنا فيها) هى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادى منهم يقيل فى قرية والرائح يبيت فى قرية الى أن يبلغ الشأم لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فان قلت) ما معنى قوله (ليالى وأياما) (قلت) معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن ● قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشأم مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فجعل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم ● وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرقوا أيادى سبا قال كثير

أيادى سبا يا عز ما كنت بعدكم ● فلم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم ● قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة فى صدق كقوله صدقت فيهم ظنونى ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ● والضمير فى عليهم واتبعوه اما لاهل سبا أو لبنى آدم ● وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا) لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم ● وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (فى السموات ولا فى الارض وما لهم) فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض (وما له منهم) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فان قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثانى فلا يخلو اما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثانى لانهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقى أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة

وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير

قوله عند اخبار الله الملائكة الخ فى البيضاوى أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم اه مصححه

من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين * تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أى لشفيعه أو هى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فان قلت) بم اتصل قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) ولأى شئ وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملى من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون كليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن * تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ أذن له أى أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ أى نفى الوجل عنها وأفنى من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ ثم ترك ذكر الوجل وأسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبى علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى * أمره بأن يقررهم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لان الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا * وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الذين يتوحدون بالرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق منى ومنك وان أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(فان قلت) كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال (قلت) لان صاحب الحق كأنه مستعل

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون

على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه وفى قراءة أبى وانا أو اياكم اما على هدى أو فى ضلال مبين * هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فيه من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام * وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار * (فان قلت) ما معنى قوله (أرونى) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله (هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو ضمير الشان كما فى قوله تعالى قل هو الله أحد (الا كافة للناس) الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه فى الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطأ الاول الا بالخطا الثانى فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فان قلت) فما تأويل من أضافه الى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعنى يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعنى التعظيم (فان قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * الذى بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل فى الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب * والمستضعفون هم الاتباع * والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون * أولى الاسم أعنى نحن حرف الانكار لان الغرض انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد اذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول فى الايمان وصحت نياتكم فى اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فان قلت) اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها (قلت) قد اتسع فى الزمان ما لم يتسع فى غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل فى قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد * لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين

قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا

وبل مكرّ الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرّون الاغواء مكرًا دائبا لا تفترون عنه (فان قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكرّكم أو مكرّكم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرّون الاغواء مكرّ الليل والنهار * (فان قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لانّ الذين استضعفوا مرّ أوّلا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاوّل * (فان قلت) من صاحب الضمير فى (وأسرّوا) (قلت) الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمّهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة أسرّوا الكلام بذلك بينهم وقيل أسرّوا الندامة أظهروها وهو من الاضداد * هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أىّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أنّ المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا الى أحوالهم فى الدنيا * وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأنّ الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق * وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه * وقرئ يقدّر بالتشديد والتخفيف * أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقرّبكم وذلك أنّ الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث ويجوز أن يكون التى هى التقوى وهى المقرّبة عند الله زلفى وحدها أى ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب * وقرأ الحسن باللاتى تقرّبكم لانها جماعات وقرئ بالذى يقرّبكم أى بالشئ الذى يقرّبكم * والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أى تقرّبكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن) استثناء من كم فى تقرّبكم والمعنى أنّ الاموال لا تقرّب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرّب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة (جزاء الضعف) من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء * قرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفى الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوّضه لا معوّض سواه امّا عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد وامّا آجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فانّ الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأوّلنّ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فانّ هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم ربّ العزة لانّ كل من رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى * هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك أعنى واسمعى يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشدّ وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا

وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل انّ ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل انّ ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم

ان اقتص عليه * والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي
وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي
نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم
لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث
أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها * وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء
* الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب
والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون
ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو وحده * ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا)
معطوفا على لا يملك * الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق
والحق أمر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله
(للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وفي لما من المبادهة بالكفر دليل على
صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة
المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه (ان هذا الا سحر مبين) فبتوا القضاء
على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا * وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على
صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال
كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة
متعلق كما يقول أهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله
ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا
* وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال * فحين كذبوا رسلهم
جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء * وقرئ
يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتب ودرس الكتاب ويدرسونها بتشديد
الدال يفتعلون من الدرس * والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع * (فان قلت) ما معنى (فكذبوا رسلي)
وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين
من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله (بواحدة)
بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم اما القيام عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين
ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق
وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) في أمر محمد
صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه
وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما
الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها
ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم
مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك
يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب * وأراهم بقوله (ما بصاحبكم
من جنة) أن هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما

بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا
ما هذا الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الا سحر مبين وما
آتيناهم من كتب يدرسونها
وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير
وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير قل انما
أعظكم بواحدة أن تقوموا لله
مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة

مجنون لايبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لايدرى ما الافتضاح ومارقبة العواقب وامّا عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لايدعيه الابعد صحته عنده بحجته وبرهانه والافما يجدى على العاقل دعوى شئ لابينة له عليه وقد علمتم أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم مابه من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فاذا أتى بها تبين أنه نذير مبين * (فان قلت) مابصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عزوجلّ على طريقة النظر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا مابصاحبكم من جنة وقد جوّز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدى عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذى هو قوله ماسألتكم من أجر تقديره أىّ شئ سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى مايفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفى مسئلة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ولكنه يريد به البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثانى أن يريد بالاجر ما أراد فى قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وفى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودّة فى القربى لانّ اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم ومافيه نفعهم وكذلك المودّة فى القرابة لانّ القرابة قد انتظمته واياهم (على كل شئ شهيد) حفيظ مهيمن يعلم أنى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه ولا أطمع منكم فى شئ * القذف والرمى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فى التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل انّ واسمها أو على المستكن فى يقذف أو هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذى غاب وخفى جدّا * والحىّ امّا أن يبدئ فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لايبدئ ولايعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد

اقفر من أهله عبيد * فاليوم لايبدى ولايعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقا جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد * والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله أى ماينشئ خلقا ولايعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لايبدئ لاهله خيرا ولايعيده أى لاينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أىّ شئ ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك * قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظلّ وظللت أظلّ وقرئ اضلّ بكسر الهمزة مع فتح العين * (فان قلت) أين التقابل بين قوله فانما أضلّ على نفسى وقوله فيما يوحى الىّ ربى وانما كان يستقيم أن يقال فانما أضلّ على نفسى وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها أو يقال فانما أضلّ بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لانّ النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أنّ كل ماهو وبال عليها وضارّ لها فهو بها وبسببها لانها الامّارة بالسوء ومالها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عامّ لكل مكلف وانما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لانّ الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضالّ ومهتد وفعله لايخفى عليه منهما شئ (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضىّ والمراد بها الاستقبال لانّ ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ماقد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى خسف

ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد قل ان ضللت فانما أضلّ على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا

البيداء ودلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون
الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت * والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر
الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم (فان قلت)
علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على
لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت
هناك وهناك أخذ (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمروره ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة * والتناوش
والتناول أخوان الا أن التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا
فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع
المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس
ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى أجوه وأدؤر وعن أبى عمرو
التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت
تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية
يعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر
ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا
الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم
وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم
اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم
آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن
يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله
بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب
والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب
وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع
الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا
(بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) اما من أرابه اذا أوقعه فى الريبة
والتهمة أو من أراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا أن بينهما فرقا وهو أن المريب من
الاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب
الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى
الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

(سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما فاطر
السموات والارض حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر
السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى
أجنحة) أصحاب أجنحة وأولوا اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة
(مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الاعداد
عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير وأما الوصفية
فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا ترى انك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج
عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة

فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع

وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه
مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى
للطيران وأعون عليه (فان قلت) قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة
(قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض
الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر
من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى
جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له
في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة
فأتاه جبريل في صورته فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه
على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف
لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل
الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة
الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء
وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان
ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف * استعير الفتح للاطلاق
والارسال ألا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة
رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها * وتنكير الرحمة للاشاعة
والابهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها وأي شيء يمسك
الله فلا أحد يقدر على اطلاقه * (فان قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخرا وهو راجع في الحالين الى الاسم
المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى
الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير
ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير * وقرئ فلا مرسل لها (فان قلت) لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره
(قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من
غضبه ورحمته وانما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فان قلت) فما تقول فيمن فسر
الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنهما (قلت) ان أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي
أراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان أراد أنه ان شاء أن يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب
فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد امساكه كقوله تعالى فمن
يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على
الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه * ليس المراد بذكر
النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها
والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها
والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية * وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف
لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء * (فان قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل
اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم
تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله (فان قلت) هل فيه دليل على أن الخالق
لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة

يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض

وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم فى الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفى بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له فى الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعنى بالتكذيب عن التأسى (فان قلت) ما معنى التنكير فى رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة * وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود * أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذى لا عدو أعرق فى العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم * ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير * ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو أن يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق آمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه * حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات

وقرئ فلا تذهب نفسك (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم * وقرئ أرسل الريح * (فان قلت) لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلادهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه * والكاف فى (كذلك) فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق * كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة * ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أى يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل * (فان قلت) مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب (السيآت) (قلت) هذه صفة للمصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيآت أو أصناف المكر السيآت وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته أو قتله أو اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة رضى الله عنه زوج بعضهم بعضا (بعلمه) فى موضع الحال أى الا معلومة له * (فان قلت)

ان الله عليم بما يصنعون والله
الذى أرسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به
الارض بعد موتها كذلك
النشور من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه
والذين يمكرون السيآت لهم
عذاب شديد ومكر أولئك هو
يبور والله خلقكم من تراب ثم
من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما
تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه

ما معنى قوله وما يعمر من معمر (قلت) معناه وما يعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (فان قلت)
الانسان اما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال
فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله
بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد
وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته
الا قل فيه ثوائى وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب وصورته أن يكتب فى اللوح
ان حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر
واذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وعن كعب أنه قال حين
طعن عمر رضى الله عنه لو أن عمر دعا الله لاخر فى أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة أطال الله بقاءك وفسح
فى مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب
فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره وعن قتادة رضى الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة
والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضى الله عنهما ويجوز أن يراد
بكتاب الله علم الله أو صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف * ضرب البحرين
العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطائه (ومن كل) أى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى
اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال
للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كأنها
تقشره كما تمخره (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة
المعنى عليه * وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا
ولتشكروا * والفرات الذى يكسر العطش * والسائغ المرىء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد
وسيغ بالتخفيف وملح على فعل * والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه
الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى
الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد
قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من
خشية الله (ذلكم) مبتدأ و(الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله وربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة
واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله
صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة
الملتفة عليها * ان تدعوا الاوثان (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل
لـ(ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم (يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالامر وحده هو الذى
يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير
بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء * (فان قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة
افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع
الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان
ضعيفا وقال الله سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء *
(فان قلت) قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى
نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما فاذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل

وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد

به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيأ * الوزر والوقر أخوان ووزر الشئ اذا حمله * والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار (فان قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لان المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها (فان قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية فى الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم مافيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ (فان قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ) (قلت) الاول فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ * (فان قلت) الام أسند كان فى (ولو كان ذا قربى) (قلت) الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة (فان قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت) ليعم ويشمل كل مدعو (فان قلت) كيف استقام اضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فان قلت) ماتقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على أن المثقلة ان دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ماساغ أن يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله * وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعنى انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) وعد للمتزكين بالثواب * (فان قلت) كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم فى قوله ان يشأ يذهبكم أتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عز وجل * والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب * والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر * والحرور السموم الا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فان قلت) لا المقرونة بواو العطف ماهى (قلت) اذا وقعت الواو فى النفى قرنت بها لتأكيد معنى النفى (فان قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى الذى قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه * وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك فى ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك مما لا سبيل اليه * ثم قال (ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا

ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا

وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور

بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق • والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة وفى حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد هنا أهل العصر (فان قلت) كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير (قلت) اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لاسيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهى المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند المجىء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها • والجدد الخطط والطرائق قال لبيد أو مذهب جدد على ألواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضى الله عنه هى الجبال الطوال السود (فان قلت) الغربيب تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذى بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهرى جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول أبى ذؤيب يصف حمار وحش جون السراة له جدائد أربع وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض • وقرئ والدواب مخففا ونظيره هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال • المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال العالم من خشى الله وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فان قلت) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول فى هذا الكلام أو أخر (قلت) لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان (فان قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبى حنيفة (قلت) الخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية

الا انه على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهى شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هى آية القراء وعن الكلبى رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدى رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبران * والتجارة طلب الثواب بالطاعة و(ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) وهى ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون فى موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق فى سبيل الله لهذا الغرض وخبران قوله (انه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة (الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعنى أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب * (فان قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما انا أوحينا اليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أى حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذى هو أفضل كتب الله * ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيأ وسابق من السابقين والوجه الثانى أنه قدم ارساله فى كل أمة رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أى من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فان قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب فى نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفى اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك فى مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع * وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه (فان قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر أى يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول * ويحلون من حليت المرأة فهى حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور * ومن داخلة للتبعيض أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب فى صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة بمعنى الاقامة يقال أقمت اقامة ومقاما

ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة

ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذى هو
التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع * وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أى
لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوغ أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت
(فان قلت) ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له
وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث
منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفى ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له
فى حكم النفى أى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك
الجزاء (يجزى) وقرئ يجازى ونجزى (كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ
وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
* (فان قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة (غير الذى كنا
نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه (قلت) فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من
غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون
أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى
كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعنى فنقول لهم * وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام
وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين
وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة و(النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب * وقرئ وجاءتكم النذر
(فان قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار
كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى
ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه
ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغنى عنى ذا انائك أجمعا المعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك من الشراب
لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء ألا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور
وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة * يقال للمستخلف خليفة وخلف فالخليفة تجمع خلائف والخلف
خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم
منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه
وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار * وخسار الآخرة الذى ما بعده خسار والمقت أشد البغض
ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى أن تعتبر به فمن
كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أرونى) بدل من أرأيتم
لان معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة أرونى أى
جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله
ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم
أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله * بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضا) وهم الاتباع (الاغرورا)
وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لان
الامساك منع (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا لعظم
كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض * وقرئ ولو زالتا وان أمسكهما جواب
القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء * من بعده من بعد
امساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته
يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية

من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا

* بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * وفى (احدى الامم) وجهان أحدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (ما زادهم) اسناد مجازى لانه هو السبب فى أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم الا أن نفروا استكبارا وعلوا (فى الارض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * ويجوز أن يكون (ومكر السيئ) معطوفا على نفورا (فان قلت) فما وجه قوله ومكر السيئ (قلت) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أى لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك فى كتاب الله وقرأ الآية وفى أمثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظنت سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيأ (سنت الاولين) انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالا لهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أى لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشأم والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس ان الضب ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شئ (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

(سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيئ والله أعلم بصحته وان صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى ايمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة كالحى أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فان قلت) أى حاجة اليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين فى نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فان التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه * وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على أعنى وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم

لتنذر قوما انذار آباتهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا (فان قلت) أى فرق بين تعلق قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الاول متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثانى بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (فان قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما فى الآى الاخر (قلت) لا مناقضة لان الآى فى نفى انذارهم لا فى نفى انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم (فان قلت) ففى أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الادنون دون الاباعد (القول) قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر * ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله * (فان قلت) ما معنى قوله (فهى الى الاذقان) (قلت) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه و يوطئ قذاله فلا يزال مقمحا * والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدى (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهى الى الاذقان ولو كان الضمير للايدى لم يكن معنى التسبب فى الاقماح ظاهرا على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذى يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذى يجفو عنه وترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج (فان قلت) فقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما فى أيديهم وابن مسعود فى أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للايدى أو للايمان (قلت) يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسدادا المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئى وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه منها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه * (فان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه أن البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهى الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم أن يخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما) أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشئ أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أى قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا فى ديارنا وقال يا بنى سلمة بلغنى أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لاغفل هذه الآثار التى

تعمها

فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

تعفيها الرياح * والامام اللوح * وقرئ ويكتب ماقدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شئ بالرفع (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول * وانتصاب اذ بانه بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية و(المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان * أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فان قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه * انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل * (فان قلت) لم قيل انا اليكم مرسلون أولا (وانا اليكم لمرسلون) آخرا (قلت) لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا أو بشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان أصابنا شئ كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم أي تطيركم * وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بالف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة يعني أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وان بغير استفهام لمعنى الاخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) في العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب

وكل شئ أحصيناه في امام مبين
واضرب لهم مثلا أصحاب القرية
اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون
قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما
أنزل الرحمن من شئ ان أنتم
الا تكذبون قالوا ربنا يعلم
انا اليكم لمرسلون وما علينا
الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا
بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا
طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم
قوم مسرفون وجاء من أقصى
المدينة رجل يسعى قال ياقوم
اتبعوا المرسلين

ابن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أوأنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة * ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله (واليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع * وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم * وما أدفع العقول وأنكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به * وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر * أي لما قتل (قيل له ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فان قلت) كيف مخرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال يا ليت قومي يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الاشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول أوجه * وقرئ المكرمين * (فان قلت) ما في قوله تعالى (بما غفر لي ربي) أي المآت هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شئ غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا أن قولك بم غفر لي بطرح الالف أجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا اي بأي شئ صنعت وبم صنعت * المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق * (فان قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (فان قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (قلت) انما كان يكفي ملك

واحد

اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين

واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل و بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين الى أن انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك (ان كانت الا صيحة واحدة) ان كانت الاخذة أو العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أى ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذى الرمة

وما بقيت الا الضلوع الجراشع

وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقى (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(يا حسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة فى معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتى وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى (كم) لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه و (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفى قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل له ان قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه * قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتى فى مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية * والتنوين فى كل هو الذى يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون * (فان قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حى جميع وجاؤا جميعا * القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبنى وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء * قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقى والابار وغير ذلك من الاعمال الى أن بلغ الثمر منتهاه وابان أكله يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أنها فى حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون

فقيل له فقال أردت كان ذلك ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم مع الضمير (الازواج) الاجناس والاصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم فى دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يسمهم وفى الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفى الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه * سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (مظلمون) داخلون فى الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها موقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذى أقر الله عليه أمرها فى جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذى تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقرئ تجرى الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أى لا تزال تجرى لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذى تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام فى استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد من آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد (فى قدرناه منازل) من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس و (عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف * وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لى قديم فهو حر أو كتب ذلك فى وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر * وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب * فلا ينبغى للشمس أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره * ولا يسبق الليل النهار يعنى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فان قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لان الشمس لا تقطع فلكها الا فى سنة والقمر يقطع فلكه فى شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطى سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفى الحديث أنه نهى عن قتل الذرارى يعنى النساء (من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون)

قوله وفى الحديث أوله أعددت لعبادى الصالحين اه

سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون

من الابل وهى سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم
الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأدخل فى التعجيب
من قدرته فى حمل أعقابهم الى يوم القيامة فى سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن
والزوارق (لاصريخ) لامغيث أو لا اغاثة يقال أتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) لا ينجون من الموت بالغرق
(الارحمة) الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة (الى حين) الى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق
ولقد أحسن من قال

ولم أسلم لكى أبقى ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام

وقرأ الحسن رضى الله عنه نغرقهم (اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا الى مابين أيديهم
وماخلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة مابين أيديكم من الوقائع
التى خلت يعنى من مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وماخلفكم من أمر الساعة (لعلكم
ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله (الا كانوا عنها معرضين)
فكأنه قال واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة • كانت الزنادقة منهم
يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء
لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة
الله ومعناه أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لانهم
معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على
المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه
ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك نزلت فى مشركى قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا
لو شاء الله لاطعمكم (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة
جوابهم للمؤمنين * قرئ وهم يخصمون بادغام التاء فى الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء
فى الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم فى أمنهم وغفلتهم
عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم فى متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون
ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون فى الحجة فى أنهم لا يبعثون
(فلا يستطيعون) أن يوصوا فى شئ من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم وأهاليهم
بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة • قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم
و (الاجداث) القبور وقرئ بالفاء (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهى النفخة الثانية • قرئ
ياويلتنا • وعن ابن مسعود رضى الله عنه من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى
أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
و (هذا) مبتدأ و (ماوعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وماوعد خبر
مبتدا محذوف أى هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أى ماوعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق
وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ماوعد الرحمن
فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من
الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فان قلت) اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن
وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها
موصولة (قلت) تقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون بمعنى والذى صدق فيه المرسلون
من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقنى سن بكره (فان قلت) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن
الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل الا أنه جئ
به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به

وان نشأ نغرقهم فلاصريخ لهم
ولاهم ينقذون الا رحمة منا
ومتاعا الى حين واذا قيل لهم
اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم
لعلكم ترحمون وماتأتيهم من
آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين واذا قيل لهم أنفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا
للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء
الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال
مبين ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين ما ينظرون
الا صيحة واحدة تأخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى أهلهم يرجعون
ونفخ فى الصور فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون
قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ماوعد الرحمن وصدق
المرسلون

وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (الا صيحة واحدة) قرئت منصوبة ومرفوعة (فاليوم لا تظلم نفس شيأ * ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يثمره فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصى من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقى العصاة من العذاب وعن ابن عباس فى افتضاض الابكار وعنه فى ضرب الاوتار وعن ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبى هم فى شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم قرئ فى شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون * والفاكه والفكه المتنعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهى المزاحة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير فى فى شغل وفى فاكهون على أن أزواجهم يشاركونهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال * وقرئ فى ظلل * والاريكة السرير فى الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يدعون) يفتعلون من الدعاء أى يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وفلان فى خير ما ادعى أى فى خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم (وسلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أى عدة من رب رحيم والاوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم * وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر الا فى الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما فى قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لافقر منى اننى لفقير

أراد اننى لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا (صراط مستقيم) يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى الى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم

قوله دحا محا يعنى دعها معها اهـ

يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخاً له على الاعراض عن نصائحه * قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفى قراءة على رضى الله عنه جيلا واحد الاجيال * روى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل * وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على أن الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة * الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لاعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى أنهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ماوراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم * وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيأ ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فقيل (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ وأين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا أن هذا لفظه عربى كما أن ذاك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فان قلت) فقوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ماهو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف الا أنه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه أن جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) يعنى ماهو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وماهو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه (من كان حيا) أى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالايمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من يعملون بالايدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون أوفهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوب جمع وقرئ ركوبهم أى ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب * اتخذوا الآلهة طمعا فى أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار * وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فان قلت) ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيأ ألا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من

ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون

المشركين ولا تدع مع الله الها آخر * قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرّره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شئ وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة * ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبيّ بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبيّ ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فاذا هو خصيم مبين) فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * (فان قلت) لم سمي قوله (من يحيي العظام وهي رميم) مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لان ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه * والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردّها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين * قرئ الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس * وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ) اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة (فان قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شئ من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع (فان قلت) فما وجه القراءتين في فيكون (قلت) أما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شئ مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيأ مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة (فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شئ) هو

أولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة وهو بكل خلق عليم الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا أنتم منه توقدون
أوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على أن يخلق
مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول
له كن فيكون فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شئ

مالك كل شئ والمتصرف فيه بواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنه ما كنت لا أعلم ماروى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان فى القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهى سورة يس

(سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات اقدامها فى الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون أو أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لامر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل مازجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها فى التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (فان قلت) ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة فى الصفات (قلت) اما أن تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله

يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة فى الصفات (فان قلت) فعلى أى هذه القوانين هى فيما أنت بصدده (قلت) ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وان ثلثته فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان أردت العلماء وقواد الغزاة وان أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات فى الفضل أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك اذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل مازجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة * وقرئ بادغام التاء فى الصاد والزاى والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف و (المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين (فان قلت) فماذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين (قلت) اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم * والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشئ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله (بزينة الكواكب) فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهى قراءة أبى بكر والاعمش وابن وثاب وان أردت الاسم فللاضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان

الزينة

والية ترجعون (بسم الله الرحمن الرحيم) والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجرّ الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لانّ المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتعاس منها * الضمير في (لايسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فان قلت) لايسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لانّ الحفظ من شياطين لايسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لانّ سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لايسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا * وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك * الامن أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة * فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب (فان قلت) هل يصح قول من زعم انّ أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقى أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

(قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأمّا اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فان قلت) أىّ فرق بين سمعت فلانا يتحدّث وسمعت اليه يتحدّث وسمعت حديثه والى حديثه (قلت) المعدّى بنفسه يفيد الادراك والمعدّى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك * والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجنّ هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أىّ جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لانّ القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على انه قد جاء مجىء القبول والولوع * والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعنى أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعدّ لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) في محل الرفع بدل من الواو في لايسمعون أى لايسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف * وقرئ فأتبعه وفاتّبعه * الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشدّ خلقا) ولم يقل فقرّرهم والضمير لمشركى مكة قيل نزلت في أبى الاشدّ بن كلدة وكنى بذلك لشدّة بطشه وقوّته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عدّ هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشدّ خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدّمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشدّ خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشدّ خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدّة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الردّ لانكارهم البعث والنشأة الآخرى وأنّ من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون * وخلقهم (من طين لازب) امّا شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لانّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوّة أو احتجاج عليهم بأنّ الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئنا كنا

وحفظا من كل شيطان مارد
لايسمعون الى الملا الاعلى
ويقذفون من كل جانب دحورا
ولهم عذاب واصب الامن
خطف الخطفة فأتبعه شهاب
ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا
أم من خلقنا انا خلقناهم من
طين لازب.

ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم * وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد * والثاقب الشديد الاضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فان قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرّد العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شئ وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعى ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما) جواب شرط مقدّر تقديره اذا كان ذلك فما (هى الا زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) * يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و (هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (فاهدوهم) فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها * هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر * وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام * اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى كل شئ وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسئ أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصدّه عنه وأضله وجاء فى بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فان قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز فى نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب فى الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك أن تجعلها استعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة

بل عجبت ويسخرون وإذا
ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية
يستسخرون وقالوا إن هذا
الا سحر مبين أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون
أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم
داخرون فانما هى زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم الفصل
الذى كنتم به تكذبون
احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
وما كانوا يعبدون من
دون الله فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون
ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم
مستسلمون وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا انكم
كنتم تأتوننا عن اليمين

والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما) مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالى ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعنى أن سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها (انهم كانوا اذا) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا الا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه * وقرئ لذائقو العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين * وقرئ على الاصل لذائقون العذاب (الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ (الا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع * فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فى جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذى يقوله العلماء فى حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق اليه نفوس ذوى الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم * التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض * يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال

وكأس شربت على لذة

وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) اما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هى تأنيث اللذ يقال لذ الشئ فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم * الغول من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى أمثالهم الغضب غول الحلم و (ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفى أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمرى لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا فى القشع والكب وفى قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التى تكون فى شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا * والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون فى الاداحى وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور (فان قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض

وما بقيت من اللذات الا ٭ أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا أنه جيء به ماضيا على عادة الله في أخباره ٭ قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ (لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه (قال) يعني ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار ٭ وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فاطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر (في سواء الجحيم) في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (ان) مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ٭ والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين (نعمة ربي) هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء أو انعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك ٭ الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) أي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أي خير حاصلا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه أنزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها ٭ والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية أو معنوية ٭ وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا

يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون

فى الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد * شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر (فان قلت) مامعنى حرف التراخى فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفى قوله (ثم ان مرجعهم) (قلت) فى الاول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ماهو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانية أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الى الجحيم * علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل * والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه * واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فان قلت) فما معنى قوله (فى العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم * علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وان اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق فى أكثر الاشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة * (فان قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فان قلت) مامعنى المجىء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (أافكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على

منها فمالئون منها البطون
ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم
على آثارهم يهرعون ولقد
ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد
أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين الا عباد
الله المخلصين ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله
من الكرب العظيم وجعلنا
ذريته هم الباقين وتركنا
عليه فى الآخرين سلام
على نوح فى العالمين انا كذلك
نجزى المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء
ربه بقلب سليم اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون أافكا
آلهة دون الله تريدون

فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون

المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بأنهم على افك و باطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا يعنى أتريدون به افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها افك فى أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى أنه لا يقدر فى وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أى شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (فى النجوم) فى علم النجوم أو فى كتابها أو فى أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه يسقم (فقال انى سقيم) انى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل (فان قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من فى عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه وقيل أراد انى سقيم النفس لكفركم (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى أصنامهم التى هى فى زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائى (ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون) استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال (فضربهم ضربا) لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه اذا حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (فان قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففى أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفى الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثانى أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن أى فطر الاصنام (فان قلت) كيف يكون الشئ الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فان قلت) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه اباء جليا

ويبوء عنه نبوّا ظاهرا وذلك أنّ الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أنّ العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشئ آخر وهو أنّ قوله ماتعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما فى ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فان قلت) أجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الالزامان فى عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك أنك وان جعلتها موصولة فانك فى ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التى هى الاصنام وبما تعملون المعانى التى هى الاعمال وفى ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهى جحيم * والمعنى أنّ الله تعالى غلبه عليهم فى المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه * أراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث أمره بالمهاجرة اليه من أرض الشأم كما قال انى مهاجر الى ربى (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى كما قال موسى عليه السلام كلا انّ معى ربى سيهدين كأنّ الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله تعالى معه فى هدايته وارشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل (هب لى من الصالحين) هب لى بعض الصالحين يريد الولد لانّ لفظ الهبة غلب فى الولد وان كان قد جاء فى الأخ فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عزّ وجلّ ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علىّ بن أبى طالب لابن عباس رضى الله عنهم حين هناه بولده علىّ أبى الأملاك شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب * وقد انطوت البشارة على ثلاث على أنّ الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأىّ حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام بأقلّ مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم فى قوله انّ ابراهيم لأوّاه حليم انّ ابراهيم لحليم أوّاه منيب لانّ الحادثة شهدت بحلمهما جميعا * فلما بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه (فان قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق ببلغ أو بالسعى أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حدّ السعى ولا بالسعى لانّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحدّ الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى فى اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوّته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه فى حدّ الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم * أتى فى المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأنّ قائلا يقول له انّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل انّ الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حدّ السعى معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أى ماذا تريك نفسك من الرأى (افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به (فان قلت) لم شاوره

قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم
فأرادوا به كيدا فجعلناهم
الأسفلين وقال انى ذاهب
الى ربى سيهدين رب هب لى
من الصالحين فبشرناه بغلام
حليم فلما بلغ معه السعى قال
يا بنىّ انى أرى فى المنام أنى أذبحك
فانظر ماذا ترى قال يا أبت
افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله
من الصابرين

فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولان المفاجأة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فان قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه واخوته له فى المنام من غير وحى الى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام فى المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة أو حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة فى أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التى بمنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها والذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وحكى فى قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شئ من دمى فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فان قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظى وجماعة من التابعين أنه اسمعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابى يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له

فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم

أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يارب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين أظهرهم قد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال ياموسى لم يحبني أحد حب ابراهيم قط ولا خيرني وبين شئ قط الا اختارني وأما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه وأما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شئ ما كنت أنظر فيه واني لاراه كما قلت ثم أرسل الى يهودي قد أسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه اسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشأم بأنه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فان قلت) قد أوحي الى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح (قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شئ كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فان قلت) الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادي هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته (فان قلت) فاذا كان ما أتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه (فان قلت) فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها باقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه

* (فان قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزي المحسنين) وفي غيرها من القصص انا كذلك (قلت) قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فان قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة أو

كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا

مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل
الاشكال أنه لابد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا أي بأن يوجد مقدرة نبوته
فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين)
حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لأن كل نبي لابد أن يكون من الصالحين وعن قتادة
بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله
وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون
نبيا (وباركنا عليه وعلى اسحق) وقرئ وبركنا أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم في أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا أنبياء بني اسرائيل
من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على
أن الخبث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر
الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء انما يعاب بسوء فعله
ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من الغرق أو من
سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب
المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من جوز أن تكون
التوراة عربية أن تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط
أهل الاسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * قرئ الياس بكسر الهمزة
والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ
ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم
كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه
حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة
الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك
وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أي من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة
الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا
وقف رفع * وقرئ على الياسين وادريسين وادرسين وادراسين على أنها لغات في الياس وادريس ولعل
لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم
الخبيبون والمهلبون (فان قلت) فهلا حملت على هذا الياسين على القطع وأخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف
بالألف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين اسم أبي الياس أضيف اليه الآل (مصبحين) داخلين
في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها * قرئ يونس
بضم النون وكسرها * وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة
ويقال استهم القوم اذا اقترعوا * والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة
روي أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة
اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتقمه
الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم
من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي (من المسبحين) من
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة
في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله
عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت
المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد (للبث في بطنه) الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم

من الصالحين وباركنا عليه وعلى
اسحق ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين ولقد مننا
على موسى وهرون ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم
ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
وآتيناهما الكتاب المستبين
وهديناهما الصراط المستقيم
وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا
كذلك نجزي المحسنين انهما من
عبادنا المؤمنين وان الياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه ألا
تتقون أتدعون بعلا وتذرون
أحسن الخالقين الله ربكم
ورب آبائكم الأولين
فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد
الله المخلصين وتركنا عليه
في الآخرين سلام على الياسين
انا كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله
أجمعين الا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الآخرين وانكم
لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
أفلا تعقلون وان يونس لمن
المرسلين اذ أبق الى الفلك
المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا أنه كان
من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون

فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وأنبتنا عليه شجرة من يقطين
وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى حين
فاستفتهم ألربك البنات ولهم
البنون أم خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون ألا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله
وانهم لكاذبون أصطفى البنات
على البنين مالكم كيف
تحكمون

البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله الى الحوت انى
جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف فى مقدار لبثه فعن الكلبى أربعون يوما وعن الضحاك
عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد
الوقت الذى التقم فيه * وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس و يسبح ولم يفارقهم
حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
* والعراء المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه (وهو سقيم) اعتل مما حل به وروى أنه عاد بدنه كبدن
الصبى حين يولد * واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل
وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل شجرة الموز
تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف
اليه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله اليه بكيت على شجرة
ولا تبكى على مائة ألف فى يد الكافر (فان قلت) ما معنى وأنبتنا عليه شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له
كما يطنب البيت على الانسان (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم أهل
نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين أو الى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع اليهم
فأبى لان النبى اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا (أو يزيدون) فى
مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة (الى حين) الى أجل
مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله فى أول السورة وان تباعدت بينهما
المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره
باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة
بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا فى ذلك ثلاثة أنواع
من الكفر أحدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثانى تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع
الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من
ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم اليه حيث أنثوهم
ولو قيل لاقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك فى
أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها فى كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ألا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزأ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات
ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) (فان قلت) لم قال وهم
شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه قوله
ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق
الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك
كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم * وقرئ ولد الله أى الملائكة
ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى *
(فان قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبى
جعفر بكسر الهمزة على الاثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة
والاعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى أضعفها أن الانكار قد اكتنف
هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها

دخيلة بين نسيبين * وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم فى ذلك كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة * (فان قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لايصلح أن يناسب من لايجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه * والضمير فى (انهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث أضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن أشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير فى انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به * الضمير فى (عليه) لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فان قلت) كيف يفتنونهم على الله (قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه * ويجوز أن يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أى فانكم قرناؤهم وأصحابهم لاتبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال (الا من هو) ضال مثلكم أو يكون فى أسلوب قوله

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف (فان قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو (قلت) من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين (وما منا) أحد (الا له مقام معلوم) فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفى كان من أرمى البشر مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو أجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل فى صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن

أفلا تذكرون أم لكم سلطان
مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم
صادقين وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون سبحان الله عما
يصفون الا عباد الله المخلصين
فانكم وما تعبدون ما أنتم
عليه بفاتنين الا من هو صال
الجحيم وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون

يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه * هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أي كتابا (من) كتب (الأولين) الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا (فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام * وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره * الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة * وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة * وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالأمر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد * مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل * وقرأ ابن مسعود فبئس صباح * وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل علي ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * وانما ثنى (وتول عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة * أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها

وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة

كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو رب لها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

(سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن كذا بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه (فإن قلت) قوله ص (والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان و(حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

(فإن قلت) ما وجه الكسر في أوان (قلت) شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه

عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (بسم الله الرحمن الرحيم) ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص

وعوّض التنوين لانّ الاصل ولات أوان صلح (فان قلت) فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف اليه من مناص لانّ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير (فان قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث وأمّا الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة وأمّا قول أبى عبيد انّ التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأنّ التاء ملتزقة بحين فى الامام لامتشبث به فكم وقعت فى المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه * بيدى استناص ورام جرى المسحل

(منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أنّ هذا القول لايجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغىّ الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدّقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذى لايصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته * روى أنّ اسلام عمر رضى الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطىّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا انّ هذا الشئ عجاب) أى بليغ فى العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله تعالى مكرا كبّارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله أجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فى أنّ معنى الجعل التصيير فى القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا فى قوله لأنّ ذلك فى الفعل محال (الملأ) أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبى طالب بعد مابكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم فى دفع أمر محمد (انّ هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه الا الصبر أو انّ هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو انّ دينكم لشئ يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه * وأن بمعنى أى لانّ المنطلقين عن مجلس التقاول لابدّ لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وأنهم قالوا امشوا أى أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم * ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لاتزالوا عنها * وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لانّ النصارى يدّعونها وهم مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة على أن يجعل فى الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما فى الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله * ما (هذا الا اختلاق) أى افتعال وكذب * أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم فى شك) من القرآن يقولون فى أنفسهم امّا وامّا وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعنى أنهم لا يصدقون به الا أن يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب.

(أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني ماهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام * وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له (فليرتقوا في الاسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خساهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا أنه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك (ذو الاوتاد) أصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال

والبيت لا يبتنى الا على عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الاحزاب) قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب * ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه * ثم قال (فحق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لانهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد * القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها * (فان قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر اليها والندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي (ذا الايد) ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء

أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد

انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب

النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل
شئ ما يتقوى به (أواب) تواب رجاع الى مرضاة الله (فان قلت) ما دلك على أن الايد القوة فى الدين (قلت)
قوله تعالى انه أواب لانه تعليل لذى الايد (والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ
دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة
الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشى والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى
الا بهذه الآية وعنه لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها فى هذه الآية يسبحن بالعشى
والاشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس انى لا أجد فى كتب الله صلاة
بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق
القوم اذا دخلوا فى الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير
ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق * ويسبحن فى معنى ومسبحات على الحال (فان قلت) هل من فرق بين
يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من
الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى
الى ضوء نار فى يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيأ وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن الا أنه لما لم يكن
فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيأ بعد شئ جئ به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل
وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيأ بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان
حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح
واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها * وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أواب) كل واحد من
الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما
لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب
الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى
كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قال تعالى سنشد
عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد
الله به ملكه وقذف فى قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله
تعالى اليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلم الرجل فقال ان الله عز وجل
لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله
فهابوه (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة * الفصل التمييز بين الشيئين
وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفى كلامه لبس والملتبس المختلط
فقيل فى نقيضه فصل أى مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من
يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف فى
كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله
بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت
كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح
والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن
على بن أبى طالب رضى الله عنه هو قوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق
والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لانه يفتتح اذا تكلم فى الامر الذى له شأن بذكر الله وتحميده
فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد
الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء فى صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر

ولا هذر * كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا
أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الانصار كانوا يواسون المهاجرين
بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده
ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن
ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر
نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة
أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال
يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى اليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى ابراهيم بنمروذ وذبح ولده
واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا
وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة
حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله
على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان
يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين
فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه
حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب
الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما
ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل
الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فان قلت) لم جاءت على
طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل اذا أداه الى الشعور
بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى الى التنبه
على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة ألا ترى الى الحكماء كيف أوصوا
في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة
لحاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله
ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة
(فان قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى
نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه
الدلالة على أنه من الانباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق الى استماعه والخصم
الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في أصله
تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فان قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت)
معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا في ربهم (فان قلت) فما تصنع بقوله ان هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول
البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فان قلت) فقد جاء في الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم
كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون (فان قلت) فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما
في قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به
* (فان قلت) بم انتصب (اذ) (قلت) لا يخلو اما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك
لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد

وهل أتاك نبأ الخصم إذ

داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبا القصة فى نفسها لم يكن ناصبا فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما اذا الثانية فبدل من الاولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذرّاه اذا علا ذروته روى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوّرا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و (سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم * وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء و نعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به * وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فان قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كان تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل أبلغ فى التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة (فان قلت) انما تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة فى نحو قوله

ياشاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عينه عن شاته

وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه الا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فان قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوّروها فى أنفسهم وكانوا فى صورة الاناسى كما تقول فى تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا فى تصويرها لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فان قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى (قلت) يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشى رويدا تكاد تنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه * والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب (فان قلت) كيف سارع الى تصديق أحد

تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه

الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم و يروى أنه قال انا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال ياداود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ماوقع فيه و (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهى الخلطة وقد غلبت فى الماشية والشافعى رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة الا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبى حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففى أربعين بين خليطين لا شىء عنده وفى مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فان قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذى النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى رحمه الله وعند أبى حنيفة لا شىء عليه * (فان قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره اليهم الظلم والاعتداء الذى عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له فى أكثر الخلطاء اسوة * وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة * ومافى (وقليل ما هم) للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس

وحديث ما على قصره

وانظر هل بقى له معنى قط * لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) انما ابتليناه لا محالة بامرأة أورياهل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله

لئن فتنتنى لهى بالامس أفتنت

وفتناه وفتناه على أن الالف ضمير الملكين * وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحنى ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه فى سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتى الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أى مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة (وأناب) ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين فى الغنم واما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسرا ماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله فى أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سبب الضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها و (يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين

وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا

عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيأ موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا * والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فان قلت) اذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما * وقرئ مباركا ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين * وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف * وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا رجاعا اليه بالتوبة أو مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب أواب * والصافن الذى فى قوله

ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل هو المتخيم وأما الصافن فالذى يجمع بين يديه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى واقفين كما خدم الجبابرة (فان قلت) ما معنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون فى الهجن وانما هو فى العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما بقى فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره * (فان قلت) ما معنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربى) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربى وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التى شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال فى زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لى رجل فرأيته الا كان دون ما بلغنى الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضى الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير * والتوارى بالحجاب مجاز فى غروب الشمس

ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب

عن توارى الملك أو المخبأة بحجابهما والذى دلّ على أنّ الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بدّ للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام ومن بدع التفاسير أنّ الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا اى يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعنى يقطعها يقال مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كشف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكشف القطع ومنه الكسف فى ألقاب الزحاف فى العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها ❊ (فان قلت) بم اتصل قوله ردّوها علىّ (قلت) بمحذوف تقديره قال ردّوها علىّ فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأنّ قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبىّ من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها ❊ وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما فى أدؤر ونظيره الغؤور فى مصدر غارت الشمس وأمّا من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ❊ قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحابة فما راعه الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه فى أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفنّ الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهنّ فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأمّا ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أنّ سليمان بلغه خبر صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر وأنّ بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجنّ والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهنّ فى ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرّعا وكانت له أمّ ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسىّ سليمان وعكفت عليه الطير والجنّ والانس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أنّ الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه فى كل شئ الا فيهنّ ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسدّ عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقرّ فى يدك فتب الى الله عزّ وجلّ ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهنّ قبيح وأمّا اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل وأمّا السجود للصورة فلا يظنّ بنبىّ الله أن يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسدا) ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوّا ظاهرا ❊ قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين فى تقديمهم أمر دينهم على امور دنياهم (لا ينبغى) لا يتسهل ولا يكون ❊ ومعنى (من بعدى)

ردّوها علىّ فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب

دونى (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطى الله مالا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب ألفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغى لاحد من بعدى وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيرى فيه مقامى كما سلبته مرة وأقيم مقامى غيرى ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح فى الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه اياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التى علم الله أنه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغى لاحد من بعدى ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له انك حسود فقال أحسد منى من قال هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لانه شرط فى طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولى الامر منكم * قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طائعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الاصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيرا (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل فى حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر * وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم الى أعناقهم مغللين فى الجوامع * والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل

غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال

ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده * أى (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعنى جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة وهى العطاء أى فأعط منه ما شئت (أو أمسك) مفوضا اليك التصرف فيه وفى قراءة ابن مسعود هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (أيوب) عطف بيان و (اذ) بدل اشتمال منه (أنى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب * وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة * والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب الاهل والمال (فان قلت) لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر فى القرآن أنه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب فى ذلك حيث لم ينسبه الى الله فى دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه

فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب

وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض * والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما أطرافها قائمة واما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق (وجدناه صابرا) علمناه صابرا (فان قلت) كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه (قلت) الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه قال في مناجاته الهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه (ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله أبيك ابراهيم واسمعيل واسحق * لما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولي الايدي والابصار) يريد أولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ أولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها * ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (فان قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على

اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل

ليسع فيعل من اللسع * والتنوين فى (وكل) عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار (هذا ذكر) أى هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الانبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وان للمتقين) كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضى الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و (مفتحة) حال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدا محذوف أى هو جنات عدن هى مفتحة لهم * كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران أثبت وقيل هن أتراب لازواجهن أسنانهن كأسنانهم * قرئ يوعدون بالتاء والياء (ليوم الحساب) لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب أى ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم أى هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة واياى فارهبون أى ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضى الله عنه الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أى وعذاب آخر أو ومذوق آخر وأزواج صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فان قلت) ما معنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغرائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه (فان قلت) فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزى منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك (قالوا) هم الاتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء

وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار

أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الاشرار) من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (اتخذناهم سخريا) قرئ بلفظ الاخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله (أم زاغت عنهم الابصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا اما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم واما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك انها لابل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لان أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم * وقرئ سخريا بالضم والكسر (ان ذلك) أي الذي حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس (فان قلت) لم سمي ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركي مكة ما أنا الا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ * وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو (العزيز) الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ اليه * أو قل لهم ما أنا الا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة * ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل الا بالوحي من الله (ان يوحى الي الا انما أنا نذير) أي لانما أنا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية أي الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيأ آخر * وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة * (فان قلت) بم يتعلق اذ يختصمون (قلت) بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم و (اذ قال) بدل من اذ يختصمون * (فان قلت) ما المراد بالملا الاعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم (فان قلت) ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله تعالى وبينهم لان الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين اما أن تقول الملا الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق * (فان قلت) كيف صح أن يقول لهم (اني خالق بشرا) وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحي)

وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي

واحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخروا * كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن
آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (فان قلت) كيف
ساغ السجود لغير الله (قلت) الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة
والتبجيل فلا يأباه العقل الا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه * (فان قلت) كيف استثنى ابليس من الملائكة
وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد
منهم استثناء متصلا (وكان من الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان
كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين
في الازمنة الماضية في علم الله (فان قلت) ما وجه قوله (خلقت بيدى) (قلت) قد سبق لنا أن
ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل
القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا
مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (فان قلت) فما معنى
قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قلت) الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف
منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك أن آدم مخلوق من
طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل
عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم
عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام
أعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه
عن مراتبهم حرى بأن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله أوغل في عبادته
منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى
ما منعك من السجود لشئ هو كما تقول مخلوق خلقته بيدى لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامرى واعظاما
لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع
وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك
وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على
سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته بيدى فأنا أعلم بحاله ومع
ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء
للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدى
لما خلقت بغير واسطة * وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وقرئ بيدى على التوحيد (من العالين) ممن علوت
وفقت فأجاب بانه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من
المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان أم تدل عليه أو بمعنى
الاخبار * هذا على سبيل الاولى أى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو
دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي (خلقتني من نار) مجرى
المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل
من الخلقة التي أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا
وأظلم بعد ما كان نورانيا * والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمى
بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة اولان الشياطين يرجمون بالشهب * (فان قلت) قوله (لعنتي الى يوم
الدين) كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم
أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده
اللعنة فكأنها انقطعت * (فان قلت) ما الوقت المعلوم الذي أضيف اليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه
النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم

قوله حرى كغنى يستوى فيه
الواحد وغيره بخلافه كغنى اه

فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم أجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين
قال يا ابليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدى أستكبرت أم
كنت من العالين قال أنا خير
منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك
رجيم وان عليك لعنتي الى يوم
الدين قال رب فأنظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم

ولايستأخر (فبعزتك) اقسام بعزة الله تعالى وهى سلطانه وقهره * قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الاول
مقسم به كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه (لاملأن) * والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم
عليه ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عزوعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين أو الحق الذى
هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على أن الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك أى فالحق
قسمى لاملأن والحق أقول أى أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الاول مقسم به قد أضمر حرف
قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول أى ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد
والتشديد وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب
الثانى وتخريجه على ماذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فان قلت)
(أجمعين) تأكيد لماذا (قلت) لايخلو أن يؤكد به الضمير فى منهم أو الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه
لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لاأترك منهم أحدا أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من
جميع الناس لاتفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر)
الضمير للقرآن أو للوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى
قط متصنعا ولا مدعيا ماليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) من الله (للعالمين)
للثقلين أوحى الى فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه
ويتعاطى مالاينال ويقول مالايعلم (ولتعلمن نبأه) أى ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور
الاسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل ياعبادى الذين اسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل
كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر
مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على
اضمار فعل نحو اقرأ والزم (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الاول أنه القرآن
وعلى الثانى أنه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين
بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين
الخالص والخالص والمخلص واحد الا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر
وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين
ألا لله الدين الخالص أى هو الذى وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على
الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة
أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة
وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضى الله عنهما فالضمير فى اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى
الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون
أولياء والذين اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء (فان قلت) فالخبر ماهو (قلت) هو على الاول اما (ان
الله يحكم بينهم) أو ما أضمر من القول قبل قوله مانعبدهم وعلى الثانى ان الله يحكم بينهم (فان قلت) فاذا كان ان
الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون فى موضع الحال أى قائلين ذلك ويجوز
أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا

قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين
(بسم الله الرحمن الرحيم)
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم

مانعبدهم وفى قراءة أبيّ مانعبدكم الا لتقرّبونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم * وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة فى الامر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم * واختلافهم أنّ الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض أقرّوا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا مانعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى فالضمير فى بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى أنّ الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين * المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم فى علم الله من الهالكين * وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعنى لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقرّبهم كما يختص الرجل ولده ويقرّبه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغرّكم اختصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم فى جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين فى الافتراء على الله وملائكته غالبين فى الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء * ودلّ على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة * وقهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء * ثم دلّ بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب * والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكوّرها وفيه أوجه منها أنّ الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب

تلوى الثنايا بأحقيها حواشيه * لىّ الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أنّ كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها أنّ هذا يكرّ على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على اثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرّين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذى يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة * (فان قلت) ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخى (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التى عدّدها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حوّاء من قصيراه الا أنّ احداهما جعلها الله عادة مستمرّة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حوّاء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثمّ على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة لا من التراخى فى الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرّية آدم من ظهره كالذرّ ثم خلق بعد ذلك حوّاء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لانّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوّة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف * والظلمات

فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات

الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله هو (الله ربكم * فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره (فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لانه يوقعهم فى الهلكة (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضى شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد الا عباده الذين عناهم فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وفى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثانى جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفى معناه قول العرب ان الغنى طويل الذيل مياس (ما كان يدعو اليه) أى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسى ربه الذى كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى * وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا فى الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة فى الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره فى المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم * قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت فى الوتر لانه دعاء المصلى قائما (ساجدا) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين * وقرئ ويحذر عذاب الآخرة * وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون و يفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية * وقرئ انما يذكر بالادغام (فى هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فان قلت) اذا علق الظرف بأحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها اذا تأخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل

ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت) باخلاص الدين (وأمرت) بذلك لاجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقا (فان قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الامر بالاخلاص وتكليفه شئ والامر به ليحرز القائم به قصب السبق فى الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها فى أردت لان أفعل ولا تزاد الامع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين فى اسطاع عوضا من ترك الاصل الذى هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفى معناه أوجه أن أكون أول من أسلم فى زمانى ومن قومى لانه أول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه الى مادعا اليه غيره لاكون مقتدى بى فى قولى وفعلى جميعا ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الاولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى أن الله أمرنى أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلى العقل والوحى * فان عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه * (فان قلت) ما معنى التكرير فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى) (قلت) ليس بتكرير لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثانى اخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره فى الاول فالكلام أولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين * قل ان الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها فى هلكة لاهلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة يعنى وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هى (ظلل) لآخرين (ذلك) العذاب هو الذى يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادى (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هى البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك فى وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات * وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد

قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل

ولا تكن مثل عير قيد فانقادا

يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره (أولئك) * أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فأنت تخلصه لان أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالي بعضها فوق بعض * (فان قلت) ما معنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها (تجري من تحتها الانهار) كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك (أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الارض) عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد (مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب (حطاما) فتاتا ودريا (ان في ذلك لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا * وقرئ مصفارا (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب * ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فان قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا أرواه حتى أبعده عن العطش * عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث و (كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (متشابها) مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (مثاني) بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني

لا تكون الامتشابهة والمثانى جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل كما جاء فى وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك (فان قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق وأعصاب الا أنك تركت الموصوف الى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثانى صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (فان قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شئ عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه فى صدورهم * اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فان قلت) ما وجه تعديته لان بالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فان قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لان أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هى سابقة غضبه فلأصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شئ من صفاته الا كونه رؤفا رحيما (فان قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم فى أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به) يوفق به من يشاء يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فماله من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدى به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعنى من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم فى الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم تؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فماله من هاد من مؤثر فيه بشئ قط * يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت فى أبى جهل * وقال لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون * من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم * والخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريأ من التناقض والاختلاف (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان احداهما نفى أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعانى دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

* واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل

تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا

واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير فى أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أى هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا فى ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه فى عاجله مؤمل للثواب فى آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه * والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه (سالما لرجل) خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهى مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أى ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة * وقرئ بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقى به أو سعد فان المرأة والصبى قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير فى يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذى لا شريك له دون كل معبود سواه أى يجب أن يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره * كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم * وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أى سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حى فى نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى فى قوله (انك ميت وانهم ميتون) انك واياهم وان كنتم أحياء فأنتم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفى أهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعى قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة والوجه الذى يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى الى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون) الا أن هذا فى الصفة وذاك فى الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفى

قوله وفيه صلة شركاء الخ لا يخفى ما فيه من ارتكاب خلاف الظاهر وفى أبى السعود وفيه ليس بصلة الشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه فى الأصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف اهـ كتبه مصححه

فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون

قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذى لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به * (فان قلت) ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذى عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) أما الاضافة فما هى من اضافة أفعل الى الجملة التى يفضل عليها ولكن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان وأما التفضيل فايذان بأن السئ الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوإ وحسنهم بالاحسن وقرئ أسواء الذى عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى أنه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شئ فعمد خالد اليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف وفى هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافى عباده على الاضافة ويكافى عباده ويكافى يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم * قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف (فان قلت) لم فرض المسئلة فى نفسه دونهم (قلت) لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فاذا أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتى خوفتمونى اياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال (حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله (فان قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (قلت) أنثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الاناث اللاتى هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فان قلت) حق الكلام فانى عامل على مكانتى فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل مقيم فى وقوعه صفة للعذاب أى عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار * وقرئ مكاناتكم (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى الى ذلك فأنا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها * وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبنى على الاختيار دون الاجبار

لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل

(الانفس) الجمل كما هي * وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها
لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتي لم تمت في منامها) يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها أي
يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون
كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الانفس (التي قضى عليها الموت) الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية
(ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها
وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي
تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا
عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز
والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لان الله
عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير
متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام (ان في ذلك) ان في توفي الانفس مائتة ونائمة
وامساكها وارسالها الى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون * وقرئ قضى
عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه
(شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه ألا ترى الى قوله تعالى (قل لله الشفاعة
جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع
مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون)
أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والارض)
تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فان قلت) بم
يتصل قوله (ثم اليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة
فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة * مدار المعنى على قوله وحده أي اذا أفرد الله بالذكر
ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا (واذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم
يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك
له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر
آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد
منهما غاية في بابه لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما
وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه (فان قلت) ما العامل في اذا ذكر (قلت) العامل في اذا المفاجأة
تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار * بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم
ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن
الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم
فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (وبدا لهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله
تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم
ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري أنه قرأها
فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله
وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي
كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد
بالسيآت أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق
بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم * التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (على علم)

الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم

أى على علم منى أنى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق أو على علم من الله بى وباستحقاقى أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى (فان قلت) لم ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر (فان قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنثه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله لانه فى معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (فان قلت) ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (قلت) السبب فى ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس أحدهم ضرّ دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض (فان قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) ما فى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا ربّ لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا أنت وقوله ولو أنّ للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو أنّ لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة فى أكمامها وأمّا الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو (فان قلت) من أىّ وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه (قلت) فى هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضرّ التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضرّ التجأ اليه فتجىء بالفاء مجيئك به ثمة كانّ الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه فى جعله سببا فى الالتجاء فأنت تحكى ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله * الضمير فى (قالها) راجع الى قوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة من القول * وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركى قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط الا الله عزّ وجلّ (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلوّ فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (ان الله يغفر الذنوب جميعا) يعنى بشرط التوبة وقد تكرّر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لانّ القرآن فى حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لانّ مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضى الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظيرُ نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أنّ من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرّم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التى حرّم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت فى وحشىّ قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحبّ أنّ لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرّات (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة

بل هى فتنة ولكنّ أكثرهم
لا يعلمون قد قالها الذين من
قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فأصابهم سيآت
ما كسبوا والذين ظلموا من
هؤلاء سيصيبهم سيآت
ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم
يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انّ فى ذلك لآيات
لقوم يؤمنون قل يا عبادى
الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله انّ الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا
له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم
لا تنصرون

على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوّه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير * وقرئ يا حسرتى على الأصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه * والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرّط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرّى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله

إن السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت فى جنب الله) على معنى فرطت فى ذات الله (فإن قلت) فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت فى الله فما معنى فرطت فى الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفى حرف عبد الله وحفصة فى ذكر الله * وما فى ما فرطت مصدرية مثلها فى بما رحبت (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى وروى أنه كان فى بنى إسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه إبليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه فى الفجور فأتاه ملك الموت فى ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره فى القرآن (لو أن الله هدانى) لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحى فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف فيلطف به وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وإنما يقول هذا تحيرا فى أمره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتى) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى * وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فإن قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فإن قلت) كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفى (قلت) لو أن الله هدانى فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة) جملة فى موضع الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب * قرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده

منه

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم

منه وتفسير المفازة قوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل مامفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة * (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فان قلت) ما للكتاب العربي المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا * (فان قلت) بم اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبد و(تأمروني) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ألا ترى انك تقول أفغير الله تقولون لي اعبده وأفغير الله تقولون لي اعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب * وقرئ تأمرونني على الاصل وتأمروني على ادغام النون أو حذفها * قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك * (فان قلت) الموحى اليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحي اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فان قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط (فان قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه * (فان قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ان مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى الى قوله تعالى اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد * لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه

لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء
وكيل له مقاليد السموات
والارض والذين كفروا بآيات
الله أولئك هم الخاسرون قل
أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون ولقد أوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين وماقدروا الله
حق قدره

منه تعظيمه * ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وماقدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك أفصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما أتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورية ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجئ الخبر ليعلم أول الامر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روى أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان الا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم * مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما منى به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء * (فان قلت) (أخرى) ما محلها من الاعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان * وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم * قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى (وأشرقت الارض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو

الحق

قوله جبريل كذا وقع في عامة النسخ والصواب حبرا لان الحديث ورد في البخاري ومسلم هكذا جاء حبر من أحبار اليهود وفي الترمذي عن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث وتوافق النسخ على هذا الغلط دليل أنه من قلم المصنف لا من سهو هذا معنى هامش اه مصححه

والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها

الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفى هذه الاضافة أن ربها وخالقها هو الذى يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجىء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفى الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا و (الكتاب) صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون فى سبيل الله * الزمر الافواج المتفرقة بعضها فى اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل فى زمر الذين اتقوا هى الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم * وقرئ نذر منكم * (فان قلت) لم أضيف اليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال * اللام فى المتكبرين للجنس لان (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا أن جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شئ لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فان قلت) كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هى الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة الا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الارض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى انفاقه طولا وعرضا * (فان قلت) ما معنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره (حافين) محدقين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين * (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع الى الملائكة على أن ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق * (فان قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التى هى حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل فى الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهى خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح

قرئ باماله ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمى نحو قابيل وهابيل * التوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع * والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل * (فان قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فامره مشكل لانه فى تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفى كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها ابدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهى محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هى صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا مايعرف سحادليه من عناديه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قال فى قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شئ أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هى الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال (فان قلت) ما بال الواو فى قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشأم فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه * سجل على المجادلين فى آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم فى استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد فى سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فان قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغررك) ما قبله (قلت) من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم فى عينه ولا يغره اقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون فى بلاد الشأم واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان

من نحو ذلك من الامم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغرك (الاحزاب)
الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم
نوح والاحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما أرادوا من
تعذيب أو قتل ويقال للاسير أخيذ (فأخذتهم) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذه أن
أخذتهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه
معنى التعجيب (أنهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة
كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب
النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب
اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * وقرئ كلمات
* روي أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا
من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من
سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة
أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة
خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف
من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم
رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد
الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر * وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فان قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به)
ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب
أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن
الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه
انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من
غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق الى معرفته الا هذا
وأنه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل
ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون
أدعى شيء الى النصيحة وأبعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس
بين ملك وانسان ولا بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب
الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض * أي
يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا * (فان قلت)
تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى
والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم
وأخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء * (فان قلت)
قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده (قلت)
معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها
(انك أنت العزيز الحكيم) أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعي الحكمة
وموجب حكمتك أن تفي بوعدك (وقهم السيآت) أي العقوبات أو جزاء السيآت فحذف المضاف
على أن السيآت هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فان قلت)
ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا

والاحزاب من بعدهم وهمت كل
أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق
فأخذتهم فكيف كان عقاب
وكذلك حقت كلمت ربك على
الذين كفروا أنهم أصحاب النار
الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا ربنا
وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم انك أنت العزيز
الحكيم وقهم السيآت ومن
تق السيآت يومئذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم

بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب * وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح
فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم * أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر) والتقدير
لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة و (إذ تدعون) منصوب بالمقت الأول والمعنى
أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى
الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها
باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله
اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإذ تدعون
تعليل والمقت أشد البغض فوضع في موضع أبلغ الانكار وأشده (اثنتين) اماتتين واحياءتين أو موتتين
وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الأولى
واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس
رضي الله عنهما (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة (قلت) كما صح أن تقول سبحان من صغر
جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا
من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته
أن الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه
كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات وهو خلاف
ما في القرآن الا أن يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك
الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب
هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن
من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة
قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج)
أي الى نوع من الخروج سريع أو بطيء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه
وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك
وهو قوله (ذلكم) أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم
بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلي الكبير) دلالة على الكبرياء
والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كأن الحرورية
أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا (يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها
* والرزق المطر لأنه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) أي اعبدوه (مخلصين له الدين)
من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة أخبار
لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع
الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى أن تبلغ
العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة
عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة
(الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير بعث عليه فاستعاره له الروح
كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه (لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أي لتنذر
الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول * وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول (ويوم التلاق) يوم
القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل المعبود والعابد (يوم هم
بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب

إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون

انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فان قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب ● لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها ● الآزفة القيامة سميت بذلك لازوفها أي لقربها ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ● (فان قلت) (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين ● الحميم المحب المشفق ● والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في أنها لا تكون الا لمن فوقك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا الا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب والجحارة (فان قلت) فعلى أي الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفي الامرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من أحبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته انما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضي الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فان قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه ● الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي

لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

الصدور لايساعد عليه (فان قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الاعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد عال بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضي بالحق) يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم ء وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لأن مالا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي (انّ الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر ء وقرئ يدعون بالتاء والياء ء هم في (كانوا هم أشدّ منهم) فصل (فان قلت) من حق الفصل أن لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشدّ منهم (قلت) قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الالف واللام فأجرى مجراها ء وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشأم (وآثارا) يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدّة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله

متقلدا سيفا ورمحا (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوّة ء (فان قلت) أما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أوّلا يريد أنّ هذا قتل غير القتل الاوّل (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أوّلا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كفّ عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدّهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أنّ كيده ضائع في الكرّتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا اذا همّ بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقلّ من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أنّ فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبيّ وأنّ ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكنّ الرجل كان فيه خبّ وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحسّ منه بأنه هو الذي يثلّ عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (أن يبدّل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك ء والفساد في الارض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا ء وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون ء لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (اني عذت) بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عتّ بالادغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عمّ لفرعون آمن بموسى سرّا وقيل كان اسرائيليا و(من آل فرعون) صفة لرجل أو صلة ليكتم أي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فانّ المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون

يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور والله يقضي بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء انّ الله هو السميع البصير
أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من
قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوة
وآثارا في الارض فأخذهم الله
بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات فكفروا
فأخذهم الله انه قوي شديد
العقاب ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم
وما كيد الكافرين الا في ضلال
وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وليدع ربه اني أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر في الارض
الفساد وقال موسى اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب وقال
رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
ايمانه

أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه (أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة ومالكم علة قط فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن تقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها * ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا (ان يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وان يك صادقا يصبكم بعض) مايعدكم ان تعرضتم له (فان قلت) لم قال (بعض الذى يعدكم) وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومنا كريه الى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع مايعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (فان قلت) فعن أبى عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد

ترّاك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له (ان الله لا يهدى من هو مسرف) يحتمل أنه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ماتولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا (ظاهرين فى الارض) فى أرض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرنا) وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة * وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة أحرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل (مثل يوم الاحزاب) مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه أغنى عن ذلك كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب * ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فان قلت) بم انتصب مثل الثانى (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان

أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك الحكم الى أول ماتناولته الاضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كانه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يريد لهم أن يظلموا يعنى أنه دمرهم لانهم كانوا ظالمين * التنادى ماحكى الله تعالى فى سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور * وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى اذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفى كان بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث * ثم قال (كذلك يضل الله) أى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فان قلت) كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لانه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف * (فان قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فان قلت) أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع فى المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفى كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام * وقرئ قلب بالتنوين * ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب * قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشئ اذا ظهر و (أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدى اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فان قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلى أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) اذا أبهم الشئ ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولانه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى * ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل * والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه * قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها هو أصل الشر كله

ومنه

وما الله يريد ظلما للعباد وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار

ومنه يتشعب جميع ما يؤدى الى سخط الله و يجلب الشقاوة فى العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هى الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد فى ذلك واحتشد لاجرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفى هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغى (فلا يجزى الا مثلها) لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل * قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع فى مقابلة الا مثلها يعنى أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة * (فان قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام فى نصيحة أبيه يا أبت وأما المجىء بالواو العاطفة فلأن الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة * يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق وهداه له (ما ليس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح أن يعلم الها (لا جرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما فى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أى لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله (فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى أنه فى الدنيا جماد لا يستطيع شيأ من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (المسرفين) عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا (وأفوض أمرى الى الله) لانهم توعدوه (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبر (يعرضون عليها) وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به * وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوا وعشيا) فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فاما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت

من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فان قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الانسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر * واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع أو وصفا بالمصدر * وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا أو كلنا فيها (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لان الظرف لا يعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما فى الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين فى النار لخزنتها (قلت) لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر كما قال أبو نواس فى خلف الاحمر قليذم من العياليم الخسف وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أولم تك تأتيكم) الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التى يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين * والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثانى بدل من الاول * يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها * وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء * يريد بالهدى جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بنى اسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال * وأولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه (فاصبر ان وعد الله حق) يعنى ان نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه فى بنى اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى * واستدرك الفرطات بالاستغفار * ودم على عبادة ربك والثناء عليه (بالعشى والابكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ما هم ببالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك

ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون أشد العذاب
واذ يتحاجون فى النار فيقول
الضعفاء للذين استكبروا انا
كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون
عنا نصيبا من النار قال الذين
استكبروا انا كل فيها ان الله قد
حكم بين العباد وقال الذين
فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء
الكافرين الا فى ضلال انا
لننصر رسلنا والذين آمنوا
فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء
الدار ولقد آتينا موسى الهدى
وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب
هدى وذكرى لاولى الالباب
فاصبر ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى
والابكار ان الذين يجادلون
فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان
فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
فاستعذ بالله

ويبغي عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم * (فان قلت) كيف اتصل قوله (لخلق السموات والارض) بما قبله (قلت) ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم * ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسئ * وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لا ريب فيها) لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعوني) اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي * والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فانه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنه أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الانبياء مرسلا كان يقول لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار (فان قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة (قلت) هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فان قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل (قلت) لان الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة * (فان قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شئ وانشائه لا يمتنع عليه شئ والوحدانية لا ثاني له (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان * ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا * وقرئ خالق كل شئ نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء * هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهي أنه جعل الارض مستقرا (والسماء بناء) أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * (فان قلت) أما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكر الادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في ابطال مذهبهم

انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا

وان كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة * وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (فإذا قضى أمرا فإنما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب * (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم) إلا مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال * وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب إلا ببين غرابها

كأنه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فإن قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الأوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فإن قلت) أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى (قلت) الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء (فإما نرينك) أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك * (فإن قلت) لا يخلو إما أن تعطف (أو نتوفينك) على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فإلينا يرجعون) فقولك فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه إن الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله

ويأذن

ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله

و يأذن فى الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا * الانعام الابل خاصة * (فان قلت) لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم (قلت) فى الركوب الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية اما واجبة أو مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الأكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (فان قلت) هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه (فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه (وآثارا) قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعنى أى شئ أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله تعالى بل اذارك علمهم فى الآخرة وعلمهم فى الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به * البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس * (فان قلت) أى فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم) وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم (قلت) هو من كان فى نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم (فان قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار للزمان أى وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق أى وخسروا وقت مجئ أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون

(سورة السجدة مكية وهى أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ان جعلت (حم) اسما للسورة كانت فى موضع المبتدا و(تنزيل) خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدا محذوف و(كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى المبين لا يلتبس عليهم شئ منه (فان قلت) بم تتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات * وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدا محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه * والاكنة جمع كنان وهو الغطاء * والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى ابطال أمرك وقرئ انا عاملون * (فان قلت) هل لزيادة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فان قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفى آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا فى المعانى * (فان قلت) من أين كان قوله (انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) جوابا لقولهم قلوبنا فى أكنة (قلت) من حيث انه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوّتى واذا صحت نبوّتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (وتوبوا اليه) مما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) * وقرئ قال انما أنا بشر * (فان قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لان أحب شئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الايمان * الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فأما الاجر فحق أداؤه وقيل نزلت فى المرضى والزمنى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا
فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا
اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون
قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى
انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه واستغفروه وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم كافرون ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر
غير ممنون

قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين

والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين (ذلك) الذى قدر على خلق الارض فى مدة يومين هو (رب العالمين * رواسى) جبالا ثوابت * (فان قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسى كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات وجعلنا فى الارض رواسى وجعل لها رواسى (قلت) لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضا وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كأنه قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هى سواء * (فان قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج (فان قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) اذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الارض خلقت فى يومين علم أن ما فيها خلق فى يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول فى يومين وأن تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الاولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى الى السماء) من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على شئ وهو من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع * ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد اسأل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى (فان قلت) لم ذكر الارض مع السماء وانتظمهما فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذى أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهى الموافقة أى لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمرى ومشيئتى ولا تمتنعا * (فان قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين * (فان قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاهن) يجوز

أن يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان (فان قلت) فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فان أعرضوا) بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته * فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة * وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فان قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم * أن في (أن لا تعبدوا) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا * ومفعول شاء محذوف أي (لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لانزل ملائكة * فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذ أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا في الارض) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام أو استعلوا في الارض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده * (فان قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز ذات أو بصحة بنية وهي

وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم

نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وانما يصح اذا أريد بالقوة فى الموضعين شئ واحد (قلت) القدرة فى الانسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على مالا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أى كانوا كفرة فسقة * الصرصر العاصفة التى تصرصر أى تصوّت فى هبوبها وقيل الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصرّ وهو البرد الذى يصرّ أى يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر * وقرئ لتذيقهم على أن الاذاقة للريح أو للأيام النحسات * وأضاف العذاب الى الخزى وهو الذلّ والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به ألا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر * وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد (فان قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة (قلت) للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب و(الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الآية لكفى بها حجة * قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أى يحشر الله عز وجلّ (أعداء الله) الكفار من الاولين والآخرين (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته * (فان قلت) ما فى قوله (حتى اذا ما جاؤها) ماهى (قلت) مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به * شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضى اليها من المحرمات (فان قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجلّ ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج * أراد بكل شئ كل شئ من الحيوان كما أراد به فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم (لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم * المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم * وذلك الظن هو الذى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزلّ عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه اهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصوّنا منه مع الملا ولا يتبسط فى سره مراقبة من التشبيه بهؤلاء الظانين * وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و(ظنكم) و(أرداكم) خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فان يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا) وان يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص

هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا
يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا
صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم
عذاب الخزى فى الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أخزى وهم
لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى
فأخذتهم صاعقة العذاب
الهون بما كانوا يكسبون
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
ويوم يحشر أعداء الله الى النار
فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل
شئ وهو خلقكم أول مرة واليه
ترجعون وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم
ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم
فأصبحتم من الخاسرين فان
يصبروا فالنار مثوى لهم وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين

وقرئ وان يستعتبوا فماهم من المعتبين أى ان سئلوا أن يرضوا ربهم فماهم فاعلون أى لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم يعنى لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فان قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعنى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومثل فى هذه ما فى قوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قد أفكوا

يريد فأنت فى جملة آخرين وأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك بأوحد (فان قلت) فى أمم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم * قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم * وقد ذكرنا اضافة أسوأ بما أغنى عن اعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر و(أسوأ الذى كانوا يعملون) فى الآخرة (ذلك) اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة و(النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف * (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار فى نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله اسوة حسنة وتقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) أى جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (اللذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق * وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء فى معنى الاعطاء وأصله الاحضار (ثم) لتراخى الاستقامة عن الاقرار فى المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قلت يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر واذا قاموا من قبورهم (ألا تخافوا) أن بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه * والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم

ماتتقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم * كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (تدعون) تتمنون * والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال (ممن دعا الى الله) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله (وقال اننى من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبى حنيفة تريد مذهبه * يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك * ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا أهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فان قلت) فهلا قيل فادفع بالتى هى أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن * وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فان قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا * النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه بعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على شأنك ولا تطعه * الضمير فى (خلقهن) الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن فى معنى الآيات فقيل خلقهن * (فان قلت) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعى رحمه الله تعالى (تعبدون) وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبى حنيفة رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فان استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا الواسطة فدعهم وشأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة * وقرئ لا يسأمون بكسر الياء * الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة * وقرئ وربأت أى ارتفعت لان النبت اذا هم أن يظهر ارتفعت له الارض * يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة * وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف * (فان قلت) بم اتصل قوله (ان الذين كفروا بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) مثل كأن الباطل لا يتطرق

ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به (فان قلت) أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون (قلت) بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ما يقال لك) أى ما يقول لك كفار قومك (الا) مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه (وذو عقاب) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة * كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أى بينت ولخصت بلسان نفقهه (أأعجمى وعربى) الهمزة همزة الانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى وقرئ أعجمى والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان والعجمى منسوب الى أمة العجم وفى قراءة الحسن أعجمى بغير همزة الاستفهام على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمرسل أو المرسل اليه عربى والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربى المرسل اليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع فى انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول كتاب أعجمى ومكتوب اليه عربى وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتى الكتاب والمكتوب اليه لا على أن المكتوب اليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق اليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع فى ذكورة اللابس وأنوثته انما وقع فى غرض وراءهما (هو) أى القرآن (هدى وشفاء) ارشاد الى الحق وشفاء (لما فى الصدور) من الظن والشك * (فان قلت) (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو اما أن يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر الا أن فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا أو فى آذانهم منه وقر * وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل * والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه نفع (فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام) فيعذب غير المسىء (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها الا الله * وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركاءى) أضافهم اليه تعالى على زعمهم وبيانه فى قوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أى ما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا * والمحيص المهرب (فان قلت) آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكى ويجوز أن يكون المعنى أنك

ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركاءى قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص

علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الامر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وان مسه الشر) أي الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذا لي) أي هذا حقي وصل الي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه * ونحو قوله تعالى (وما أظن الساعة قائمة) ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون * فان كانت على طريق التوهم (ان لي) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة ياليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة * فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك * هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الانسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم * وان مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى (فان قلت) حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله) يعني أن ما أنتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (بربك) في موضع الرفع على أنه فاعل كفى و(أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن

لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد

قوله فاعل كفى كذا في النسخ ولا يخفى أن المناسب يكف والخطب سهل اه مصححه

يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة * وقرئ فى مرية بالضم وهى الشك (محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

(سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرأ ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما حم سق (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك والى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه من قبلك الى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل أوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن ايحاء مثله عادته * وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول (فان قلت) فما رافع اسم الله على هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فان قلت) فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء * والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبره قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى فى نوادر ابن الاعرابى الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه * (فان قلت) لم قال من فوقهن (قلت) لان أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهى العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن ونظيره فى المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم فجعل الحميم مؤثرا فى أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين * (فان قلت) كيف صح أن يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن فى الارض) يدل على جنس أهل الارض وهذه الجنسية قائمة فى كلهم وفى بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله الا اياهم ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا فى استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الى أن قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فان قلت) قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الارض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثانى فكأنه قيل يكدن ينفطرن من اقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التى علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين

ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم

ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوّض اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فحسب * ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله فى كتابه فى مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا و (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدّى الاول أعنى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثانى وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له * قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أى متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فان قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين فى حالة واحدة (قلت) هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان أريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق (لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان * ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه * معنى الهمزة فى (أم) الانكار (فالله هو الولى) هو الذى يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد والفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه (وهو يحيى) أى ومن شأن هذا الولى أنه يحيي (الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بأن يتخذوا وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (واليه) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى (فان قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين فى أحكام الشريعة (قلت) لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا)

والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا

أى وخلق من الانعام أزواجا ومعناه وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء أخوات (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهى من الاحكام ذات العلتين (فان قلت) مامعنى يذرؤكم فى هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا ترى انك تقول للحيوان فى خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم فى القصاص حياة * قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفى حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيأ آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت مثل كعصف مأكول * وقرئ ويقدر (انه بكل شئ عليم) فاذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه والا أفقره (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (يجتبى اليه) يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعنى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى عدة التأخير الى يوم القيامة (لقضى بينهم) حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا (فلذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (بما أنزل الله من كتاب) بأى كتاب صح أن الله أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام (فان قلت) كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل

يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير له مقاليد
السموات والارض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ
عليم شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذى أوحينا
اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه
الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى
اليه من ينيب وما تفرقوا الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا
كلمة سبقت من ربك الى أجل
مسمى لقضى بينهم وان الذين
أورثوا الكتاب من بعدهم لفى
شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله
من كتاب وأمرت لاعدل بينكم
الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم
الله يجمع بيننا واليه المصير

والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى

وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء (قلت) المراد محاجتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون
في الله) يخاصمون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله
تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم
بدر وأظهر دين الاسلام (داحضة) باطلة زالة (أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (والميزان) والعدل
والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به * بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به
بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة)
في تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجيء الساعة قريب (فان قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة
مع انزال الكتاب والميزان (قلت) لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أمركم الله
بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى
ويطفف لمن طفف * المماراة الملاجة لأن كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه (لفي ضلال بعيد) من الحق لأن
قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على
أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم
الى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلائه وجزئياته (فان قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره الى
جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره الا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت
على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له
وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله تعالى
يرزق من يشاء كما يرزق أحد الاخوين ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو
القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذي لا يغلب * سمى ما يعمله العامل مما يبغي به
الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن
كان عمله للدنيا أعطي شيأ منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط في الآخرة
ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك
الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب * معنى الهمزة في (أم) التقرير والتقريع *
وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي
شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لأنهم
متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت
شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن أضللن كثيرا من الناس (ولولا كلمة الفصل) أي
القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين الكافرين
والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم * وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني
ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) في الآخرة (مشفقين)
خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل
اليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا * كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم)
منصوب بالظرف لا بيشاؤن * قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والأصل ذلك الثواب
الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول
كقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده * روي أنه اجتمع المشركون في
مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية (الا المودة في القربى) يجوز
أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة
لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني
أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فان قلت) هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة

للقربى وما معنى قوله الا المودة فى القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرّا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ماروى عن على رضى الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وروى أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يارسول الله قال أفلا تجيبونى قالوا ما نقول يارسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى الا أن تودونى فى القربى أى فى حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن أجله يعنى أنكم قومى وأحق من أجابنى وأطاعنى فاذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على وقيل أتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يارسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح * وقرئ الا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) عن السدى أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع * وقرئ يزد أى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى * الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) فان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلنى لعل الله أعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم * ثم قال ومن عادة الله أن يمحو

ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور
أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل

الباطل ويثبت الحق (بكلماته) بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم * ان الله عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (فان قلت) ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط (قلت) كما سقطت فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة فى بعض المصاحف * يقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه * والتوبة أن يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وروى جابر أن اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر (ويعلم ما يفعلون) قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين آمنوا) أى يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله تعالى واذا كالوهم أى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا أو اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمى ينبت بيننا * وبين بنى رومان نبعا وشوحطا

يعنى أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغى والتغابن أو من البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب ابن الارت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (خبير بصير) يعرف ما يؤول اليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا (فان قلت) قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لا شبهة فى أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن * قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته فى كل شئ كأنه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (وما بث) يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف اليه أو المضاف * (فان قلت) لم جاز (فيهما من دابة) والدواب فى الارض وحدها (قلت)

ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة

يجوز أن ينسب الشيء الى جميع المذكورين وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وانما هو في فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم و بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح و يجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانا يمشي فيها مشى الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم ومالا نعلم من أصناف الخلق * اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه (اذا يشاء) وقال الشاعر

واذا ما أشاء أبعث منها * آخر الليل ناشطا مذعورا

* في مصاحف أهل العراق (فبما كسبت) باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن (بمعجزين) بفائتين ما قضي عليكم من المصائب (من ولي) من متول بالرحمة (الجواري) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء * كأنه علم في رأسه نار * وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر (يوبقهن) يهلكهن والمعنى أنه ان يشأ يبتلي المسافرين في البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا * بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فان قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (فان قلت) فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (فان قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام *(فان قلت) فما وجوه القراآت الثلاث في (ويعلم) (قلت) أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على اضمار أن لان قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وان شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله ان تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لانه ليس بواجب أنه يفعل الا أن يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه اه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة (فان قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال أو ان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه * ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء

وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الاثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنه كبير الاثم هو الشرك (هم يغفرون) أي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلاة) وأتموا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم * والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى * هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فان قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لان من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود * كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره الى الله (ان ذلك) منه (لمن عزم الامور) وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم الامر قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري (ومن يضلل الله) ومن يخذل الله (فماله من ولي من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفي) أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف (يوم القيامة) اما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده * والنكير الانكار أي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم * أراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة

والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا

بما قدمت أيديهم انما تستقيم فيهم * والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف * والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها * لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط (فان قلت) لم قدم الاناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث (قلت) لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال (ذكرانا واناثا) كما قال انا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (انه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله الا) على ثلاثة أوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص

وأوحى الي الله أن قد تأمروا * بابل أبي أوفى فقمت على رجل

أي ألهمني وقذف في قلبي واما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله (من وراء حجاب) مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح * (فان قلت) قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الايمان) والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من

النظر

رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

النظر والاستدلال أن يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التى فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الايمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى ألا ترى أنه قد فسر الايمان فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلاة لانها بعض ما يتناوله الايمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدى عليه (صراط الله) بدل * وقرئ لتهدى أى يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

(سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهى تسع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبى تمام وثناياك انها اغريض (المبين) البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و (قرآنا عربيا) حال * ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى أى خلقناه عربيا غير عجمى ارادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته * وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ سمى بأم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ * على رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أى منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت فى أم الكتاب هكذا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) بمعنى أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفى هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أى صافحين معرضين (أن كنتم) أى لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم (فان قلت) كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخيل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه * الضمير فى (أشد منهم) للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم * (فان قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذى هذه أوصافه وليسندنه اليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا و (الازواج) الاصناف (ما تركبون) أى

ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور

(بسم الله الرحمن الرحيم) حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون

تركبونه (فان قلت) يقال ركبوا الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه (قلت) غلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام * ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها فى قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر فى لطائف الصناعات فكيف بالنظر فى لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشئ اذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتنى ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى الى قولهم فى الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرّنين والمعنى واحد (فان قلت) كيف اتصل بذلك قوله * وانا الى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو فى بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو فى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا أوامره وقد بلغنى أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به فى هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزأ أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمتين (لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الاناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الاناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما * وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن فى الذكر عليهم لما ذكرت فى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعنى أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذى فيه المرأة فقالت

ما لأبى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا

لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا

غضبان أن لانلد البنينا ✻ ليس لنا من أمرنا ماشينا
وانما نأخذ ما أعطينا

✻ والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الافعال الناقصة بمعناها ✻ وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ✻ ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء ✻ قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم ✻ وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وأناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث ✻ وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وأأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا (فان قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم ✻ الضمير في (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبران أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ✻ قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ✻ قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك

ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

عنه وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى * وقرئ براء بفتح الباء وضمها وبرى * فبرى * وبراء نحو كريم وكرام وبراء
مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك
والخلاء منك (الذى فطرنى) فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن
الذى فطرنى فانه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال انى براء مما تعبدون الا
من الذى فطرنى (فان قلت) كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله
مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة
(قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما فى ما تعبدون موصوفة
تقديره اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
* (فان قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف (قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها)
وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة
باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده * لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء
من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله * وقرئ كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك
وفى عاقبه أى فيمن عقبه أى خلفه (بل متعت هؤلاء) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة
فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو
القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا
ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم وقرئ بل متعنا (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن
الله تعالى اعترض على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به
من طول العمر والسعة فى الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لأنه اذا
متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا فى زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن
يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل اساءة من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب
فى ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسىء لا تقبيح فعله (فان قلت) قد جعل مجىء الحق
والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت)
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن
التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ
قصتهم عند مجىء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التى كانوا عليها وهو أن ضموا الى شركهم
معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على أفعال الكفرة
والاحتكام على حكمة الله فى تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم) وهى الغاية فى تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلى القريتين
وهما الوليد بن المغيرة المخزومى وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة
وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى وكان الوليد يقول لو كان حقا
ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علىّ أو على أبى مسعود الثقفى وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا
ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا الا رجالا من أهل القرى جاؤا
بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به
وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه فى الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم
يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا
هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التى لا يتولاها الا هو
بباهر قدرته وبالغ حكمته * ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم

فى دنياهم

واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمت ربك

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون

فى دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذى قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسوّ بينهم ولكن فاوت بينهم فى أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالى وخدما ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا فى تدبير المعيشة الدنية فى الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم فى تدبير أمور الدين الذى هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام * ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهى دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع وأذن له فى تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك فى تناولها الطريق التى شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين فى قولك وهبت له ثوبا لقميصه * وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة فى سقف وسقوفا * ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهى المصاعد الى العلالى (عليها يظهرون) أى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه * وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرف التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أى للذى هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا * لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (فان قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدى اليه من الدخول فى الاسلام لاجل الدنيا والدخول فى الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى * قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة

متى تأته تعشو الى ضوء ناره

أى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم

أعشو اذا ما جارتى برزت * حتى يوارى جارتى الخدر

وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض أى يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان * (فان قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان فى قوله (وانهم ليصدونهم) (قلت) لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فلما جاز أن يتناولا

يامال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يامال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار الغنوي يامال بالرفع كما يقال ياحار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا (فان قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعدما وصفهم بالابلاس (قلت) تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله عنهما انما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شئ في السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر ان كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له * وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة * ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما

ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم

تقول هو حاتم فى طىّ حاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طىّ جواد فى تغلب * وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيأ وزاده طولا أن المعطوف داخل فى حيز الصلة ويحتمل أن يكون فى السماء صلة الذى واله خبر مبتدا محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفى الآلهة التى كانت تعبد فى الارض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء * ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن (من شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر فى النصب عن الاخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجرّ على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوّز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى قالوه ليس بقوىّ فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجرّ والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا ربّ أو وقيله يا ربّ قسمى انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودّعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير فى وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

(سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهى سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الواو فى (والكتاب) واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله (انا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب المبين القرآن * والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل فى تسميتها ليلة البراءة والصك انّ البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمّنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام انّ الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام انّ الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصرّ على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله فى هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر انّ المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقوله تعالى شهر رمضان الذى

وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنى يؤفكون وقيله يا ربّ انّ هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (بسم الله الرحمن الرحيم) حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة

أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان (فان قلت) مامعنى انزال القرآن فى هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما * (فان قلت) (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذى هو قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم * والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التى يتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة * ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته * وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن على رضى الله عنه نفرق بالنون * كل أمر حكيم كل شأن ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الامر الذى هو ضد النهى ثم اما أن يوضع موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين فى أنزلناه اما من ضمير الفاعل أى أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أى أنزلناه فى حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل * (فان قلت) (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده أى يفصل فى هذه الليلة كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين * وفى قراءة زيد بن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص * وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (انه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق الا لمن هذه أوصافه * وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك * (فان قلت) مامعنى الشرط الذى هو قوله (ان كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهر واسخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) وأن اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته * واختلف فى الدخان فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان

انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين

ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأمّا الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود انّ قاصا عند أبواب كندة يقول انه دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فانّ من علم الرجل أن يقول لشئ لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم انّ قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهمّ اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدّث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محلّ الجرّ صفة لدخان و(هذا عذاب) الى قوله مؤمنون منصوب المحلّ بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أى قائلين ذلك (انا مؤمنون) موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الادّكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا * وتولوا عنه وبهتوه بأنّ عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غبّ الكشف على ما أنتم عليه من التضرّع والابتهال (فان قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) اذا أتت السماء بالدخان تضوّر المعذبون به من الكفار والمنافقين وعوّذوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدّون لا يتمهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامّة الكبرى (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم (فان قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دلّ عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لانّ انّ تحجب عن ذلك * وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر * وقرئ ولقد فتّنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه لانّ الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدّوا الىّ) هى أن المفسرة لانّ مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأنّ الشان والحديث أدّوا الىّ (وعباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدّوهم الىّ وأرسلوهم معى كقوله تعالى أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على أدّوا الىّ يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى * وعلل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبىّ الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون * وقرئ عتّ بالادغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا أسباب الوصلة عنى أو فخلونى كفافا لا لى ولا علىّ ولا تتعرّضوا الىّ بشرّكم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك (أنّ هؤلاء) بأنّ هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهمّ عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو

يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان أدّوا الىّ عباد الله انى لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه أنّ هؤلاء قوم مجرمون

قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم
مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) قرئ بقطع
الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وأن يكون
جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر ببنى اسرائيل
فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين * الرهو فيه وجهان
أحدهما أنه الساكن قال الاعشى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

أى مشيا ساكنا على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه
ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله
القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا
فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم * والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر * والنعمة
بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام * وقرئ فاكهين وفكهين (كذلك) الكاف منصوبة على
معنى مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الامر كذلك (قوما آخرين)
ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى أيديهم فأهلكهم
الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم * اذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء
والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة
غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكى عليك نجوم الليل والقمرا
وقالت الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما روى عن ابن عباس رضى
الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم
فى قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال
فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين
يعنى فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر
ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذابا
مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون
* وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين
هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون
على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك بقوله (انه كان عاليا من
المسرفين) أى كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا فى اسرافه أو عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون
علا فى الارض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا * الضمير فى (اخترناهم) لبنى اسرائيل
و (على علم) فى موضع الحال أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى
مع علم منا بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات فى بعض الاحوال (على العالمين) على عالمى زمانهم وقيل
على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم (من الآيات) من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو
بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (هؤلاء)
اشارة الى كفار قريش (فان قلت) كان الكلام واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا
الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (ان هى الا موتتنا

فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا

الاولى) وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الاولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هى الا حياتنا الدنيا فى المعنى * يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤن * هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذى ملك برا وبحرا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه السلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتى تبع لا تشركان بالله شيأ وقيل هو الذى كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس * (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (أهم خير) ولا خير فى الفريقين (قلت) معناه أهم خير فى القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع (وما بينهما) وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرأ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل (لا يغنى مولى) أى مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أى مولى كان (شيأ) من اغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للموالى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه * قرئ ان شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروى أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذى يخوفكم به محمد فنزل (ان شجرت الزقوم طعام الأثيم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهى أى يؤدى القارئ المعانى على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والاغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى على بن الجعد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة مثل قول صاحبيه فى انكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلى) وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و(الحميم) الماء الحار الذى انتهى غليانه * يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافى وقرئ بكسر التاء وضمها (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها * (فان قلت) هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه (قلت) اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب * يقال (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل

الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم

الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وقرئ أنك بمعنى لانك وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قرأ به على المنبر (ان هذا) العذاب أو ان هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) أى تشكون أو تتمارون وتتلاجون * قرئ فى مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة * والامين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره * قيل السندس مارق من الديباج * والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر (فان قلت) كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ أعجمى (قلت) اذا عرب خرج من أن يكون عجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (كذلك) الكاف مرفوعة على الامر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم (وزوجناهم) * وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفى قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة * وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت (فان قلت) كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها (قلت) أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها * وقرئ ووقاهم بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعنى كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أى ذلك فضل (فانما يسرناه بلسانك) فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه أى سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان فى ليلة جمعة أصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بـ(تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و (من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (ان فى السموات والارض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم) (فان قلت) علام عطف (وما يبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف اليه (قلت) بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك ان أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد * قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف وقرأ ابن مسعود وفى اختلاف الليل والنهار (فان قلت) العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقدم ذكره فى الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثانى أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها باضمار هى * وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع * وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية * وقرئ وتصريف الريح والمعنى

ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها

ن المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لابد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فاذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات آيات الله و(نتلوها) في محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث * وقرئ (يؤمنون) بالتاء والياء * الافاك الكذاب * والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الاعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة في كل ما كان مضارا لدين الله (فان قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والاقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الايذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شئ يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها (كأن) مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (واذا) بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أى اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشئ من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيأ يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسي بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة * وقرئ علم (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين * والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أوقدام قال

أليس ورائي ان تراخت منيتي * أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أى من قدامهم (ما كسبوا) من الاموال في رحلهم ومتاجرهم (ولا ما اتخذوا من دون الله) من الاوثان (هذا) اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن أى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل * والرجز أشد العذاب * وقرئ بجر أليم ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر (فان قلت) ما معنى منه في قوله (جميعا منه) وما موقعها من الاعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وأن يكون ما في الارض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرأ مسلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدا محذوف

وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

أى ذلك أو هو منه * حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها فى عمر رضى الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة * (فان قلت) قوله (قوما) ما وجه تنكيره وانما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذى بعثك بالحق لاترى الغضب فى وجهى وقرئ ليجزى قوما أى الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين * فما وقع بينهم الخلاف فى الدين (الا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم * وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * ولا توالهم انما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان * والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما أعد لهم وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس * أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو أحسن رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بأنواع الالطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) * وقرئ غشاوة بالحركات

قل للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله ليجزى قوما
بما كانوا يكسبون من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا
بنى اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على العالمين وآتيناهم
بينات من الامر فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ثم جعلناك على شريعة من الامر
فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين
لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك
من الله شيأ وان الظالمين بعضهم
أولياء بعض والله ولى المتقين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة
لقوم يوقنون أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون وخلق الله
السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون أفرأيت من
اتخذ الهه هواه وأضله الله على
علم وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله

الثلاث وغشوة بالكسر والفتح * وقرئ تتذكرون (نموت ونحيي) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون * وقرئ الا دهر يمرّ * وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر * قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره (فان قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لانهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة أو لانه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم حجة ألبتة * (فان قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان أنصفوا وأصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان أهون شئ عليه * عامل النصب في (يوم تقوم) يخسر و(يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم * وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة (الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول * (فان قلت) كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل (قلت) الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته اياهم فلان أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أي نستكتبهم أعمالكم (في رحمته) في جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه * وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها (ما الساعة) أي شئ الساعة (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين * سيئات ما عملوا) أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم في العذاب كما تركتم عدة (لقاء يومكم هذا) وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشئ المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشئ الذي يطرح نسيا منسيا (فان قلت) ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم (قلت) كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه * وقرئ لا يخرجون بفتح الياء (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب * وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (في السموات والارض) وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

(سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون آية وقيل خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي اليه وهو يوم القيامة

أفلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى

(والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أى من شئ أوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة وأما الاثرة فالمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة ٭ واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها ٭ قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات ٭ واللام فى (للحق) مثلها فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا أى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ٭ ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره فى البطلان لا شبهة فيه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة فى أم الانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته) على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه عنى فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيأ ان اراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيأ ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا ٭ (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل اليهم فى قوله تعالى فلا تملكون لى (قلت) كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عنى أيها المنصوحون ان أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه ٭ البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد أجاب

قوله وقرى أثرة أى من شئ الخ فى بعض النسخ وقرئ على أثرة بزيادة على وكتب عليه بالهامش ما معناه لعل زيادة على سهو من المصنف أو الناسخ اه والظاهر حذف من أيضا اه مصححه

والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل

موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي (وما أدري) لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه (ان أتبع الا ما يوحى الي) وعن الحسن وما أدري ما يصير اليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل (فان قلت) ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم (قلت) أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتناوله وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى الى قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها * وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة * وقرئ يوحي أي الله عز وجل * جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين * والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فان قلت) أخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم نتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه

وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه * (فان قلت) لا بد من عامل في الظرف في قوله (اذلم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (افك قديم) كقولهم أساطير الاولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول * وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له * قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر * وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (فان قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال

كل حي مستكمل مدة العمـ ـر ومود اذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الاشد أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد أربعين سنة * والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه * وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس * (فان قلت) ما معنى في في قوله (وأصلح لي في ذريتي) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي (من المسلمين) من المخلصين * وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئنا بالنون * (فان قلت) ما معنى قوله (في أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمني الامير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان الى الاسلام فأفف بهما وقال ابعثوا الى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية

واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه

الى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان
يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ماهو به ولو
شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله * وقرئ أف بالكسر
والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال
حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما * وقرئ أتعدانني
بنونين وأتعدانى بأحدهما وأتعدانى بالادغام وقد قرأ بعضهم أتعدانى بفتح النون كأنه استثقل اجتماع
النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن اطرح أحدهما (أن أخرج)
أن أبعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى ولم يبعث منهم أحد
(يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور
والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (فى أمم) نحو قوله فى أصحاب الجنة * وقرئ أن
بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات مما عملوا) أى منازل
ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما (فان قلت) كيف قيل درجات وقد جاء
الجنة درجات والنار دركات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين
(وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم
حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات * ناصب الظرف هو القول
المضمر قبل (أذهبتم) * وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه
قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض
يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنه يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها
(أذهبتم طيباتكم) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا وقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم
يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة
ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت
أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل
الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح
فى أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم
اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين * الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان
* وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها * الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من
احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها
الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و (النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه) من قبله
(ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم
لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم
منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن
خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله
تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر
انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم
* الافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (بما تعدنا) من معاجلة العذاب على
الشرك (ان كنت) صادقا فى وعدك * (فان قلت) من أين طابق قوله تعالى (انما العلم عند الله) جوابا لقولهم
فأتنا بما تعدنا (قلت) من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به
فقال لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بان
يأتيكم بعذابه فى وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذى هو

أف لكما أتعدانى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون

شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي
ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه)
في الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا واما حالا وهذا
الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا
عرض * واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة
(بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل
ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله تعالى قل (تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير
فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائي من كان وقرئ
لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء
منهم (الا مساكنهم) ومنه بيت ذي الرمة * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وليست بالقوية * وقرئ
لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى
ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أول
ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض
فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع
ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح
خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه
في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض
وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني أسألك خيرها
وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه
فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا
(فان قلت) ما فائدة اضافة الرب الى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم
قدرته لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك
ويقويه (ان) نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير
المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث
أبو الطيب في قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك
ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش

يرجي المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا
كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار (من شيء) أي من
شيء من الاغناء وهو القليل منه * (فان قلت) بم انتصب (اذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى
(فان قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته
وضربته اذا أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا أن اذ وحيث غلبتا
دون سائر الظروف في ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما
والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون) * القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا
بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة
وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى
فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم
لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب
من كونه ذا شركاء * وقرئ أفكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ

الذي

فلما رأوه عارضا مستقبل
أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب أليم تدمر كل
شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى
الا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم
سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات
الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
ولقد أهلكنا ما حولكم من
القرى وصرفنا الآيات لعلهم
يرجعون فلولا نصرهم الذين
اتخذوا من دون الله قربانا آلهة
بل ضلوا عنهم وذلك افكهم

الذى هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الافك (صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير للقرآن اى فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أى أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمرّوا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كتقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك * (فان قلت) كيف (قالوا من بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى * (فان قلت) لم بعض فى قوله (من ذنوبكم) (قلت) لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فان قلت) هل للجن ثواب كما للانس (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) واليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم فى حكم بنى آدم لانهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز فى الارض) أى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر * ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الاول (أليس هذا بالحق) محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولو الجد والثبات والصبر و(من) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولى العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه * ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرى

قوله مستثفرى ثياب بيض فى القاموس الاستثفار أن يدخل ازاره بين فخذيه ملويا وادخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه اه

وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهى سورة القتال)

(وهى تسع وثلاثون آية وقيل ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصدوا) وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التى هى بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتنى بأمرها أو جعلها ضالة فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام • وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره • وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الامر وهو اضلال اعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدا محذوف أى الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول و(الباطل) ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم (فان قلت) أين ضرب الامثال (قلت) فى أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو فى أن جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (لقيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك أن قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا فى قوله بما كسبت أيديكم على أن فى هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذى هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد فى هذه الغلظة فى قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) اكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به ومنا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله أضل أعمالهم والذين آمنوا
وعملوا الصالحات وآمنوا بما
نزل على محمد وهو الحق من
ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح
بالهم ذلك بأن الذين كفروا
اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم كذلك
يضرب الله للناس أمثالهم فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى اذا أثخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما
فداء

قوله أى الامر كما ذكر كذا
فى النسخ والظاهر أن يقول أى
الامر ذلك كما قال عند قوله ذلك
ولو يشاء الله اه مصححه

و بين أن يفادوهم (فان قلت) كيف حكم اسارى المشركين (قلت) أمّا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين اما قتلهم واما استرقاقهم أيهما رأى الامام ويقولون في المنّ والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء وانما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمنّ أن يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمنّ عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمّة وبالفداء أن يفادى باساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأمّا الشافعي فيقول للامام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمنّ ويحتج بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ على أبي عروة الجمحي وعلى ابن أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأى وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء * أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لانه لما لم يكن لها بدّ من جرّها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فان قلت) حتى بم تعلقت (قلت) لا تخلو اما أن تتعلق بالضرب والشدّ أو بالمنّ والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشدّ فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمنّ والفداء فالمعنى أنه يمنّ عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأوّل المنّ والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الامر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب * وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا * وقرئ فلن يضلّ أعمالهم وتضلّ أعمالهم على البناء للمفعول ويضلّ أعمالهم من ضلّ وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد (عرّفها لهم) أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدى أهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أنّ الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرّفه كل شئ أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى أو حدّدها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والارف الحدود (ان تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوّكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسا لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا * (فان قلت) علام عطف قوله (وأضلّ أعمالهم) (قلت) على الفعل الذى نصب تعسا لانّ المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعاله قال الاعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردّى في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم * دمّره أهلكه ودمّر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمّر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لانّ التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عزّ وعلا سنة الله في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا ويروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت

قوله خيفة أن يعودوا في نسخ أن لا يعودوا وكتب عليه الصواب حذف لا اه مصححه

حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضلّ أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم انّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار

فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففى النار يعذبون (فان قلت) قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير مفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى مسارحها ومعالفها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام * وقرئ وكائن بوزن كاعن * وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم * ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك * (فان قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وانما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين لهم هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا) للحمل على لفظ من ومعناه * (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد فى النار (قلت) هو كلام فى صورة الاثبات ومعنى النفى والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وانخراطه فى سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد فى النار أى كمثل جزاء من هو خالد فى النار (فان قلت) فلم عرى من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذى طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلى يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذى تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التى فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف هى فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون فى موضع الحال أى مستقرة فيها أنهار وفى قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أى ما صفاتها كصفات النار * وقرئ اسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتنى رضابا غير ذى أسن * كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة أى لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم * هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشئ اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم

والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم

وعن السدى بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير فى زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين (أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهى فى مصاحف أهل مكة كذلك (فان قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعنى لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان أكرمنى زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والاشراط العلامات قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبى كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر أختها وهى مروية عن أبى عمرو وما أخوفنى أن تكون غلطة من الراوى على أبى عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم * لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت أن الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون فى منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد * كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) فى معنى الجهاد (فاذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا فى أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفى قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين فى قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتى الاقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هى حكاية قولهم أى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف (فاذا عزم الامر) أى جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا فى ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى التوكيد * (فان قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الافساد (فان قلت) فكيف يصح هذا فى كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على

قوله بوزن جربة فى القاموس الجربة محركة مشددة جماعة الحمر اهـ

فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم

فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم

ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم

الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفى قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه توليتم أى ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بافسادهم * وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا أنزلت سورة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا فى القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فان قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت الاقفال اليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك أو يراد على بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى وقرئ وأملى لهم يعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى انما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فان قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل هم المنافقون * الذين قالوا القائلون اليهود * والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم * وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (فى بعض الامر) فى بعض ما تأمرون به أو فى بعض الامر الذى يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم * فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ * وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه لقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (ما أسخط الله) من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و (رضوانه) الايمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيماهم) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق * (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الاولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا * واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم
وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون
القرآن أم على قلوب أقفالها ان
الذين ارتدوا على أدبارهم من
بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان
سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
سنطيعكم فى بعض الامر والله
يعلم أسرارهم فكيف اذا توفتهم
الملائكة يضربون وجوههم
وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا
ما أسخط الله وكرهوا رضوانه
فأحبط أعمالهم أم حسب الذين
فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله
أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم
فى لحن القول والله يعلم أعمالكم
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا أخباركم

حسنها

حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح * وقرأ يعقوب ونبلو بسكون
الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم * وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى
وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى دينهم
يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم
التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم بل يستضرون
بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم)
أى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى أن قال أن تحبط
أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع
مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن
تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا
أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها
وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن
عباس رضى الله عنه لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم
أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (و) لا (تدعوا الى السلم) وقرئ
السلم وهما المسالمة (وأنتم الاعلون) أى الاغلبون الاقهرون (والله معكم) أى ناصركم وعن قتادة
لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة * وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا
دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى أو منصوب لاضمار أن ونحو قوله
تعالى وأنتم الاعلون قوله تعالى انك أنت الاعلى (ولن يتركم) من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ
أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه
بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى أفرد
عنهما قتلا ونهبا (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أى ولا يسألكم
جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال (ان يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله
والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح وأحفى شاربه اذا
استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم
لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير فى يخرج لله عز وجل أى يضغنكم بطلب
أموالكم أو للبخل لانه سبب الاضطغان * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع
أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) قيل هى النفقة
فى الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون الى
أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما
(يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه * ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه
لحاجته اليه فهو الغنى الذى تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا)
معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين
فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار
وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم

ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من
بعد ما تبين لهم الهدى لن
يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا
أعمالكم ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وأنتم الاعلون والله معكم ولن
يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم أجوركم ولا يسألكم
أموالكم ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم
ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا
فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه والله
الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
أمثالكم

كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿ سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى * (فان قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضى الله عنه رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم فى الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصرا عزيزا) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه (السكينة) السكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا ايمانا) بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه * وقع السوء عبارة عن رداءة الشئ وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل فى المرضى الصالح من الافعال فعل صدق وفى المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها

(بسم الله الرحمن الرحيم) انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء

فهى عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فان قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف اليه الا على التأويل الذى ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلان الذى أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس (ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه (ويسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد * وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته * وقرئ وتعزروه بضم الزاى وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر * لما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم * وقرئ انما يبايعون لله أى لاجل الله ولوجهه * وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها * وبما عاهد وعهد (فسنؤتيه) بالنون والياء * يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم * هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم * وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق * وطلبهم للاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعا) من ظفر وغنيمة * وقرئ ضرا بالفتح والضم * الاهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كارض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال * وقرئ الى أهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم * والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر * ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم * فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيما) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا (تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها (لا يفقهون) لا يفهمون

وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد
لهم جهنم وساءت مصيرا
ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما انا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا
ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث
فانما ينكث على نفسه
ومن أوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه أجرا عظيما سيقول
لك المخلفون من الاعراب شغلتنا
أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا
يقولون بألسنتهم ما ليس فى
قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله
شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد
بكم نفعا بل كان الله بما تعملون
خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى أهليهم
أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم
ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا
للكافرين سعيرا ولله ملك
السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا
كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم
قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون

الا فهما (قليلا) وهو فطنتهم لامور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
(فان قلت) ما الفرق بين حرفى الاضراب (قلت) الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل
وقلة الفقه (قل للمخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة
وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم
الا الاسلام أو السيف عند أبى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية
وعند الشافعى لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب وهذا دليل على امامة
أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته
وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا
وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية
(فان قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) ان صح ذلك
فالمعنى لن تخرجوا معى أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين أو على قول مجاهد
كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم (كما توليتم من قبل)
يريد فى غزوة الحديبية ٭ أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام
لا ثالث لهما وفى قراءة أبى أو يسلموا بمعنى الى أن يسلموا ٭ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات فى التخلف
عن الغزو ٭ وقرئ ندخله ونعذبه بالنون ٭ هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبى صلى الله عليه
وسلم حين نزل الحديبية بعث جوّاس بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا
بعمر رضى الله عنه ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى
ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت بحرب وانما جاء
زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل
أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله
لو كنت أبصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصل الشجرة وعلى ظهره غصن
من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدى غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن
عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل
الارض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة (فعلم
ما فى قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة والامن بسبب
الصلح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح
هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق
(وعدكم الله مغانم كثيرة) وهى ما يفىء على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر
(وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفاءهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف
الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة
يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة
وعنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على
هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم
تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها
ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما

قوله جوّاس بن أمية كذا فى
نسخ الكشاف وفى أبى السعود
خراش وكتب عليه بالهامش
هو بالخاء والشين المعجمتين بينهما
راء وألف وغيره تحريف نص
عليه الشهاب اه مصححه

الا قليلا قل للمخلفين من
الاعراب ستدعون الى قوم
أولى بأس شديد تقاتلونهم
أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم
الله أجرا حسنا وان تتولوا كما
توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما
ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض
حرج ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجرى من تحتها
الانهار ومن يتول يعذبه عذابا
أليما لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم
ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحا قريبا ومغانم
كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا
حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها فعجل لكم هذه وكف
أيدى الناس عنكم ولتكون
آية للمؤمنين ويهديكم
صراطا مستقيما وأخرى لم
تقدروا عليها قد أحاط الله بها
وكان الله على كل شىء قديرا

لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتداء والجر بإضمار رب * (فإن قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه (قلت) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي (أيديهم) أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت * وقرئ تعملون بالتاء والياء * قرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فإن قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم (فإن قلت) فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا و (أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم * والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه و (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعني أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فتصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فإن قلت) أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير * (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر * والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب

ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هو أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى * وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج * رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا) صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه * (فان قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) اما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الاحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه و (لتدخلن) جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف * (فان قلت) ما وجه دخول (ان شاء الله) في اخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن عن الحسن رضي الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) اما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضي الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيأ من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى (من أثر السجود) يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما

وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود

أشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه (فان قلت) فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرئ الانجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) من الموازرة وهي المعاونة وعن الاخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام وترقيه في الزيادة الى أن قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (فان قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي قوله تعالى (لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا أن الاول أملأ بالحسن وأوجه وأشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا الى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما * وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا أمرا الا بعد

ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما
(بسم الله الرحمن الرحيم)
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله

ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيأ حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز أن
يجرى مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة
الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا
تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا
الاختصاص القوي كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه
بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا وعليهم المنذر بن عمرو
الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة
فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت أي لا تعملوا
شيأ من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة في اليوم
الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت
وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا
ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح إذا مضى من
الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من
الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا
كانوا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل
فيه أنه إذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشى بين يديه إلا لحاجة
وأن يستأني في الافتتاح بالطعام (واتقوا الله) فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها
وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فإن التقي حذر لا يشافه أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في
أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا
عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها
ويتعلق بسببها (إن الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب * إعادة النداء عليهم
استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا
ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه
تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به ومستعظم الحق
لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله
(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي
يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم
لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه
بصخبكم * وبقوله ولا تجهروا له بالقول أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع
الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس
الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى
(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت
هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن
عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر إذا
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن
ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به

واتقوا الله إن الله سميع عليم
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض

العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهى أيضا رفع الصوت الذى لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم فى حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو ما أشبه ذلك ففى الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بنى جعدة

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه وفى قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديدة فى قول الاعلم الهذلى

رفعت عينى بالحجا * ز الى أناس بالمناقب

وليس المعنى فى هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهى ليكون الامر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدى بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه الا بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه مفعول له وفى متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهى فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثانى أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كأنه فعل لاجله وكأنه العلة والسبب فى ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فان قلت) لخص الفرق بين الوجهين (قلت) تلخيصه أن يقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كأنهما شئ واحد ثم يصب النهى عليهما جميعا صبا وفى الاول يقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه (فان قلت) بأى النهيين تعلق المفعول له (قلت) بالثانى عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتونى أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى الى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان فى قوله تعالى فيحل عليكم غضبى والحبوط من حبطت الابل اذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الابل اذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامیه الى الفساد جعل العمل السيئ فى اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثانى أن فى آثامه ما لا يدرى أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون فى تقواه كالماشى فى طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على

أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشئ باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه
قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الامر أي
كائن له ومختص به قال أنت لها أحمد من بين البشر أعداه من للبعملات على الوجى وهي مع معمولها
منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى أي لتثبت وتظهر
تقواها ويعلم أنهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل
أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله
عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو
كل شئ جهدته فقد محنته وأنشد

أتت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت آطالها

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها
الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدإ وخبر معرفتين
معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره
ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض
أصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب
الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء * والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلمه من
خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان (فان قلت) أفرق بين الكلامين
بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما
الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ
ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من
أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في
ادبار الحجرات أو في وجوهها وانما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من
غير قصد الى جهة دون جهة * والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة
وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ
بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم من
ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد
أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون
راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس * والاخبار عن
أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا
الى نفي أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن
يهلكهم فورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه
ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار
على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم
واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة الى آخر هذه
الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم
يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر

حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جىء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار بأخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه (أنهم صبروا) فى موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفى كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر *(فان قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) والى أن تخرج (قلت) ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز والى عامة فى كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء اليه *(فان قلت) فأى فائدة فى قوله (اليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان خيرا لهم) فى كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لابعثن اليكم رجلا هو عندى كنفسى يقاتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع * وفى تنكير الفاسق والنبا شياع فى الفساق والانباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا فى الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مخاطبتهم بكلمة زور (أن تصيبوا) مفعول له أى كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة * والاصباح بمعنى الصيرورة * والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته أدمن الامر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بأنه لا يفارق صاحبه * الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها

أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أي لوقعتم في العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب ما يؤديه إلى الهلاك وقد أعنت العظم إذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) أي إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي أولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته (فإن قلت) ما فائدة تقديم خبر أن على اسمها (قلت) القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه (فإن قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأي في أمر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (فإن قلت) كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا وإثباتا (قلت) هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فإن قلت) فإن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود (قلت) الذي سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة الثقات وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك مما ليس للإنسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول * و (الكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود (والفسوق) الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت * والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد

وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد

و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فإن قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن يتحد الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا

بالعصي

لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما

فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم

بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا * والبغى الاستطالة والظلم واباء الصلح * والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وعن أبى عمرو حتى تفى بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فان قلت) ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبى عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى أمر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت فى نفسى من شىء ما وجدته من أمر هذه الآية ان لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرنى الله عز وجل قاله بعد أن اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما اما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما أن تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغى الى أن تكف وتتوب فان فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفى ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتى بأن الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل فى قوله تعالى (فاصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذى ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط (فان قلت) فلم قرن بالاصلاح الثانى العدل دون الاول (قلت) لان المراد بالاقتتال فى أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتى شبهة وأيتهما كانت فالذى يجب على المسلمين أن يأخذوا به فى شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى اصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الامر باتقاء الله على عقب النهى عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور * هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة فى الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبى صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل * (فان قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع (قلت) لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر ألزم لان الفساد فى شقاق الجمع أكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج * وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس

المؤمنون الا الأخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد ازاحت عنهم شبهات الاجنبية وأبى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه (واتقوا الله) فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه * وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا به رجاءكم * القوم الرجال خاصة لانهم القوّام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوّامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذُبّ عنه والذابون هم الرجال وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أى قياما واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية وفى قول زهير أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن * وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن تقصد افادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتى ما عليه من النهى والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه فى تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدى ذلك وان أوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذى صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلبا * وفى قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكنّ فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التى لا خبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ * واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن رضى الله عنه فى ذكر الحجاج أخرج الىّ بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة فى سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات اللهمّ أنت أمته فاقطع سنته فانه أتانا أخيفش أعيمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقى ولا من الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالالقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهىّ عنه هو ما يتداخل المدعوّ به كراهة لكونه تقصيرا به وذمّا له وشينا فأمّا ما يحبه مما يزينه وينوّه به فلا بأس به روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحبّ أسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضى الله عنه أشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصدّيق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقلّ من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة فى الامم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير

واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

روى عن الضحاك أن قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبى ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وان عمى موسى وان زوجى محمد وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لى حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى الى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفى قوله (بعد الايمان) ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثانى أنه كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ثم يقال فى مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) (فان قلت) بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن فى الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا فى تظننه والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة فى الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له * والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذى النوى بى فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها باحباطه * وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق فى خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم
ولا تجسسوا

مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان
ظهر لنا شيء أخذنا به * غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء
في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم) تمثيل
وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي
معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار
بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل
الانسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة
مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي * وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن
ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا * ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله
تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء
الفصيحة أي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم أن
تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين
* وقرئ فكرّهتموه أي جبلتم على كراهته (فان قلت) هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وأيهما
القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل
استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء
فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشيء فهو حبيب اليه * والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه
من عباده أو لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة أو لانه بليغ في قبول التوبة منزل
صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم
منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان
يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي
لهما اداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان بذلك فعند
ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى
خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (من ذكر وأنثى) من آدم وحواء وقيل
خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه
للتفاخر والتفاضل في النسب * والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب
والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة
وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها *
وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا أي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التي
من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا أن تتفاخروا
بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب * ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره
ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كانه قيل لم
لا يتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم
فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما
الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن
يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن
الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند

ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير

كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو لما به فجاءه وهو فى ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت * الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان * (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذى يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعى فى هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم فى قوله فى صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التى هى لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه فى معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به * (فان قلت) قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا وما فى لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الالت وهى لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه فى المعنى فلا تظلم نفس شيأ * ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضى الله عنه أن نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذرارى يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت * ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فان قلت) ما معنى ثم ههنا وهى للتراخى وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التى حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف فى قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثانى أن الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التى يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أوهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات * يقال ما علمت بقدومك أى ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تجهيل لهم * يقال من عليه يدا أسداها اليه كقولك أنعم عليه

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا

وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا على اسلامكم أي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا * ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على مازعمتم وادعيتم أنكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف مالا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم * وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اذ هداكم * وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

❋(سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية)❋

❋(بسم الله الرحمن الرحيم)❋

---

* الكلام في (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته * قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بأنه لابد من الجزاء * ثم عوّل على أحد الانكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد (فان قلت) فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي (ما تنقص الارض منهم) ما يموت فيدفن في الارض منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا) اضراب أتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيه ولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شئ واحد * وقرئ لما جاءهم

قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

(بسم الله الرحمن الرحيم) ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج

بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور (مددناها) دحوناها (رواسي) جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض اما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا) على أنبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لرزقهم (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء * أراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم الا أنه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم * عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة (بل هم في لبس) أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (فان قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول (قلت) قصد في تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله * الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس * والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للانسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس اذا حدثتها (ونحن أقرب اليه) مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة * وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة

والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله كأن وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده (فان قلت) ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني أن يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا (اذ) منصوب بأقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة * والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره

أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد

ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد
ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد
وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد لقد كنت فى غفلة من
هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد وقال
قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا
فى جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير معتد مريب الذى جعل
مع الله الها آخر

عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله كنت منه ووالدى بريا (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه * وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول * لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) ونفخ فى الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية يعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها فى قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضى الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على أنها السكرة التى كتبت على الانسان وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها أو لان الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت اليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت (ذلك) اشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات أو الى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعا هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة * قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أى يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدى عتيد) هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى (فان قلت) كيف اعراب هذا الكلام (قلت) ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل ألق ألق للتأكيد والثانى أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلى وصاحبى وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الالف فى ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيأ قط أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يمنع بنى أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل) مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء

ويجوز أن يكون الذى جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكرير اللتوكيد * (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الاولى (قلت) لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فان قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا مالدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدى علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما جعلته طاغيا وما أوقعته فى الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على * ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى فأعفيكم عما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب * والباء فى بالوعيد مزيدة مثلها فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أى قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به (فان قلت) ان قوله وقد قدمت اليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد فى الدنيا والخصومة فى الآخرة واجتماعهما فى زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى الآخرة (فان قلت) كيف قال بظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده والثانى أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك * قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال * وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف * وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى لأملأن جهنم والثانى أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل * وقرئ توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية و (لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وهذا اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت * والاواب الرجاع الى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و (من خشى) بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون فى حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الى وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذى أوعده به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لا يراه أحد (فان قلت) كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات * وصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار

فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب

بما ثبت منها فى القلب * يقال لهم (ادخلوها بسلام) أى سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أى مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هو مالم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيروا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف ابلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (لمن كان له قلب) أى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له * والقاء السمع الاصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه

ما شئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء فى قوله تعالى لتكونوا شهداء الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه * اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوغ قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على ما يقولون) أى اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاآن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك * (فان قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و(المنادى) اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية و(الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء * قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات

ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود
لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد
وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد
منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل
من محيص ان فى ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما
فى ستة أيام وما مسنا من لغوب
فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب ومن الليل
فسبحه وأدبار السجود واستمع
يوم ينادى المنادى من مكان
قريب يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن
نحيى ونميت والينا المصير يوم
تشقق الارض عنهم سراعا ذلك
حشر علينا يسير

الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته فى قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿ سورة والذاريات مكية وهى ستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على ايقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن على رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلونى قبل أن لا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكوّاء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قلت) ما معنى الفاء على التفسيرين (قلت) أما على الاول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثانى فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (انّ ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث * ووعد صادق كعيشة راضية * والدين الجزاء والواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحى مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرّق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أى محكمها واذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل (انكم لفى قول مختلف) قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن شعر وسحر وأساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقرّ ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أنّ وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله فى قوله ينهون عن أكل وعن شرب أى يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أنّ الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى

نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
(بسم الله الرحمن الرحيم)
والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انّ ما توعدون لصادق وانّ الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك

قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون

ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا أنهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله (في غمرة) في جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون) فيقولون (أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة (فإن قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فإن قلت) فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهي الجملة (فإن قلت) فما محله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) في محل الحال أي مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و (الذي) خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال

قد حصت البيضة رأسي * فما أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه (فإن قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت * السائل الذي يستجدي (والمحروم) الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب (وفي الأرض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشي والإنسي والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانا إلى إيقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالألسن

والنطق ومخارج الحروف ومافى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوّى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا شئ منها جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه لخطاياكم (وماتوعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ماترزقونه فى الدنيا وماتوعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء * قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ماذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو الى ماتوعدون وعن الاصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى * والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك * واكرامهم أن ابراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (اذ دخلوا) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما فى ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر (سلاما) مصدر سادمسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما * وأما (سلام) فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به اخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من اكرامه لهم وقرأ حمزة وعلى وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كانه قال أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبى الله ابراهيم البقر (فجاء بعجل سمين) * والهمزة فى (ألا تأكلون) للانكار أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوأ وعن ابن عباس وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه (بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبى والمبشر به اسحق وهو أكثر الاقاويل وأصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهى امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل (فى صرة) فى صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة قال الحسن أقبلت الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت فى صرة كما تقول أقبل يشتمنى وقيل صرتها قولها أوه وقيل ياويلتا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله والله قادر على ماتستبعدين وروى أن جبريل قال لها انظرى الى سقف

وفى السماء رزقكم وماتوعدون
فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما أنكم تنطقون هل أتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون فراغ الى
أهله فجاء بعجل سمين فقربه
اليهم قال ألا تأكلون فأوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه
بغلام عليم فأقبلت امرأته فى
صرة فصكت وجهها وقالت
عجوز عقيم قالوا كذلك قال
ربك انه هو الحكيم العليم

بيتك فنظرت فاذا اجذ وعه مورقة مثمرة ﴿ فلما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور
(قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (الى قوم مجرمين) الى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل
وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد
منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة
الدنيا ﴿ سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم ﴿ الضمير في
(فيها) للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل
هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لانجاهم
ليعلموا أن الايمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال
ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الارض آيات أو على قوله
وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله
تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر)
أى هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه (فان قلت)
كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت)
موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك
مقترف الصغيرة ألا ترى الى قوله تعالى وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم
العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقيم) التي لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهي ريح
الهلاك واختلف فيها فعن على رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ﴿
الرميم كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام
(فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله ﴿ وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة
والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهارا يعاينونها وروى أن العمالقة كانوا معهم في الوادي
ينظرون اليهم وما ضرتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم
ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه
قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد)
بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهي الطاقة والموسع القوي
على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (فنعم الماهدون) فنعم
الماهدون نحن (ومن كل شئ) أى من كل شئ من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن
السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها
زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق
الازواج ارادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى الى طاعته وثوابه من معصيته
وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ وكرر قوله (انى لكم منه نذير مبين) عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك
ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما
ألا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد
ففروا الى الله (كذلك) الامر أى مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر
ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو
قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا (أتواصوا به) الضمير
للقول يعنى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون)
أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل
عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك
في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله

قال فما خطبكم أيها المرسلون
قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين
لنرسل عليهم حجارة من طين
مسومة عند ربك للمسرفين
فأخرجنا من كان فيها من
المؤمنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين وتركنا فيها آية
للذين يخافون العذاب الاليم
وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون
بسلطان مبين فتولى بركنه وقال
ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد
اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم
ما تذر من شئ أتت عليه الا
جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل
لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن
أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة
وهم ينظرون فما استطاعوا من
قيام وما كانوا منتصرين وقوم
نوح من قبل انهم كانوا قوما
فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا
لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون ومن كل شئ خلقنا
زوجين لعلكم تذكرون ففروا
الى الله انى لكم منه نذير مبين
ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى
لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى
الذين من قبلهم من رسول الا
قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا
به بل هم قوم طاغون فتول عنهم
فما أنت بملوم

(فانّ الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الايمان أو يزيد الداخلين فيه ايمانا وروى أنه لما نزلت فتولّ عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ ذلك على أصحابه ورأوا أنّ الوحى قد انقطع وأنّ العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر * أى وما خلقت الجنّ والانس الا لاجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها (فان قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) انما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو أرادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم * يريد أنّ شأنى مع عبادى ليس كشأن السادة مع عبيدهم فانّ ملاك العبيد انما ملكوهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز فى تجارة يبغى ربحا أو مرتب فى فلاحة ليغتلّ أرضا أو مسلم فى حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرّف فى أسباب المعيشة وأبواب الرزق فاما مالك ملاك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم فى أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وأنا غنىّ عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو الا أنا وحدى (المتين) الشديد القوّة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجرّ صفة للقوّة على تأويل الاقتدار والمعنى فى وصفه بالقوّة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ * وقرئ الرازق وفى قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم انى أنا الرازق * الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

ولما قال عمرو بن شاس

وفى كل حىّ قد خبطت بنعمة * فحقّ لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبة والمعنى فانّ الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم (من يومهم) من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

(سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الطور الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين * والكتاب المسطور فى الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذى يكتب فيه الكتاب الذى يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سوّاها (والبيت المعمور) الضراح فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت وروى أنّ الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علىّ رضى الله عنه أنه سأل يهوديا أين موضع النار فى كتابكم قال فى البحر قال علىّ ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فألفيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ انّ عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (تمور السماء) تضطرب وتجئ وتذهب وقيل المور تحرك فى تموج وهو الشئ يتردّد فى عرض كالداغصة فى الركبة * غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذى خاضوا * الدعّ الدفع العنيف وذلك أنّ خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم وقرأ زيد بن علىّ يدعون من الدعاء أى يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار (دعا) مدعوعين يقال لهم هذه النار (أفسحر هذا) يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا

وذكر فانّ الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون انّ الله هو الرزاق ذو القوّة المتين فانّ للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون

(بسم الله الرحمن الرحيم) والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور انّ عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا

المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (سواء) خبر محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه (فان قلت) لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) (قلت) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة * وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) * (فان قلت) علام عطف قوله (ووقاهم ربهم) (قلت) على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة * يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله فى قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

أعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب * وقرئ بعيس عين (والذين) آمنوا معطوف على حور عين أى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين (وأتبعناهم ذرياتهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال (بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فان قلت) ما معنى تنكير الايمان (قلت) معناه الدلالة على أنه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد ايمان الذرية الدانى المحل كأنه قال بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ وأتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو أن يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض (وما ألتناهم) وما نقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيأ نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ ألتناهم وهو من بابين من ألت يألت ومن ألات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا أوبقها (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (يتنازعون) يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم واخوانهم (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يتكلمون فى أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء * وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم (غلمان لهم) أى مملوكون لهم مخصوصون بهم (مكنون) فى الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (يتساءلون) يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند

الله

أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

الله (مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله * وقرئ ووقانا بالتشديد (عذاب السموم) عذاب النار ووهجها
ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (من قبل) من قبل
لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم
الرحمة الذي اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس
وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته
الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله * وما أنت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة
العقل أحد هذين * وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر قال أمن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل
فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من
قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أحلامهم) عقولهم
وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن
وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد
في العناد مع ظهور الحق لهم (فان قلت) ما معنى كون الاحلام آمرة (قلت) هو مجاز لادائها الى ذلك
كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله) اختلقه من تلقاء
نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز
العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب * وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه
فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شئ)
من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق (بل لا يوقنون) أي اذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من أجل
لا شئ من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة
من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة (أم هم المسيطرون) الارباب
الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد
(أم لهم سلم) منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون (بسلطان مبين) بحجة
واضحة تصدق استماع مستمعهم * المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم
فزهدهم ذلك في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا
لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال
كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته * الكسف
القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه
عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى
يلقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة
الصعق (وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط
سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة
والكلفة (فانك بأعيننا) مثل أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى الى
قوله تعالى ولتصنع على عيني * وقرئ بأعينا بالادغام (حين تقوم) من أي مكان قمت وقيل من منامك
(وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها
اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه

قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

(سورة والنجم مكية وهي احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال

اذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعي كساء

أو جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل أو النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشأم فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشأم فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

(ما ضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى * والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي * وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه * وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا (فان قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت) تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا أي ذا مقدار مسافة اصبع (أو أدنى) أي على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى اليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى

قيل أوحى اليه أنّ الجنة محرّمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمّتك (ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أنّ ما رآه حق وقرئ ما كذب أى صدّقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرّة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرّة لانّ الفعلة اسم للمرّة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج * قيل فى سدرة المنتهى هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها * والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التى يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء وقرأ علىّ وابن الزبير وجماعة جنه المأوى أى ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أنّ ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب (ما زاغ) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أى يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا أنه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لانّ دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها و(الأخرى) ذم وهى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاوّلية والتقدم عندهم للات والعزى * كانوا يقولون انّ الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى) ويجوز أن يراد انّ اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهنّ لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الاناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهنّ آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ٢ ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد (هى) ضمير الاصنام أى ما هى (الا أسماء)

ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء

٢ قوله والاصل ضوزى كتب عليه والاصل وقع فى نسخ الكشاف والاصل ضوزى والظاهر أنّ الصواب والاصل ضيزى أى بضم الضاد لانه من ضازه يضيزه ويؤيده قوله لتسلم الياء اه ويؤيده أيضا زيادة قوله ففعل بها ما فعل ببيض وعبارة أبى السعود هى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف اه كتبه المصحح

ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شئ منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أو ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعني ماهذه الاسماء الا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ماهم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وماتشتهيه أنفسهم ويتركون ماجاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل (أم للانسان ماتمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان ماتمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والاولى) أي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد أن يتحكم عليه في شئ منهما * يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيأ قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه بعبدتهم (ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (به من علم) أي بذلك وبما يقولون وفي قراءة أبي بها أي بالملائكة أو التسمية (لا يغني من الحق شيأ) يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال (ان ربك هو أعلم) أي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من أحببت وما عليك الا البلاغ * وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء * قرئ ليجزي ويجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء و (بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى (كبائر الاثم) أي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها (والفواحش) ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله * واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه وألم بالمكان اذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه لقاء أخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى (الا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين (ان ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها * فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا أفحم روي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شئ فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني أطلب بما أصنع رضا

سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى

الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت * ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان الى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفى) قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة فى الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله تعالى فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته اياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله بشىء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكما فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ فى صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما فى صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر (الا ما سعى) الا سعيه (فان قلت) أما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثانى أن سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن الى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تعالى والى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق قوتى الضحك والبكاء (اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى أى قدر المقدر * قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (الشعرى) مرزم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم فى دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا * عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون فى الدنيا الاشراف وقرئ عاد الولى وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمودا) وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أى أسقطها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما فى نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الاولى) أى انذار من جنس الانذارات الاولى التى أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو

قوله الهزيل بن شرحبيل كتب عليه هزيل بن شرحبيل صح بالزاى المعجمة وهو الاودى الكوفى الاعمى أخو أرقم سمع أبا موسى الاشعرى كذا فى كتاب الهداية والارشاد اه كتبه المصحح

أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة

أوليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدى لنا أى غنى لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

(سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم * مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر المقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أى كل أمر لا بد أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل أمر ذو مستقر أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أى اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم فى رسول الله أسوة حسنة أى هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاى فيها (حكمة بالغة) بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما (فان قلت) ان كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر (قلت) تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو انكار وما منصوبة أى فأى غناء تغنى النذر (فتول عنهم) لعلمك أن الانذار لا يغنى فيهم * نصب (يوم يدع الداعى) بيخرجون أو باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم ينادى المنادى (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خشعا أبصارهم) حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طيئ ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما * وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور (كأنهم جراد منتشر)

أفمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وأنتم
سامدون فاسجدوا لله واعبدوا
(بسم الله الرحمن الرحيم)
اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وكذبوا واتبعوا
أهواءهم وكل أمر مستقر
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر حكمة بالغة فما
تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع
الداع الى شئ نكر خشعا
أبصارهم يخرجون من
الاجداث كأنهم جراد منتشر

الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته (مهطعين الى الداع) مسرعين مادّي أعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم قال

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ٭ ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت) معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه ٭ قرئ أني بمعنى فدعا بأني مغلوب وإني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فانتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبا فقد روى أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ٭ وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا ٭ وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعني مياه السماء والارض وقرئ الماآن أي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الارض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدّي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه

ولكن قميصي مسرودة من حديد

أراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات بأكرع أراد ولو في عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر أي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أي مجازاة ٭ الضمير في (تركناها) للسفينة أي للفعلة التي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة ٭ والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزجر ٭ والنذر جمع نذير وهو الانذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال

وقمت اليه باللجام ميسرا ٭ هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن (ونذر) وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذاري في تعذيبهم لمن بعدهم (في يوم نحس) في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم

مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر

وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى أربعاء فى آخر الشهر لاتدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدى بعض ويتدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعنى أنهم كانوا يتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتدا ونتبعه خبره والاول أوجه للاستفهام * كان يقول ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

(فان قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا أبشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم (أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ فى الشرارة والاخير والاشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانبارى قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره (مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء (محتضر) محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء فى نوبتهم واللبن فى نوبتها (صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له * فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل * والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر و (المحتظر) الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (بسحر) بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد مرت بأعلى السحرين تدأل وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحر اذا لقيه فى سحر يومه (نعمة) انعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (بكرة) أول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما بكرة غير منصرفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا أردت التنكير وبغيره اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضى بهم الى عذاب الآخرة * (فان قلت) ما فائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (قلت) فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الاولين اذكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم

تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

التكرير كقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها فى سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها فى سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الانذار (بآياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام وعن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (ويولون الدبر) أى الادبار كما قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وأمر) من الهزيمة والقتل والاسر * وقرئ سنهزم الجمع (فى ضلال وسعر) فى هلاك ونيران أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم * وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث (كل شئ) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شئ بالرفع * والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أى خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعنى أنه اذا أراد تكوين شئ لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فى الزبر) فى دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك مبهم أمره فى الملك والاقتدار فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

(سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من أجله وكان الغرض فى انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير و (الرحمن) مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من احسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى (يجريان) فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والنبات الذى ينجم من

ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم

الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق * وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لايمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده (فان قلت) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قلت) كيف أخل بالعاطف فى الجمل الاول ثم جىء به بعد (قلت) بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة فى تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال الذى قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فان قلت) أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لاتزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضى الله عنه الانسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وفى قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أوهى أن المفسرة وقرأ عبد الله لاتطغوا بغير أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه * وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما يتفكه به و (الاكمام) كل ما يكم أى يغطى من ليفة وسعفة وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف (والعصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم وفى مصاحف أهل الشأم والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه * والخطاب فى (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان * الصلصال الطين اليابس له صلصلة * والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فان قلت) قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله عز وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق فى المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و (الجان) أبو الجن وقيل هو ابليس * والمارج اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط * (فان قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار وأراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى * قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة * قرئ يخرج ويخرج من أخرج

والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما

ويخرج

ونخرج ويخرج أى الله عزوجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون * واللؤلؤ الدرّ والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدرّ والمرجان صغاره (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (الجوارى) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

و (المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن * والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الارض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان و (ذو الجلال والاكرام) صفة الوجه وقرأ عبد الله ذى على صفة ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذى يقال له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام أنه مرّ برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك * (فان قلت) ما النعمة فى ذلك (قلت) أعظم النعمة وهو مجئ وقت الجزاء عقيب ذلك * كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاى أخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال له أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافا ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت علىّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها الى قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولى أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنك حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أى الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة أبىّ سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم * والثقلان الانس والجنّ سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (يا معشر الجنّ والانس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم) أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا * ثم قال لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه

اللؤلؤ والمرجان فبأىّ آلاء ربكما تكذبان وله الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام فبأىّ آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأىّ آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن فبأىّ آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأىّ آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجنّ والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأىّ آلاء ربكما تكذبان

وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وروى أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به * قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضئ كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال

كأنهما مزادتا متعجل * فريان لما تدهنا بدهان

وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

(انس) بعض من الانس (ولا جان) أريد به ولا جن أى ولا بعض من الجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون (فان قلت) هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسئولون (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون فى موطن ولا يسألون فى آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالاقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أى يتطوفون ويطافون وفى قراءة عبد الله هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها * ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجى منه برحمته وفضله وما فى الانذار به من اللطف (مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامى ويجوز أن يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه أى حافظ مهيمن من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب * (فان قلت) لم قال (جنتان) (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى لان التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة * خص الافنان بالذكر وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجرة لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان ألوان النعم ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب

يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان

(متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم * وقرئ وجنى بكسر الجيم (فيهن) فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم * لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس * وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وعن محمد ابن الحنفية هى مسجلة للبر والفاجر أى مرسلة يعنى أن كل من أحسن أحسن اليه وكل من أساء أسيء اليه (ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد ادهامتا من شدة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش * (فان قلت) لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكال أو لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذى هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق * حسان الخلق (مقصورات) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص * والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه * والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته (فان قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما (قلت) مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ * وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه *

(سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت التى لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله * (فان قلت) بم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكونى أو هى من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف

متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

(بسم الله الرحمن الرحيم)
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها

كاذبة

وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا أى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما أنها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر فى الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (منبثا) متفرقا وقرئ بالتاء أى منقطعا وقرئ رجت وبست أى ارتجت وذهبت وفى كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهى تمشى وتفاج (فان قلت) بم انتصب اذا رجت (قلت) هو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار فى طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال * ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين فى السعادة والشقاوة والمعنى أى شئ هم * والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبى النجم وشعرى شعرى كأنه قال وشعرى ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثانى لانه تمام الجملة وهو فى مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ فى جنة النعيم * والثلة الامة من الناس الكثيرة قال

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهى من الثل وهو الكسر كما أن الامة من الام وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الاولين كثير وهم الامم من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (فان قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين (قلت) هذا فى السابقين وذلك فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا (فان قلت) فقد روى أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لامرين أحدهما أن هذه الآية واردة فى السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية فى أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثانى أن النسخ فى الاخبار غير جائز وعن الحسن رضى الله عنه سابقو الامم أكثر من سابقى أمتنا وتابعو الامم مثل تابعى هذه الامة وثلة خبر مبتدا

خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر

محذوف أى هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رضى الله عنه وعن الحسن وفى الحديث أولاد الكفار خدام اهل الجنة * الاكواب أوان بلا عرى وخراطيم * والاباريق ذوات الخراطيم (لا يصدعون عنها) اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم (يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون) يتمنون * وقرئ ولحوم طير * قرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور او على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية * السدر شجر النبق * والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذى تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب * والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحولها فقال آى القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه * والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط لا يتقاص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجرى على الارض فى غير أخدود (لا مقطوعة) هى دائمة لا تنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن أنشأناهن انشاء اى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أم سلمة رضى الله عنها سألته عن قول الله تعالى انا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر (أترابا) على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهى تبكى فقال عليه الصلاة والسلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين * واللام فى لاصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لا بارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه

موضونة متكئين عليها متقابلين
يطوف عليهم ولدان مخلدون
بأكواب وأباريق وكأس من
معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون
وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير
مما يشتهون وحور عين كأمثال
اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا
يعملون لا يسمعون فيها لغوا
ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما
وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين
فى سدر مخضود وطلح منضود
وظل ممدود وماء مسكوب
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وفرش مرفوعة
انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن
أبكارا عربا أترابا لاصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من
الآخرين وأصحاب الشمال
ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم
وظل من يحموم لا بارد ولا كريم

والمعنى أنه ظل حار ضار الا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك و (الحنث) الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فان قلت) كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا * وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره * وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ايام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب اى ما يشرب به الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه (قلت) ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين * النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به * واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا (ما تمنون) ما تمنونه أي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى (تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف * سبقته على الشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن (ننشئكم) في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها * قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) ه من الطعام أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى الى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم الى قوله أفرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن

انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون

رضي الله عنه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها
• وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها
فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك
رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا
مجدودين لما جرى علينا هذا • وقرئ أئنا (الماء الذي تشربون) يريد الماء العذب الصالح للشرب و (المزن)
السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا) ملحا زعاقا لا يقدر على
شربه (فان قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا (قلت) ان لو لما كانت
داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها
وانما سرى فيهما معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الاول
افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت
بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن
اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى الى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف
الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس

حتى اذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أر فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم
ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد
لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن
الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك انما تسقي ضيفك
بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء

اذا سقيت ضيوف الناس محضا • سقوا أضيافهم شبما زلالا

وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون)
تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند
والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (شجرتها) التي منها الزناد (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث
علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون
ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي
يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهي
القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أي لم آكل شيأ (فسبح باسم
ربك) فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك و (العظيم) صفة للمضاف
أو للمضاف اليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول
سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من أمرهم
في غمط آلائه وأياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فاقسم ولا مزيدة
مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء
دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح أن تكون اللام لام
القسم لامرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني أن لأفعلن
في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل
لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة
أو لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم
بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومساريها وله تعالى في
ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في

انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم

اعتراض لانه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أى أوقات نزولها كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (فى كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس أدناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعنى مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيضا وعن ابن عمر أحب الى أن لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس فى رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه * وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى ينزلونه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن اى منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) اى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اى وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ على رضى الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم فى القرآن شعر وسحر وافتراء وفى المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب * ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير فى ترجعونها للنفس وهى الروح وفى أقرب اليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم * ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم فى جحودكم أفعال الله تعالى وآياته فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم *وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أى فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم * والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين * وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

(سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* جاء فى بعض الفواتح سبح على لفظ الماضى وفى بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شان من اسند اليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تعالى ويسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله

خالصا (مافي السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (فان قلت) ما محل (يحيي) (قلت) يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء (هو الاول) هو القديم الذي كان قبل كل شئ (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فان قلت) فما معنى الواو (قلت) الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شئ أي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعني أن الاموال التي في أيديكم انما هي أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب (فانفقوا) منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم (لا تؤمنون) حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي ومالكم كافرين بالله * والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ ومالكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج * وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه * وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (ليخرجكم) الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤوف (ومالكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله * ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من أنفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة) * وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله * القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه اياه (فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (أضعافا) من فضله (وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم * وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما * ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) * وقرئ ذلك

ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم

يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم

الفوز (يوم) يقول بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطيناهذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف ولذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فدية) ما يفتدى به (هى مولاكم) قيل هى أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأنى وألما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا وأصابوا الرزق والنعمة فتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن رضى الله عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب * وقرئ نزل ونزل وأنزل (ولا يكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره * (فان قلت) ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلى القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * أراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى أمده وقرئ الامد أى الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الارض (المصدقين) المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين * (فان قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا * والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة * وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين أى يضاعف الله * يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى

مثل

مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم (فان قلت) كيف يسوّى بينهم فى الاجر ولابدّ من التفاوت (قلت) المعنى انّ الله يعطى المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره * أراد أنّ الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأمّا الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله * وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزرّاع * وقرئ مصفارّا (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار الى جنة (عرضها كعرض السماء والارض) قال السدّى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لانّ كل ماله عرض وطول فانّ عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أنّ طوله أبسط وأمدّ ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * المصيبة فى الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفى الانفس نحو الادواء والموت (فى كتاب) فى اللوح (من قبل أن نبرأها) يعنى الانفس أو المصائب (ان ذلك) انّ تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد * ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا تأسوا ولا تفرحوا) يعنى * أنكم اذا علمتم أنّ كل شئ مقدّر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لانّ من علم أنّ ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل اليه وأنّ وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل مختال فخور) لانّ من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس * قرئ بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفى قراءة ابن مسعود بما أوتيتم (فان قلت) فلا أحد يملك نفسه عند مضرّة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح (قلت) المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأمّا الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما (الذين يبخلون) بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه فى عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم فى الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته (ومن يتول) عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى فانّ الله غنى عنه * وقرئ بالبخل * وقرأ نافع فانّ الله الغنى وهو فى مصاحف أهل المدينة والشأم كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى (والميزان) روى أنّ جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المرّ والمسحاة وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم انّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أنّ أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (انّ الله قوىّ عزيز) غنىّ بقدرته وعزته فى اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب (والكتاب) والوحى وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها انّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فانّ الله هو الغنى الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب انّ الله قوى عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب

وكتابة (فنهم) فن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أى فنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق * قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب * وقرئ رآفة على فعالة أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم * والرهبانية ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يعنى وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا) يريد أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها فى محل النصب أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (يا أيها الذين آمنوا) يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمنى أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشأن لا يقدرون (على شئ من فضل الله) أى لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضى الله عنه فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا فى الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت * وقرئ لكى يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء ولين يعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون فى الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل فى وجهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها فى لام لا فصار للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد أريد لانسى ذكرها * وقرئ أن لا يقدروا (بيد الله) فى ملكه وتصرفه واليد مثل (يؤتيه من يشاء) ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

فنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
ثم قفينا على آثارهم برسلنا
وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه
الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين
اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا
منهم أجرهم وكثير منهم
فاسقون يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم
كفلين من رحمته ويجعل لكم
نورا تمشون به ويغفر لكم والله
غفور رحيم لئلا يعلم أهل
الكتاب ألا يقدرون على شئ من
فضل الله وأن الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم

(سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله) قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان اذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع الله لها * وقرئ تحاورك أي تراجعك الكلام وتحاولك أي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروى أنها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا فقال ما عندي في أمرك شئ وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدي وأحب الناس اليّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (ان الله سميع بصير) يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر (فان قلت) ما معنى قد في قوله قد سمع (قلت) معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (ما هن أمهاتهم) وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى أن من يقول لامرأته انت عليّ كظهر أمي ملحق في كلامه هذا الزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد أن الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لانهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة لانهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات * فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالاصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها لشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فان قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم اذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت عليّ كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله أن يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ أخبر أن الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فان قلت) فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن

(بسم الله الرحمن الرحيم)
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير

ترافعه (قلت) لها ذلك وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها (فان قلت) فان مس قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتى ثم أبصرت خلخالها فى ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فان قلت) أى رقبة تجزى فى كفارة الظهار (قلت) المسلمة والكافرة جميعا لانها فى الآية مطلقة وعند الشافعى لا تجزى الا المؤمنة لقوله تعالى فى كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزى أم الولد والمدبر والمكاتب الذى أدى شيأ فان لم يؤد شيأ جاز وعند الشافعى لا يجوز (فان قلت) فان أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبى حنيفة وعند أبى يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والابى * (فان قلت) كم يعطى المسكين فى الاطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبى حنيفة وعند الشافعى مدا من طعام بلده الذى يقتات فيه (فان قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف فى ذلك فعند أبى حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث فى وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على أنه اذا وجد فى خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع فى خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء * (فان قلت) الضمير فى أن يتماسا الام يرجع (قلت) الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها (ذلك) البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها (عذاب أليم * يحادون) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم (جميعا) كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حال واحدة كما تقول حى جميع (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصى وانما تحفظ معظمات الامور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقى ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شئ من النجوى * والنجوى التناجى فلا تخلو اما أن تكون مضافة الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أى من أهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل أو جعلوا نجوى فى أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه (فان قلت) ما الداعى الى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر الا) والله معهم يسمع ما يقولون فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثانى أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندبون لذلك ليسوا بكل أحد وانما هم طائفة مجتباة من أولى النهى والاحلام ورهط من اهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلى هذا العدد ويقاربه وفى مصحف

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع
فاطعام ستين مسكينا ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب
أليم ان الذين يحادون الله
ورسوله كبتوا كما كبت الذين
من قبلهم وقد أنزلنا آيات
بينات وللكافرين عذاب مهين
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم
بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله
على كل شئ شهيد ألم تر أن
الله يعلم ما فى السموات وما فى
الارض ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا
أكثر الا هو معهم أينما كانوا

عبد الله الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر الا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر الا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة * وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف

* كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته * وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بما لم يحيك به الله) يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي (لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ماله ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا (انما النجوى) اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) (فان قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن الا باذن الله (قلت) كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم الا باذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا في المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيري (٢) العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال (بين يدي نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) في دينكم

ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم

(٢) قوله الزبيري كتب عليه أبو أحمد الزبيري هو محمد بن عبد الله بن الزبير مولى لبني أسد وتوفي بالاهواز سنة ثلاث ومائتين كذا ذكره القتبي وليس هو من ولد الزبير بن العوام كذا قال في الهداية والارشاد اهـ كتبه مصحح

(وأطهر) لانّ الصدقة طهرة روى أنّ الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة قال علىّ رضى الله عنه لما نزلت دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتدّ عليهم فارتدعوا وكفوا أمّا الفقير فلعسرته وأمّا الغنىّ فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علىّ رضى الله عنه انّ فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدّقت بدرهم قال الكلبىّ تصدّق به فى عشر كلمات سألهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلىّ ثلاث لو كانت لى واحدة منهنّ كانت أحبّ الىّ من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هى منسوخة بالآية التى بعدها وقيل هى منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه وأنّ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (فاذلم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) وعذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (بما تعملون) قرئ بالتاء والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادّعاء الاسلام (وهم يعلمون) أنّ المحلوف عليه كذب بحت (فان قلت) فما فائدة قوله وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله فى حجرة من حجره اذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى أنهم كانوا فى الزمان الماضى المتطاول على سوء العمل مصرّين عليه أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة * وقرئ ايمانهم بالكسر أى اتخذوا أيمانهم التى حلفوا بها أو ايمانهم الذى أظهروه (جنة) أى سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدّوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم * وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدّهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء روى أنّ رجلا منهم قال لننصرنّ يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون) لله تعالى على أنهم مسلمون فى الآخرة (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شئ) من النفع يعنى ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وانّ لهم نفعا فى ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه فى دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرونهم عليه وأنّ ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى كذبهم فى الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شئ من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم أنّ الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على أفواههم (ألا انهم هم الكاذبون) يعنى أنهم الغاية التى لا مطمح وراءها فى قول الكذب حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم

(الشيطان)

وأطهر فان لم تجدوا فان الله
غفور رحيم أأشفقتم أن
تقدموا بين يدى نجواكم
صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله
عليكم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وأطيعوا الله ورسوله والله خبير
بما تعملون ألم تر الى الذين تولوا
قوما غضب الله عليهم ماهم
منكم ولا منهم ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون أعدّ الله
لهم عذابا شديدا انهم ساء
ما كانوا يعملون اتخذوا
أيمانهم جنة فصدّوا عن سبيل
الله فلهم عذاب مهين لن تغنى
عنهم أموالهم ولا أولادهم من
الله شيأ أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون أنهم على شئ الا انهم
هم الكاذبون استحوذ عليهم

(الشيطان) لطاعتهم له فى كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم * قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (لا تجد قوما) من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الاخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد انه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لا تجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعنى أكر فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

(سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة * اللام فى لاول الحشر تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشأم وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم * وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله (فأتاهم) أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف

الشيطان فأنساهم ذكر الله
أولئك حزب الشيطان ألا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله ورسوله
أولئك فى الاذلين كتب الله
لأغلبن أنا ورسلى ان الله
قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله ولو كانوا
آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم
أو عشيرتهم أولئك كتب
فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح
منه ويدخلهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها
رضى الله عنهم ورضوا عنه
أولئك حزب الله ألا ان حزب
الله هم المفلحون
(بسم الله الرحمن الرحيم)
سبح لله ما فى السموات وما فى
الارض وهو العزيز الحكيم هو
الذى أخرج الذين كفروا من
أهل الكتاب من ديارهم لاول
الحشر ما ظننتم أن يخرجوا
وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله فأتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا

عزة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك (فان قلت) أى فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه (قلت) فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم * وقرئ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك * والرعب الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه * وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه * وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب (فان قلت) مامعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين (قلت) لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا) بما دبر الله ويسر من أمر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال * يعنى أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره أنه أشق عليهم من الموت (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما فى قوله (أو تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ماقبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها لين * وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (فباذن الله) فقطعها باذن الله وأمره (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن فى قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين من ذلك شئ فنزلت يعنى أن الله أذن لهم فى قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون فى أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال (فان قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله له فيأ خاصة * والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى (فما أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه

وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير

يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت * لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها * بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مايصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة * والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما مايدول للانسان أى يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كيلا يكون الفئ الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة مايتداول كالغرفة اسم مايغترف يعنى كيلا يكون الفئ شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة بمعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول له بينهم أو كيلا يكون شئ متعاورا بينهم غير مخرج الى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة غنيمة أو فئ (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والاجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفئ داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء) بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم (والذين تبوؤا) معطوف على المهاجرين وهم الانصار * (فان قلت) ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان (قلت) معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون فى أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أى طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعنى أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أى خلة وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت * الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد أضيف الى النفس لانه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن غلب ما أمرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه (فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

من بعد وقيل التابعون باحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لاخوانهم) للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين فى السر (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو فى خذلانكم واخلاف ماوعدناكم من النصرة (لكاذبون) أى فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب * (فان قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الاخبار بأنهم لا ينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب المبنى للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم من الله (فان قلت) كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد ان اليهود يخافونكم فى صدورهم أشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما أولى بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة فى صدورهم (لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين متساندين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب فى قلوبهم وأن تأييد الله تعالى ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لا يعقلون) ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فى زمان قريب * (فان قلت) بم انتصب (قريبا) (قلت) بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة عذاب النار * مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم (كمثل الشيطان) اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم * وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال * وقرئ أنا برىء وعاقبتهما بالرفع * كرر الامر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد * والغد يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فان قلت) ما معنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم * هذا تنبيه للناس وايذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل

ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا انك رؤف رحيم
ألم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من أهل
الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا
وان قوتلتم لننصرنكم والله
يشهد انهم لكاذبون لئن
أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم ولئن
نصروهم ليولن الادبار ثم
لا ينصرون لانتم أشد رهبة
فى صدورهم من الله ذلك بأنهم
قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم
جميعا الا فى قرى محصنة أو من
وراء جدر بأسهم بينهم شديد
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك
بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين
من قبلهم قريبا ذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال انى برىء منك انى
أخاف الله رب العالمين فكان
عاقبتهما أنهما فى النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون
ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فأنساهم أنفسهم أولئك هم
الفاسقون لا يستوى أصحاب
النار وأصحاب الجنة أصحاب
الجنة هم الفائزون

أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل وتخييل كما مرّ في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وقد دلّ عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدّعا على الادغام (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى أمثاله في مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح و (السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة و (المؤمن) واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين و (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا أن همزته قلبت هاء و (الجبار) القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبره و (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده و (الخالق) المقدر لما يوجده و (البارئ) المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة و (المصور) الممثل وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ البارئ المصوَّر بفتح الواو ونصب الراء أي الذي يبرأ المصوَّر أي يميز ما يصوّره بتفاوت الهيآت * وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن أبي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد عليّ فأعدت عليه فأعاد عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

(سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

---

* روى أن مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسلّ سيفه وقال أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عزيزا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت * عدّى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي أولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد * (فان قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وبأولياء صفة له ويجوز أن يكون استئنافا (فان قلت) اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم أنتم بالمودة (قلت)

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحان الله
عما يشركون هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى
يسبح له ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم
(بسم الله الرحمن الرحيم)
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم أولياء تلقون
اليهم

ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل أولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير
البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال ألقى اليه خراشي صدره وأفضى اليه بقشوره
* والباء في (بالمودة) اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واما ثابتة على أن
مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم * وكذلك قوله
تسرون اليهم بالمودة أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله بسبب المودة
(فان قلت) (وقد كفروا) حال عماذا (قلت) اما من لا تتخذوا واما من تلقون أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه
حالهم و (يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا و (أن تؤمنوا) تعليل
ليخرجون أي يخرجونكم لايمانكم و (ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي ان كنتم
أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه و (تسرون) استئناف ومعناه أي
طائل لكم في اسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما * وأنا مطلع رسولي على
ما تسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الاسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم أي
كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم (ان يثقفوكم) ان
يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم
(ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتال والشتم * وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة أمثالهم
ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فان قلت) كيف أورد
جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضي (قلت) الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى
المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون أن
يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا أسبق
المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن
يقصد أعز شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أي قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من
أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم * ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء
من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع
الى حال من والوه أولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة
نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل ونفصل ونفصل بالنون * قرئ أسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به أي كان فيهم مذهب حسن مرضي
بأن يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا
وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله ومادام هذا السبب قائما
كانت العداوة قائمة حتى ان أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة
وأفصحوا عن محض الاخلاص ومعنى (كفرنا بكم) وبما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن
آلهتكم وما أنتم عندنا على شئ * (فان قلت) مم استثنى قوله (الا قول ابراهيم) (قلت) من قوله اسوة حسنة
لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها * (فان قلت)
فان كان قوله (لاستغفرن لك) مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله (وما أملك لك من الله من
شئ) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا (قلت) أراد استثناء جملة قوله لابيه
والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار
* (فان قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز
أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من
فتنة أهل الكفر والاستغفار عما فرط منهم * وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من
الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة * ثم كرر الحث على

بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم

الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فلم يترك نوعا من التوكيد الا جاء به * ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عزوجل منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمنى للسبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبى سفيان واسترخت شكيمته فى العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله ابن أبى جحش الى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه و (عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم فى صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافى ذلك أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد اليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد أردد على امرأتى فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت فى دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذى أنفق عليها وللنبى صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر (فان قلت) كيف سمى الظن علما فى قوله فان علمتموهن (قلت) ايذانا بأن الظن الغالب وما يفضى اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فان قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر

لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
ومن يتول فان الله هو الغنى
الحميد عسى الله أن يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة
والله قدير والله غفور رحيم
لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب
المقسطين انما ينهاكم الله
عن الذين قاتلوكم فى الدين
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم
فاولئك هم الظالمون يا أيها الذين
آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن
حل لهم ولاهم يحلون لهن
وآتوهم ما أنفقوا

به علام الغيوب وأنّ مايؤدّى اليه الامتحان من العلم كاف فى ذلك وأنّ تكليفكم لايعدوه ثم نفى عنهم الجناح
فى تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهنّ أجورهنّ أى مهورهنّ لانّ المهر أجر البضع ولا يخلو امّا أن يراد بها ما كان
يدفع اليهنّ ليدفعنه الى أزواجهنّ فيشترط فى اباحة تزوّجهنّ تقديم أدائه وامّا أن يراد أنّ ذلك اذا دفع اليهنّ
على سبيل القرض ثم تزوّجن على ذلك لم يكن به بأس وامّا أن يبين لهم أنّ ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر
وأنه لابدّ من اصداق وبه احتج أبو حنيفة على أنّ أحد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقى
الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدّة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم
الكوافر) والعصمة مايعتصم به من عقد وسبب يعنى اياكم واياهنّ ولا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجية
قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّنّ بها من نسائه لانّ اختلاف الدارين قطع عصمتها منه
وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهنّ
(واسئلوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم
المهاجرات ، وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسّكوا بالتثقيل ولا تمسّكوا أى ولا تتمسكوا (ذلكم حكم الله)
يعنى جميع ماذكر فى هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى
يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة روى أنها لما نزلت هذه الآية أدّى المؤمنون ما أمروا به من أداء
مهور المهاجرات الى أزواجهنّ المشركين وأبى المشركون ان يؤدّوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهنّ
المسلمين فنزل قوله (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ) من أزواجكم أحد منهنّ الى الكفار وهو فى
قراءة ابن مسعود أحد (فان قلت) هل لايقاع شئ فى هذا الموقع فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لا يغادر شئ
من هذا الجنس وان قلّ وحقر غير معوّض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديدا فيه (فعاقبتم) من العقبة وهى
النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء
أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته
امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من
صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم
دخلتم فى العقبة وعقّبتم من عقّبه اذا قفاه لانّ كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف
يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت
زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم أى فكانت الغلبة لكم حتى
غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة أمّ الحكم بنت
أبى سفيان كانت تحت عياض بن شدّاد الفهرى وفاطمة بنت أبى أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى
أخت أمّ سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو
ابن عبدودّ وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولا يقتلن أولادهنّ) وقرئ يقتّلن بالتشديد يريد وأد
البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى
منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لانّ بطنها الذى تحمله فيه بين
اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك فى معروف) فيما تأمرهنّ به من المحسنات وتنهاهنّ عنه
من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف (فان قلت) لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أنّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف (قلت) نبه بذلك على أنّ طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة
بغاية التوقى والاجتناب وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى
بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أسفل منه يبايعهنّ بأمره ويبلغهنّ عنه وهند بنت
عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه السلام
أبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا
ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان

ولا جناح عليكم أن تنكحوهنّ
اذا آتيتموهنّ أجورهنّ ولا
تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا
ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا
ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله
عليم حكيم وان فاتكم شئ من
أزواجكم الى الكفار فعاقبتم
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم
مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى
أنتم به مؤمنون يا أيها النبى
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على
أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين
أيديهنّ وأرجلهنّ ولا يعصينك
فى معروف فبايعهنّ واستغفر لهنّ
الله انّ الله غفور رحيم

أباسفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فما أدرى أيحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أوتزنى الحرة وفى رواية مازنت منهن امرأة قط فقال عليه السلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه * روى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

(سورة الصف مكية وهى اربع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم) هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه أربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروى أن المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد فى سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبى عليه السلام أنك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يارسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت فى المنتحل وعن الحسن نزلت فى المنافقين * ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وباعانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه فى معناه * قصد فى (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله وأسند الى أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و (عند الله) أبلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبره عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونى أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله * فى قوله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات فى قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن على يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون (صفا) صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم) فى تراصهم من غير فرجة ولا خلل (بنيان) رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان (واذ) منصوب باضمار اذكر أو وحين

يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وإذ قال موسى لقومه يا قوم

قال لهم ما قال كان كذا وكذا (تؤذوننى) كانوا يؤذونه بأنواع الاذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى تؤذوننى عالمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمى وتوقيرى لا أن تؤذونى وتستهينوا بى لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه فى تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لانهم ليسوا من أهل اللطف (فان قلت) ما معنى قد فى قوله وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه * قيل انما قال يا بنى اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى (من التوراة) وفى حال تبشيرى (برسول يأتى من بعدى) يعنى أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدى بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل * (فان قلت) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما فى الرسول من معنى الارسال أم باليكم (قلت) بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيأ لان حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل * وقرئ هذا ساحر مبين * وأى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه * وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل * أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء فى سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة فى قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام فى لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة فى لا أباك واطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة (ودين الحق) الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن فى الارض الا دين الاسلام * وقرئ أرسل نبيه (تنجيكم) قرئ مخففا ومثقلا و (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر فى معنى الامر ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فان قلت) لم جئ به على لفظ الخبر (قلت) للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعى غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فان قلت) هل لقول الفراء انه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم (فان قلت) فما وجه قراءة زيد ابن على رضى الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على اضمار لام الامر كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هى فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم * (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم تعلمون) (قلت) معناه ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب)

لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب

أى عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفى تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل * (فان قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لانه فى معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يارسول الله المؤمنين بذلك (فان قلت) لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا * قرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم * (فان قلت) ماوجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصارى الى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله (فان قلت) مامعنى قوله من أنصارى الى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذى يطابقه أن يكون المعنى من جندى متوجها الى نصرة الله واضافة أنصارى خلاف اضافة أنصار الله فان معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرنى مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتى وحوارى من أمتى وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحوارى فى زنته الحوالى الكثير الحيل (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت) به (طائفة فأيدنا) مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد ابن على كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

* (سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد * الامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار ومعنى (بعث فى الاميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا فى قوم أميين كما جاء فى حديث شعياء انى أبعث أعمى فى عميان وأميا فى أميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ فى الامين بحذف ياء النسب (يتلوا عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمى بغير تعلم آية بينة (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة * وان فى (وان كانوا) هى المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لاترى ضلالا أعظم منه (وآخرين) مجرور عطف على الاميين يعنى أنه بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب فى ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته * شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أى كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا

وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا

مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها * ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها
فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أى حملوها ثم لم يحملوها فى الحقيقة لفقد العمل * وقرئ يحمل
الاسفار (فان قلت) يحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله
ولقد أمر على اللئيم يسبنى * هادوا تهودوا اذا تهود (أولياء لله) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى
ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التى أعدها
لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا) بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهى
احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا * ولا فرق بين لا ولن فى أن كل واحدة
منهما نفى للمستقبل الا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه
ولا يتمنونه ثم قيل لهم (ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم
لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن على رضى
الله عنه انه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهى ظاهرة وأما التى بالفاء فلتضمن الذى
معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذى تفرون منه كلاما برأسه فى قراءة زيد أى ان الموت هو الشئ الذى
تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم * يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم
الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة فى
عسرة وقرئ بهن جميعا (فان قلت) من فى قوله (من يوم الجمعة) ما هى (قلت) هى بيان لاذا وتفسير له *
والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضى الله
عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره
التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثانى فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من
سماها جمعة كعب بن لؤى وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم
الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه
يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين
والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى
بنى سالم بن عوف فى بطن وادلهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود فى ثلاث افتخروا
بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب
لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه أهبط الى الارض
وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه
الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة
يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل
من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له
أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف
من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر
بعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت فى الاسلام ترك البكور الى

الجمعة

بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله والله لا يهدى القوم
الظالمين قل يا أيها الذين هادوا
ان زعمتم أنكم أولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما
قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين قل ان الموت الذى
تفرون منه فانه ملاقيكم ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون
يا أيها الذين آمنوا اذا نودى
للصلاة من يوم الجمعة

الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان أم رجل بغير اذن الامام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد * وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (الى ذكر الله) الى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكر الله قال أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة (فان قلت) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام * أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذي نفعه يسير وربحه مقارب (فان قلت) فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد * ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفصون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية * روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا أن يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير (فان قلت) فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) ان بقي

فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

وحده أومع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت * (فان قلت) كيف قال (اليها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين

(سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة

* أرادوا بقولهم (نشهد انك لرسول الله) شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة أو أرادوا والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فان قلت) أي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن البصري ايمانهم أي ما أظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم أسوأ الناس أعمالا (بـ)سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أو الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فجسروا على كل عظيمة (فان قلت) المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله تعالى انما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم * وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله * كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم * (فان قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا في استنادهم وما هم الا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم * والخطاب في رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب * وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام

مستأنف

مستأنف لا محل له * وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهى في قراءة ابن عباس وعن اليزيدى أنه قال فى خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثانى مفعولى يحسبون أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما فى قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أى الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير (فان قلت) فحقه أن يقال هى العدو (قلت) منظور فيه الى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه السلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروى أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لان الله لا يغفر لهم * وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما فى آلسحر وآلله (ينفضوا) يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم (ولله خزائن السموات والارض) وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون (لا يفقهون)

يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون

ذلك فيه ذون بعار بن اهم الشيطان * وقرئ ليخرجن الاعزمنها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل أو اخراج الاذل أو مثل الاذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله (عن ذكر الله) وايثاره عليها (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * من في (مما رزقناكم) للتبعيض والمراد الانفاق الواجب (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكي واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة (لولا أخرتني) * وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبي فأتصدق على الاصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد ابن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى أنكم اذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم تبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

(سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فان قلت) ثم ان العباد هم الفاعلون للكفر

يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير

ولكن قد سبق فى علم الحكيم أنه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما
يكون منهم وهل خلق القبيح وخالق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع
السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق فى فروته كما يذمون
القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد
علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء
وجه الحسن علينا لا يقدح فى حسنه كما لا يقدح فى حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعى الحكمة الى خلقها
(بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن
صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا * واليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه (فان قلت)
كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون
صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل فى
أحسن تقويم (فان قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون (قلت) لا سماجة ثم
ولكن الحسن كغيره من المعانى على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا
واضافتها الى الموفى عليها لا تستملح والا فهى داخلة فى حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب
بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى فى مراتب الحسن منها فينبو عن الاولى طرفك
وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان * نبه
بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيأ من الكليات
والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى
معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على
الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق
أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة
و(ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بأن
الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا
أن يكون الله حجرا (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (فان قلت) قوله
وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (قلت) معناه وظهر استغناء
الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام
زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى المفعولين تعدى العلم قال
ولم أزعمك عن ذاك معزلا * وأن مع ما فى حيزه قائم مقامهما * والذين كفروا أهل مكة و(بلى) اثبات لما بعد
لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أى لا يصرفه عنه صارف * وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم
والقرآن * وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون * (فان قلت) بم انتصب الظرف (قلت) بقوله لتنبؤن
أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم
يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها
لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من
الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن
تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وان جلت وعظمت (صالحا) صفة للمصدر أى عملا
صالحا (الا باذن الله) الا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطف به ويشرحه
للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه
لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر * وقرئ

خلق السموات والارض بالحق
وصوركم فأحسن صوركم
واليه المصير يعلم ما فى السموات
والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور ألم يأتكم نبأ الذين
كفروا من قبل فذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك
بأنه كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا
فكفروا وتولوا واستغنى الله والله
غنى حميد زعم الذين كفروا
أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن
ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله
يسير فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذى أنزلنا والله بما
تعملون خبير يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيآته ويدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير ما أصاب من
مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه

يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أى يهد فى قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهد قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف (والله بكل شئ عليم) يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه (فان توليتم) فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه * ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعى ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى الى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فأخذهما ووضعهما فى حجره على المنبر فقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ فى خطبته وقيل اذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما (ما استطعتم) جهدكم ووسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا * وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسئ فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

(سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى (اذا طلقتم النساء) اذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن

الطهر ق

والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

الطلاق وأدخله فى السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا أزواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضى الله عنه لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة فى طهر واحد فأما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعى رضى الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعى فى طلاق السنة الوحدة والوقت وأبو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفى حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة فى الطلاق فأوقعه فى حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قلت) كيف تطلق للسنة التى لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبى حنيفة وأبى يوسف يفرق عليهن الثلاث فى الاشهر وخالفهما محمد وزفر فى الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت (فان قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فان قلت) قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (قلت) لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن و(لا تخرجوهن) حتى تنقضى عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى (فان قلت) ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن (قلت) معنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا أثر له فى رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هى الزنا يعنى الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها فى السكنى وقيل الا أن يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبى الا أن يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه * الامر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وقيل فائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم فى امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له

وأحصوا العدة واتقوا الله
ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن
ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة
مبينة وتلك حدود الله ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدرى لعل الله يحدث بعد
ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف
أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا
ذوى عدل منكم وأقيموا
الشهادة لله

ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على أنفسكم * أى (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به
* ومن يتق الله) يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه
الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه
وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات
وقل ماله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا أو الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس
أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم فى عنقك ويجوز أن يجاء بها
على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعنى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا
والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيامة وقال عليه السلام انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروى أن عوف بن مالك الاشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابنى وشكا اليه
الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الامد فاتق الله واصبروا أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا
هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ
أمره) أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالاضافة وبالغ أمره بالرفع أى نافذ
أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبر ان وبالغا حال (قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا
بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون
الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل * روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة
اللائى لا يحضن فنزلت فمعنى (ان ارتبتم) ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن
وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض
أو استحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى
لم يحضن) هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق فى أولات
الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبى وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن
على وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء
القصرى نزلت بعد التى فى البقرة يعنى أن هذا اللفظ مطلق فى الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الاسلمية
ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحى (يجعل
له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ما علم من
حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله فى العمل بما أنزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق
الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء أجر المرضعات وغير ذلك
استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم (أسكنوهن) وما بعده بيان لما شرط من التقوى فى قوله ومن
يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن * (فان قلت) من فى (من
حيث سكنتم) ما هى (قلت) هى من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم
أى بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أى بعض أبصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت
واحد فأسكنها فى بعض جوانبه * (فان قلت) فقوله (من وجدكم) (قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
وتفسير له كأنه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات
الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها
وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها
نسيت أو شبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا

ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومن يتوكل على الله
فهو حسبه ان الله بالغ أمره
قد جعل الله لكل شئ قدرا
واللائى يئسن من المحيض من
نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة
أشهر واللائى لم يحضن وأولات
الاحمال أجلهن أن يضعن
حملهن ومن يتق الله يجعل له من
أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله
اليكم ومن يتق الله يكفر عنه
سيآته ويعظم له أجرا أسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم
ولا تضاروهن

معهنّ الضرار (لتضيقوا عليهنّ) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهنّ أو يشغل مكانهنّ أو غير ذلك حتى تضطرّوهنّ الى الخروج وقيل هو أن يراجعها اذا بقى من عدّتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها الى أن تفتدى منه (فان قلت) فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله (وان كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ) (قلت) فائدته انّ مدّة الحمل ربما طالت فظنّ ظانّ أنّ النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدّة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان قلت) فما تقول فى الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على أنّ من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علىّ وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها (فان أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهنّ أو منهنّ بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهنّ أجورهنّ) حكمهنّ فى ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهنّ ما لم يبنّ ويجوز عند الشافعىّ * الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الاب ولا تعاسر الامّ لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الامّ على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أى للاب أى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهنّ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أى شرعنا ذلك لينفق * وقرأ ابن أبى عبلة قدّر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه العتوّ والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجئ به على لفظ الماضى كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لانّ المنتظر من وعد الله ووعيده ملقىّ فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله (أعدّ الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعدّ الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولى الالباب) من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعدّ الله لهم جوابا لكأين (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر فصح ابداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أى ملكا مذكورا فى السموات وفى الامم كلها أو دلّ قوله أنزل الله اليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا فى رسولا اعمال المصدر فى المفاعيل أى أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول * أنزله (ليخرج الذين آمنوا) بعد انزاله أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ * يدخله بالياء والنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر * وقرئ مثلهنّ بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما فى القرآن آية تدل على أنّ الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات (يتنزل الامر بينهنّ) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهنّ وملكه ينفذ فيهنّ وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهنّ من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس

لتضيقوا عليهنّ وان كنّ أولات
حمل فأنفقوا عليهنّ حتى
يضعن حملهنّ فان أرضعن لكم
فآتوهنّ أجورهنّ وائتمروا
بينكم بمعروف وان تعاسرتم
فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله لا يكلف
الله نفسا الا ما آتاها سيجعل
الله بعد عسر يسرا وكأين
من قرية عتت عن أمر ربها
ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وعذبناها عذابا نكرا
فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة
أمرها خسرا أعدّ الله لهم
عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى
الالباب الذين آمنوا قد أنزل
الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم
آيات الله مبينات ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من
الظلمات الى النور ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا
الله الذى خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهنّ يتنزل الامر
بينهنّ

أنّ نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال امّا ملائكة أو جنّ (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

❋(سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي عليه السلام وهي ثنتا عشرة آية)❋

❋(بسم الله الرحمن الرحيم)❋

* روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى علىّ وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أنّ أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروى أنّ عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوّامة قوّامة وانها لمن نسائك في الجنة وروى أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشمّ منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرّم العسل فمعناه (لم تحرّم ما أحلّ الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغى) امّا تفسير لتحرّم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرّم ما أحلّ الله لانّ الله عز وجلّ انما أحلّ ما أحلّ لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زلّلت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حالّ فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا أطلقها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثانى قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذى الرمة قليلا كتحليل الألى (فان قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شئ ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرّمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علىّ حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعىّ يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهنّ وان نوى الطلاق فهو رجعىّ عنده وعن أبى بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم انّ الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعىّ وعن علىّ رضى الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيأ ويقول ما أبالى أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبىّ قال ليس بشئ محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم وما لم يحرّمه الله تعالى فليس لاحد أن يحرّمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علىّ وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرّم ما أحلّ الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أى منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين (فان قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لانفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذى أسرّ اليها حديث مارية وامامة الشيخين (نبأت به) أفشته الى عائشة وقرئ أنبأت به (وأظهره) واطلع النبىّ عليه السلام (عليه) على الحديث أى على افشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبىّ صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرّف بعضه) أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من

وفعل

لتعلموا أنّ الله على كل شئ قدير وأنّ الله قد أحاط بكل شئ علما
(بسم الله الرحمن الرحيم)
يا أيها النبىّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم
واذ أسرّ النبىّ الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه

فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أى جاز عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ماصنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم وهو كثير فى القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فان قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة فى وجود الانباء به وافشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة ألا ترى أنه لما كان المقصود فى قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر المنبأ كيف أتى بضميره (ان تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ماسألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وان تظاهرا) وان تعاونا (عليه) بمايسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أى وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين يعنى كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فان قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لايفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لايفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت فى السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء فى المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (فان قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا * قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (سائحات) صائمات وقرئ سيحات وهى أبلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد مايطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن فى هذه الامة سياحة الا الهجرة (فان قلت) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك فى قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله * (فان قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار (قلت) لانهما صفتان متنافيتان لايجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات فلم يكن بد من الواو (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه فى الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل (فان قلت) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم (قلت) لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب

وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم

(نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي الله عنه هي حجارة الكبريت وهي أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه (ما أمرهم) في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله تعالى أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم (فان قلت) أليست الجملتان في معنى واحد (قلت) لا فان معنى الاولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (فان قلت) قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين (قلت) الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على اثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيآت وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم) اطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب لكم تكفير سيآتكم ويدخلكم (يوم لا يخزي الله) نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فان قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتي آمنا يوم

القيامة

نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين

القيامة لاخوف عليهم لايحزنهم الفزع الاكبر أوكيف يتقربون وليست الدار دار تقرب (قلت) أما الاشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين الأمن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ماهو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالاحتجاج * واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين لاقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء أسرارهم * مثل الله عزوجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الاجانب وأبعد وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق مابينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع) سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط * ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لاتضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما فى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه فى التغليظ قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين واشارة الى أن من حقهما أن تكونا فى الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لاتتكلا على أنهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لاينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لان امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره *(فان قلت) مافائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح فى الانسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذى يبلغ به الفوز وينال ماعند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لايرجح عنده الا بالصلاح لاغير وأن ماسواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده (فان قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه سمج فى الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفار لايستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هى عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن أبى هريرة أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها فألقيت الصخرة على جسد لاروح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهى تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة أريت بيتها فى الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب فى الشمس فتظلها الملائكة * (فان قلت) مامعنى الجمع بين عندك وفى الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها فى الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة فى الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التى هى أقرب الى العرش وهى جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بينى وبينهم فتحا

ونجنى ومن معى من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) فى الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ فى سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لى فى هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وأنه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن (وصدقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه * (فان قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التى أنزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه فى اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل * (فان قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وأما ماروى أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعنى مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم فى التمثيل للمؤمنين وأبى الله الا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

(سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) مالم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه * والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وهو الذى يصح منه أن يعلم ويقدر * والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم * (فان قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فان قلت) أتسمى هذا تعليقا (قلت) لا انما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لابد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة

ومريم ابنة عمران التى أحصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين
(بسم الله الرحمن الرحيم)
تبارك الذى بيده الملك وهو على
كل شئ قدير الذى خلق الموت
والحياة ليبلوكم أيكم أحسن
عملا وهو العزيز الغفور

(طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوّت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف (فان قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هي صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهنّ من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع * وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا (ينقلب اليك) أي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور أي بالبعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد (فان قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرّين سعد القين (٢) من ذلك أي باطلا بعد باطل (فان قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجمّ بصره ثم يعاود ويعاود الى أن يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور (الدنيا) القربى لأنها أقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم * والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها (بمصابيح) أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما) لأعدائكم (الشياطين) الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارّة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) أي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها) أي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقا) اما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه * وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم * وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده (فان قلت) (ان أنتم الا في ضلال كبير) من المخاطبون به (قلت) هو من جملة

الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير

(٢) قوله دهدرّين سعد القين في القاموس بضم الدالين وفتح الراء المشددة اسم لبطل وللباطل والكذب كدهدر ودهدرّين سعد القين أي بطل سعد الحداد بأن لا يستعمل لتشاغلهم بالقحط أو ان قينا ادعى أن اسمه سعد زمانا ثم تبين كذبه فقيل له ذلك أي جمعت باطلا الى باطل يا سعد الحداد وروى منفصلا ده أمر من الدهاء قدمت لامه الى موضع عينه فصار دوه ثم حذفت الواو للساكنين ودرّين من درّ تتابع أي بالغ في الكذب يا سعد أو كان أعجميا حدادا يدور في اليمن فاذا كسد في مخلاف قال بالفارسية ده بدرود أي بالوداع يخبرهم بخروجه غدا ليستعمل فتركوه وضربوا به المثل في الكذب وقالوا اذا سمعت سرى القين فانه مصبح اه وفي المستقصى القين مضروب به المثل في الكذب ودهدرّين منصوب بمضمر أي جمعت وسعد منادى مفرد معرفة والقين صفته مرفوع أو منصوب اه مختصرا فتحصل ان التثنية ليست على بابها فان فيه كذبا في السرى وكذبا في انتحال الاسم وكذبا من شهرة القين به فتمّ للمصنف ما أراد تأمل اه مصححه

قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم
لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين
أى حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من
ضلالهم فى الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة
أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (لو كنا نسمع) الانذار سماع طالبين للحق * أو نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين
السمع والعقل لان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب
الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب
المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين
(بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أى فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا
فان ذلك لا ينفعهم * ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم
فى علم الله بهما * ثم انه علله بـ (انه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم
ما تكلم به * ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر (من خلق) الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى
أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد
فنبه الله على جهلهم (فان قلت) قدرت فى ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر فى القلب
وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى و يمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق
لان الخلق لا يصح الا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التى هى قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت ألا يكون
عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان ألا يعلم معتمد على الحال والشئ لا يوقت بنفسه
فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شئ * المشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه
فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك
فى جبالها فاذا أمكنكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها * والمعنى واليه نشوركم فهو
مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لانها مسكن
ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثانى أنهم كانوا
يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب
اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض
المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصى (فستعلمون) قرئ
بالتاء والياء (كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (صافات) باسطات
أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها
جنوبهن (فان قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لان الاصل فى الطيران هو صف الاجنحة لان
الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات و يكون منهن القبض
تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن الا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى
الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب
(أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون) الله ان أرسل عليكم عذابه (أمن)
يشار اليه ويقال (هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع
الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه
قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا فى عتو ونفور) بل تمادوا فى عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم

وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا
فى أصحاب السعير فاعترفوا
بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير
ان الذين يخشون ربهم بالغيب
لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا
قولكم أو اجهروا به انه عليم
بذات الصدور ألا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير هو الذى
جعل لكم الارض ذلولا
فامشوا فى مناكبها وكلوا من
رزقه واليه النشور أأمنتم من
فى السماء أن يخسف بكم الارض
فاذا هى تمور أم أمنتم من فى
السماء أن يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير ولقد
كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير أولم يروا الى الطير
فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ
بصير أمن هذا الذى هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن
ان الكافرون الا فى غرور
أمن هذا الذى يرزقكم ان
أمسك رزقه بل لجوا فى عتو
ونفور

قوله لم يترك كذب عليه بتعمل أى
لم يترك بقية من التذليل اهـ

فلم

ولم يتبعوه ويجعل أكبّ مطاوع كبه يقال كببته فأكبّ من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وماهو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما أكبّ من باب انفض وألام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فان قلت) مامعنى (يمشي مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشي معتسفا في مكان متعادغير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخرّ على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوى الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الاعمى الذي لايهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكبّ على وجهه وأنه ليس كالرجل السويّ الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكبّ على معاصي الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عني به أبو جهل بن هشام وبالسويّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) الضمير للوعد * والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) القائلون الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها * كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ماتصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه يعني أنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لاهلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له * (فان قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

(سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (ومايسطرون) ومايكتب من كتب وقيل

قوله وماهو كذلك كتب عليه أي ليس أكب كما ذكروا وهذا ابتداء كلام من المصنف لرد قول من جعل أكب مطاوع كبه اه كتبه المصحح

أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين

(بسم الله الرحمن الرحيم)
ن والقلم ومايسطرون

ما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة * (فان قلت) بم يتعلق الباء فى (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك الاثبات والنفى استواءهما فى قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل (وان لك) على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال * استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذى أمره الله تعالى به فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضى الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون أو لان العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم * والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أى بأيكم الجنون أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد ابن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر (ان ربك هو أعلم) بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وانه أعلم بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فان قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى (قلت) قد عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك قال سيبويه وزعم هرون أنها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (مهين) من المهانة وهى القلة والحقارة يريد القلة فى الرأى والتمييز أو أراد الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوى شدقيه فى أقفية الناس (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدنى بعض العرب

تشبى تشبب النميمه * تمشى بها زهرا الى تميمه

(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من أسلم منكم منعته رفدى عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدى الاخنس بن شريق أصله فى ثقيف وعداده فى زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد له من المثالب والنقائص (زنيم) دعى قال حسان

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم فى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم

وهذه

ما أنت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون وانك
لعلى خلق عظيم فستبصر
ويبصرون بأيكم المفتون ان
ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع
المكذبين ودوا لو تدهن
فيدهنون ولا تطع كل حلاف
مهين هماز مشاء بنميم مناع
للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك
زنيم

وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال وبنين كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر * الوجه اكرم موضع في الجسد والانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لأن السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير في الخياشيم * انا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل (مصبحين) داخلين في الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمي استثناء وانما هو شرط (قلت) لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف) كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق شئ فيها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين * (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين (يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا * الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا أغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد و(قادرين) من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين

قوله واذالة في القاموس أذلته أهنته اهـ كتبه مصححه

اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين

وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطنى من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون فى الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا * كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) فى ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * وتخير الشئ واختاره أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا أخذ منخوله * لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد * (فان قلت) بم يتعلق (الى يوم القيامة) (قلت) بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمنا كم وأعطينا كم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) أى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا) بهم (ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه

فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين

لا كتاب

لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) فى معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل فى البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ماذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن (فان قلت) فلم جاءت منكرة فى التمثيل (قلت) للدلالة على أنه أمر مبهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شئ نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبى عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أى يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل فى الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو انما را ذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن ثم من الكوائن مالا يوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة * (فان قلت) لم يدعون الى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود فى الدنيا مع اعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على مافرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به * يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى أكفيكه كأنه يقول حسبك ايقاعا به أن تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبى مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين * استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والماصى (من حيث لا يعلمون) أى من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم (وأملى لهم) وأمهلهم كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد فى العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا فى الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه * وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة * ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه فى التسبب للهلاك * المغرم الغرامة أى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب) أى اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يعنى يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه * حسن تذكير الفعل لفصل الضمير فى تداركه

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه

وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أى كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام * ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد فى جواب لولا على الحال أعنى قوله (وهو مذموم) يعنى أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روى أنها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف * وقرئ رحمة من ربه (فاجتباه ربه) فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (فجعله من الصالحين) أى من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه * ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعنى أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل كانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى أمره وتنفيرا عنه والا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لاجل القرآن (وماهو الا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

* (سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهى مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية لاريب فيها أو التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أى لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والاصل الحاقة ماهى أى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك) وأى شئ أعلمك ما الحاقة يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام * القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق لشدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة

والافراط

نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وماهو الا ذكر للعالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية

والافراط فيها * الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز ابن زرارة الكلابى

ففرّق بين بينهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح أى سخرها عليهم مستأصلة وقيل هى أيام العجوز وذلك أن عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كما شاء (فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام * وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وأبى ومن معه وقراءة أبى موسى ومن تلقاءه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالخطإ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطإ العظيم (رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ليربو فى أموال الناس (حملناكم) حملنا آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للايذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد * أسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل * وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور (فان قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنها لا تثنى فى وقتها (فان قلت) فأى النفختين هى (قلت) الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية (فان قلت) أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الارض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) فحينئذ نزلت النازلة وهى القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة * يريد والخلق الذى يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى (فان قلت) ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها) على جوانبها الواحد رجا مقصور يعنى أنها تنشق وهى مسكن الملائكة فينضوون الى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) أى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون

قوله وقيل مكفئ الظعن فى أبى السعود وقيل ومكفئ بزيادة واو فتأمل اه مصححه

سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية

سبعون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم
على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن
شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن
الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر
على كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * العرض عبارة عن
المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات
فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك
كتابه بشماله (خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم (فأما) تفصيل للعرض * هاء صوت
يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند
البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابى اقرؤا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى
أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت فى كتابيه وكذلك فى حسابيه
وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا
لثباتها لثباتها فى المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة
باثبات الهاء فى الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن
الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الامر كيت وكيت (راضية)
منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو
لصاحبها (عالية) مرتفعة المكان فى السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور والاشجار (دانية)
ينالها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أكلا وشربا هنيأ أو هنيتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم)
بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أى كلوا
واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله عز وجل يا أوليائى طالما نظرت اليكم
فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم
وكلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية * الضمير فى (ياليتها) للموتة يقول ياليت الموتة التى متها (كانت
القاضية) أى القاطعة لامرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أى ليت هذه الحالة كانت الموتة
التى قضت على لانه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ما أغنى) نفى
أو استفهام على وجه الانكار أى أى شئ أغنى عنى ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى
على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت فى الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرة الملقب
بالعضد أنه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عنى حجتى ومعناه بطلت حجتى التى
كنت أحتج بها فى الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس
يقال صلى النار وصلاه النار * سلكه فى السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها
مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة * وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين
مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم
الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى
ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة (انه) تعليل
على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفى قوله (ولا يحض
على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة
له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية فأما من أوتى كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى
ظننت أنى ملاق حسابيه فهو
فى عيشة راضية فى جنة عالية
قطوفها دانية كلوا واشربوا
هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية
وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول
ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر
ما حسابيه ياليتها كانت القاضية
ما أغنى عنى ماليه هلك عنى
سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم
صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن
بالله العظيم ولا يحض على طعام
المسكين

قوله فناخسرة ضبط بالقلم بفتح
الفاء وتشديد النون وضم الخاء
وسكون السين وفتح الراء وبعدها
هاء وفى نسخ بواو بدلها والتلاعب
بالالفاظ الاعجمية معروف قال
المتنبى
فنا يسمى كفناخسر مسمى
ولا يكفى كفناخسر كافى
اه كتبه المصحح

اذا نزل الاضياف كان عذوّرا * على الحىّ حتى تستقلّ مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وتشاكس عليهم وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرّون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما * والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الاسود الدؤلى ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدّون حدود الله * هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن (لقول رسول كريم) أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون * والقلة فى معنى العدم أى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال تنزيلا أى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن * التقوّل افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل * وسمى الاقوال المتقوّلة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى ولو ادّعى علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته * وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لاخذنا منه باليمين) لاخذنا بيمينه كما أن قوله (لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه * وقرئ ولو تقوّل على البناء للمفعول قيل (حاجزين) فى وصف أحد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرّق بين أحد من رسله لستنّ كأحد من النساء والضمير فى عنه للقتل أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن (وانه) الضمير للقرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدّقين به أو للتكذيب * وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجدّ العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح) الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما أهلّك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ضمن سأل معنى دعا فعدّى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما أن يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة سأل

فليس له اليوم هاهنا حميم ولا
طعام الا من غسلين لا يأكله
الا الخاطئون فلا أقسم بما
تبصرون وما لا تبصرون انه
لقول رسول كريم وما هو بقول
شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول
كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل
من رب العالمين ولو تقوّل علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من أحد عنه حاجزين
وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم
أن منكم مكذبين وانه لحسرة
على الكافرين وانه لحق اليقين
فسبح باسم ربك العظيم
(بسم الله الرحمن الرحيم)
سأل سائل بعذاب واقع

سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم * (فان قلت) بم يتصل قوله (للكافرين) (قلت) هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له أى بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أى دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أى بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين * (فان قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح اليه) الى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس * (فان قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير فى (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع أى يستبعدونه على جهة الاحالة (و) نحن (نراه قريبا) هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه * نصب (يوم تكون) بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو باضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل أحد ما يشغله عن المساءلة (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أى لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب (فان قلت) ما موقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (فان قلت) لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم * وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب (وفصيلته) عشيرته الادنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه انتماء اليها أو لياذا بها فى النوائب (ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء أو من فى الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (انها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (لظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لان أو خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث لانه فى معنى النار أو رفع على التهويل أى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على أنها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل * والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد (تدعوا) مجاز عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة تدعو أنفه الريب وقوله ليالى اللهو يطبينى فأتبعه وقول أبى النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو

لكافرين ليس له دافع من الله
ذى المعارج تعرج الملائكة
والروح اليه فى يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
يوم تكون السماء كالمهل
وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل
حميم حميما يبصرونهم يود المجرم
لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته وأخيه وفصيلته التى
تؤويه ومن فى الارض جميعا
ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة
للشوى تدعوا

المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم
وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب
دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع)
المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبره أريد
بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين * والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس
الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت
قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به
ومنعه الناس * والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا
مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول
عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه
أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا
أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله
عليه وسلم شر ما أعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فان قلت) كيف قال (على صلاتهم دائمون) ثم على
صلاتهم يحافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها
بشيء من الشواغل كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله
ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها
ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها (حق
معلوم) هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة * السائل
الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم
واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) أي لا ينبغي
لأحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء * قرئ بشهادتهم
وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق
وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها * كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا
فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت
(مهطعين) مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة
وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا خلقناهم
مما يعلمون) الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث
والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة (فان قلت) من أي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث
(قلت) من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله
خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على
ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون
أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بأنه منصب يستحيا
من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم
من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع
أن يدخلها من ليس له ايمان وعمل * وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون من الاجداث
سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون
الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل

من أدبر وتولى وجمع فأوعى
ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا الا المصلين الذين هم على
صلاتهم دائمون والذين في
أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم والذين يصدقون بيوم
الدين والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون ان عذاب ربهم غير
مأمون والذين هم لفروجهم
حافظون الا على أزواجهم أو
ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون والذين هم لأماناتهم
وعهدهم راعون والذين
هم بشهاداتهم قائمون والذين
هم على صلاتهم يحافظون أولئك
في جنات مكرمون فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين
وعن الشمال عزين أيطمع كل
امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم
كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا
أقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون على أن نبدل خيرا
منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون يوم
يخرجون من الأجداث سراعا
كأنهم الى نصب يوفضون
خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون

أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

(سورة نوح مكية وهى تسع أو ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على ارادة القول و (ان أعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع اخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك الأجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون أقبح لاعراضهم عنه * سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما و (جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا * أمرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم اليهم الموعد بما هو أوقع فى نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروى سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية * والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله اذا نزل السماء بأرض قوم * والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان

للموقر

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا

وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا

للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أي تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أولا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر نبههم على النظر في أنفسهم أولا لانها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر (فيهن) في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور * استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم (ثم يعيدكم فيها) مقبورين ثم (يخرجكم) يوم القيامة * وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة * جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤساءهم المقدمين أصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام * وجعل أموالهم وأولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة (خسارا) في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه * وقرئ وولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح (مكرا كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال (ولا تذرن ودا) كأن هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي أسماء رجال صالحين وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر * وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج (وقد أضلوا) الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا (كثيرا) قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا باضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز أن يكون للاصنام كقوله تعالى انهن أضللن كثيرا من الناس * (فان قلت) علام عطف قوله (ولا تزد الظالمين) (قلت) على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه (فان قلت) كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته (قلت) المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع

الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك لقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا * تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز أن يراد الكفر (فأدخلوا نارا) جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكأنه قد كان أو أريد عذاب القبر ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها أو لان الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (ديارا) من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا * (فان قلت) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة (قلت) لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز وجل أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى (لا يلدوا الا فاجرا كفارا) لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه (ولوالدي) أبو لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين بن علي ولولدي يريد ساما وحاما (بيتي) منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه * ثم عم المؤمنين والمؤمنات (تبارا) هلاكا (فان قلت) ما فعل صبيانهم حين أغرقوا (قلت) غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

(سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرئ أحي وأصله وحي يقال أوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كاشاح واسادة واعاء أخيه وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الاصل (أنه استمع) بالفتح لانه فاعل أوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي (نفر من الجن) جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم (فقالوا انا سمعنا) أي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا (عجبا) بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع

مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا
نارا فلم يجدوا لهم من دون الله
أنصارا وقال نوح رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا رب
اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين إلا تبارا
(بسم الله الرحمن الرحيم)
قل أوحي إلي أنه استمع نفر من
الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا

العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره (يهدي الى الرشد) يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان * الضمير في (به) للقرآن * ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأن قوله بربنا يفسره (جد ربنا) عظمته من قولك جد فلان في عيني أي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك * وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه * سفيههم ابليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن * والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم اذا أبعد فيه أي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله * وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم (كذبا) قولا كذبا أي مكذوبا فيه أو نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول * ومن قرأ أن لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لأن التقول لا يكون الا كذبا * الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان اذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم (وأنهم) وأن الانس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وأنهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش * اللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف قال

مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى نسب في قومه غير واضع

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها * والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه أخشى رجيلا أو ركيبا غاديا لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب * والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولأجله (فان قلت) كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون الفه * أو الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا

قوله خازم في نسخة صحيحة بالخاء المعجمة وكتب عليه صح وبقية النسخ بالحاء المهملة وليحرر وقوله الغبار في نسخة الخبار وكتب عليه الارض اللينة اه مصححه

جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته * يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لأمر أراده الله بأهل الارض ولا يخلو من أن يكون شرا أو رشدا أي خيرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق (منا الصالحون) منا الابرار المتقون (ومنا دون ذلك) ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق مختلفة كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق (في الارض) و (هربا) حالان أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا * والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن * وايمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدإ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف (فان قلت) أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي (بخسا ولا رهقا) أي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحي الي أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم * وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه أصل المعاش وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما أو لنعذبهم في كفران النعمة (عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة أي ندخله (عذابا) والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني

وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا

(وأنّ المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولانّ المساجد (لله فلا تدعوا) على أنّ اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا (مع الله أحدا) في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبيّ صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود (عبد الله) النبيّ صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا قيل رسول الله أو النبيّ (قلت) لانّ تقديره وأوحي الىّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لانّ المعنى أنّ عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجنّ فاستمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم (كادوا يكونون عليه لبدا) أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجنّ على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجنّ قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به (قال) للمتظاهرين عليه (انما أدعو ربي) يريد ما أتيتكم بأمر منكر انما أعبد ربي وحده (ولا أشرك به أحدا) وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال للجنّ عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك به بأمر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا رشدا) ولا نفعا أو أراد بالضرّ الغيّ ويدل عليه قراءة أبيّ غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضرّكم وأن أنفعكم انما الضارّ والنافع الله أو لا أستطيع أن أقسركم على الغيّ والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجلّ و (الا بلاغا) استثناء منه أي لا أملك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أنّ الله ان أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي اليه * والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا * وقرئ قال لا أملك أي قال عبد الله للمشركين أو للجنّ ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى الا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا أبلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القول اليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (فان قلت) ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني (قلت) من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله * وقرئ فأنّ له نار جهنم على فجزاؤه أنّ له نار جهنم كقوله فأنّ لله خمسه أي فحكمه أنّ لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع في من * (فان قلت) بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر واظهار الله عليهم أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون * قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل (قل) انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فانّ الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون لانّ الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من

وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع
الله أحدا وأنه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا
قال انما أدعو ربي ولا أشرك به
أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا
ولا رشدا قل اني لن يجيرني من
الله أحد ولن أجد من دونه
ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته
ومن يعص الله ورسوله فانّ له
نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى
اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون
من أضعف ناصرا وأقل عددا
قل ان أدري أقريب ما توعدون

المصلحة * (فان قلت) مامعنى قوله (أم يجعل له ربى أمدا) والامد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى الى قوله تودّ لو أنّ بينها وبينه أمدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدرى أهو حال متوقع فى كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية * أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و (من رسول) تبيين لمن ارتضى يعنى أنه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوّة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا ابطال للكرامات لانّ الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لانّ أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط (فانه يسلك من بين) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحى به اليه وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الانبياء وحد أولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فانّ له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وضبط كل شئ معدودا محصورا أو مصدر فى معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدّق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

* (سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة أو عشرون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(المزمّل) المتزمّل وهو الذى تزمّل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى ونحوه المدّثر فى المتدثر وقرئ المتزمّل على الاصل والمزمّل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمّله وهو الذى زمّله غيره أو زمّل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزمّلا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه الحالة التى كان عليها من التزمّل فى قطيفته واستعداده للاستثقال فى النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمّل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وفى أمثالهم

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الابل

فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمّل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لا جرم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرّت ألوانهم وظهرت السيمى فى وجوههم وترامى أمرهم الى حدّ رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزمّلا فى مرط لعائشة يصلى فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علىّ وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أوّل ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زمّلونى زمّلونى وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل

أم يجعل له ربى أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المزمّل

يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذى زمّل أمرا عظيما أى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله * وقرئ
قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين
فبأى الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم
أقل من نصف الليل * والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل
على البتّ وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه
بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما
وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا أبدلت النصف
من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الاقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف
الليل أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا
أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه
قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز
ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع (فان قلت) أكان
القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضى الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان
فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة
وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير فى المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبى
كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل
التخيير فى المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين
الحروف واشباع الحركات حتى يجىء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن
لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو
فى تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم
هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و(ترتيلا) تأكيد فى ايجاب الامر به وأنه ما لا بد منه للقارئ
* هذه الآية اعتراض ويعنى بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة
على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهى أثقل عليه وأبهظ له
وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لان
الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضى
الله عنه كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى
فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل فى الميزان وقيل ثقيل على
المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التى تنشأ من
مضجعها الى العبادة أى تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روى عن عبيد بن
عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت
الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث وترتفع وقيل هى ساعات الليل كلها لانها
تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الاول منه وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه كان يصلى بين
المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هى أشد وطأ) هى خاصة دون
ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام
أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر
والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من زلل
أو أثقل وأغلظ على المصلى من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا)

قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا

قوله الحقحقة الخ كتب عليه بالحاءين المهملتين شدة السير والهذرمة بمعنى الهذ والالص متقارب الاسنان وتربد تغير اه كتبه المصحح

وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة إنما
هي وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ
فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا في مهماتك
وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء
فاستعارة من سخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم
ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه
أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش
والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ
تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول
كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك
مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره (وتبتل إليه) وانقطع إليه (فإن قلت)
كيف قيل (تبتيلا) مكان تبتلا (قلت) لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب
المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار
حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه (لا إله إلا هو) كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن
عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده
بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار * الهجر الجميل أن يجانبهم
بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة وعن أبي الدرداء رضي الله
عنه إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف * إذا عرف الرجل
من صاحبه أنه مستهتم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه
قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه
فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض
كأنه إذا لم يكل أمره إليه فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق
بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب ويجاوز ما يدعيه * النعمة بالفتح التنعم وبالكسر
الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (إن لدينا)
ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن
جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع
وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم
بمثل ذلك الانتقام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى
صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك
الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم
ترجف) منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة * والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا
جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي
كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل * الخطاب لأهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة
بكفركم وتكذيبكم (فإن قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل
فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم
كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أي
فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا
أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي
فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه و (يجعل الولدان

إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان

شيبا) مثل فى الشدة يقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال والاصل فيه أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وقد مر بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار فى المنام ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شئ منفطر والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدى الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت فى السموات والارض (وعده) من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة (أدنى من ثلثى الليل) أقل منهما واستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر فى أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أى تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الاخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه * والضمير فى (لن تحصوه) لمصدر يقدر أى علم أنه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا أن تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخيص فى ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة فى تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب * وعبر عن الصلاة بالقراءة لانها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية * وقد بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والضاربين فى الارض للتجارة والمجاهدين فى سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب فى الارض أبتغى من فضل الله و(علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلوة) يعنى المفروضة * والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من اخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وأن يريد كل شئ يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال (خيرا) ثانى مفعولى وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه فى امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

(سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المدثر) لابس الدثار وهو مافوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هى أول سورة نزلت وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أرشيأ فنظرت فوقى فرأيت شيأ وفى رواية عائشة فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهرى أول مانزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبى الله فرجع الى خديجة وقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال فى المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط فى الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى والاحب فى غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مالا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبنى زيد ثوبه كما يقولون أعجبنى زيد عقله وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر فى كل شئ (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر مايؤدى اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريأ منه * قرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثانى أن يكون نهى تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن فى قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لان من شأن المنان بما يعطى أن يستكثره أى يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز فى الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعى على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لانه أحد ماتتناوله العام * والفاء فى قوله (فاذا نقر) للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه * والفاء فى (فذلك) للجزاء (فان قلت) بم انتصب اذا وكيف صح أن يقع (يومئذ) ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب اذا بما دل عليه الجزاء

(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير

قوله وأن يشبه ثرو بعضد كتب عليه أى الخروج من كسر الثاء الى ضمة الراء من تستكثر ومنها الى فتحة الواو فى ولربك اه كتبه المصحح

لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى
فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة
الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم
النقر يوم عسير (فإن قلت) فما فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على الكافرين فقصر
العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين
وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير
من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك
في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى
خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت
في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به
قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته
ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر
بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه (ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر
قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال
وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف
وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة
لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش
بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق
إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه
وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له
الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا
ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش
وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد
على ما أوتي سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي (كلا) ردع له وقطع
لرجائه وطمعه (إنه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه
عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان
من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب
الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها
عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (إنه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد
العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته
القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له
وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا
عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف
قدر) تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة
الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم
لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن
يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو

على الكافرين غير يسير ذرني
ومن خلقت وحيدا وجعلت له
مالا ممدودا وبنين شهودا
ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن
أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا
سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر
فقتل كيف قدر ثم قتل كيف
قدر

من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما
يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط
يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب
فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده
ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله
متعجبين منه (ثم نظر) في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة
الشنعاء وهم بأن يرمي بها * وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله
ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما
(فان قلت) ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الاولى ونحوه
قوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي (فان قلت) ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها (قلت) الدلالة على
أنه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد * (فان قلت) فلم قيل (فقال ان هذا)
بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث
(فان قلت) فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد
(سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (لا تبقي) شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد
أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمي لاحني الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل * والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله
ثم لترونها عين اليقين * وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أي يلي أمرها ويتسلط
على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون
العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن * جعلهم
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا
يستروحون اليهم ولانهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم أشد الخلق بأسا وأقواهم
بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى
الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق
أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروى أنه لما نزلت عليها تسعة عشر
قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم
أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش
أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) أي ما جعلناهم
رجالا من جنسكم يطاقون * (فان قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب
وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ما جعل افتتانهم بالعدة سببا
لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا)
وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا
من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن
وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان
المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن
أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم
أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك (فان قلت) لم قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان

وازدياد

ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون

وازدياد الايمان دلا على انتفاء الارتياب (قلت) لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر * (فان قلت) كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين يجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فان قلت) قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا ألا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فان قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص * الكاف في (كذلك) نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (وما يعلم جنود ربك) وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (الا هو) ولا سبيل لأحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والارضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشرع بعينه أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله (وما هي الا ذكرى) متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها الا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون احدى الكبر نذيرا و (دبر) بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ أدبر (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لاحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء و (نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان أو بحذف المبتدا (أن يتقدم) في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الملائكة (في جنات) أي هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه * (فان قلت) كيف طابق قوله (ماسلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم (قلت) ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم (في سقر قالوا لم نك من المصلين) الا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه * الخوض الشروع في الباطل ومالا ينبغي (فان قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالاطفال أنهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار * (فان قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه (قلت) يحتمل الامرين جميعا (فان قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا و (اليقين) الموت ومقدماته * أي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و (معرضين) نصب على الحال كقولك مالك قائما * والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار * والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله * ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال (انه تذكرة) يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه و (ذكره) للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون الا أن يشاء الله) يعني الا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم اذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى

الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

قوله وقالوا لن نؤمن لك كذا في نسخ وكتب عليه في نسخة الزمخشري وقوله في المتن وهو سهو والقلم والقرآن ان نؤمن لرقيك اه وفي بعض النسخ كتب على الصواب اه كتبه مصححه

الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه * وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

(سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزنني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها انما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فان قلت) قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه في الامام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وأن الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الارض وقيل ان عدي بن أبي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت (بلى) أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها و (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول الى أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه أي نجعلها مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيأ مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أي نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه الى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره

قوله غوية بن سلمى ضبط غوية بالقلم بالتصغير وسلمى بضم فسكون فكسر فتشديد وكتب عليه تصحيح الحماسة غوية بن سلمى بن ربيعة وضبط بفتح فسكون ففتح مع ألف التأنيث المقصورة ثم قال ولكن تصحيح الكشاف بخط المصنف سلمى كما في المتن اهـ كتبه مصححه

(بسم الله الرحمن الرحيم) لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه

فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب
ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (يسئل) سؤال
متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق
البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أي لمع من
شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق إذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته (وخسف
القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) حيث
يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران
في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى (المفر) بالفتح المصدر وبالكسر المكان
ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت إليه
من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك (إلى ربك) خاصة (يومئذ) مستقر العباد أي استقرارهم يعني أنهم
لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك
اليوم أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار أي مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله
الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما
أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله
وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت
الآيات بالإبصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ
عن الإنباء لأنه شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك
ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة
المذنب (فإن قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو
اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر * الضمير في (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن
الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت
له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى إليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة
الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن
العجلة بقوله (إن علينا جمعه) في صدرك وإثبات قراءته في لسانك (فإذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته
* والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن
في ضمان تحفيظه (ثم إن علينا بيانه) إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال
عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه (كلا)
ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه وحث على الأناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك
باتباعه قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل
شيء ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فإن قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك
به لسانك إلى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك
الاهتمام بالآخرة * الوجه عبارة عن الجملة * والناضرة من نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) تنظر إلى ربها خاصة
لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله إلى ربك يومئذ المستقر إلى ربك يومئذ المساق إلى الله
تصير الأمور وإلى الله المصير وإليه ترجعون عليه توكلت وإليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى
الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه
الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه
بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون
من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

يسئل أيان يوم القيامة فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة

واذا انظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سرويه تستجديه بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتى نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه * والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته وفظاعته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين * والضمير فى (بلغت) للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذى هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقال حاضر وصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه (المساق) أى يساق الى الله والى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعنى الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أى لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت فى أبى جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفى الحديث اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعنى كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فخلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الانسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذى أنشأ هذا الانشاء (بقادر) على الاعادة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

* (سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أى أتى على الانسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) أى كان شيأ منسيا غير مذكور نطفة فى الاصلاب والمراد بالانسان جنس بنى آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة * حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فان قلت) ما محل لم يكن شيأ مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الانسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور والرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزى والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار وبرد أكياش وهى ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هى عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها

قوله علز كتب عليه كارعدة تأخذ المريض اه كتبه المصحح

ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى

(بسم الله الرحمن الرحيم) هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج

تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف * شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لالزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره * ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد * وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف (الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر * والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده و(عينا) بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص * (فان قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر (على حبه) الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم) على ارادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيأ وعن مجاهد أما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم * والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (انا نخاف) يحتمل أن احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة * ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل * والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة (٢)

لنبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم

(٢) قوله ناعصة كتب عليه النعص التمايل وسمى الرجل ناعصة جوهرة اه وفي القاموس أسد بن ناعصة شاعر نصراني قديم مشتق من النعص محركة وهو التمايل اه كتبه المصحح

واصطليت

واصطليت الحروب فى كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله (بما صبروا) بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله فى أهل بيتك فأقرأه السورة (فان قلت) ما معنى ذكر الحرير مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدى اليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى وحريرا فيه ملبس بهى * يعنى أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه فى لغة طىء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر * (فان قلت) (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التى قبلها لانها فى موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم فى عليهم الا أنها اسم مفرد وتلك جملة فى حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الامرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة فى موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا (فان قلت) فعلام عطف (وذللت) (قلت) هى اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهى حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهى صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا (قواريرقوارير) قرئتا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفى الثانى لاتباعه الاول ومعنى قوارير (من فضة) أنها مخلوقة من فضة وهى مع بياض الفضة وحسنها فى صفاء القوارير وشفيفها * (فان قلت) ما معنى كانت (قلت) هو من يكون فى قوله كن فيكون أى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هى قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب

ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا

ما اشتهوا * سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

و (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يعنى أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل فى اللغة صفة لما كان فى غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أن معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته فى العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل على رضى الله عنه أبدع وفى شعر بعض المحدثين

سل سبيلا فيها الى راحة النفس * س براح كأنها سلسبيل

و (عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص * شبهوا فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن ابن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبى نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائى أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و (ثم) فى موضع النصب على الظرف يعنى فى الجنة ومن قال معناه ماثم فقد أخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيأ روى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم * قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى مايعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم * وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لانه أعجمى وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره (وحلوا) عطف على ويطوف عليهم (فان قلت) ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفى موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلى وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل فى الدنان والاباريق التى لم يعن بتنظيفها أو لانه لا يؤل الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك * أى يقال لاهل الجنة (ان هذا) وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز * تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على

قوله علس كتب عليه العلس القراد وبه سمى الرجل اه وقوله حتى صارت الكلمة خماسية هكذا فى النسخ وظاهر أنها سداسية لا خماسية اه مصححه

ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا

قوله كما تزاوج كتب عليه نسخة الزمخشرى تزاوج بالزاى والجيم وفى بعض النسخ وقع تراوح بالراء والحاء المهملتين من قولهم يراوح بين رجليه اذا قام على احداهما مرة وعلى الاخرى مرة اه كتبه المصحح

أى وجه نزل الاحكمة وصوابا كانه قيل مانزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا أنا لاغيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى أن أنزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين (فاصبر لحكم ربك) الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر * وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم ان أجابهم (فان قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله (آثما أو كفورا) (قلت) معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (فان قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جىء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا نهى أن يقول لابويه أف علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الاولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له أو يعنى صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (ووراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشىء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض * الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب * والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته (واذا شئنا) أهلكناهم و (بدلنا أمثالهم) فى شدة الاسر يعنى النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجىء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (هذه) اشارة الى السورة أو الى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة * واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة (وما يشاؤن) الطاعة (الا أن يشاء الله) بقسرهم عليها (ان الله كان عليما) بأحوالهم وما يكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم * وقرئ تشاؤن بالتاء (فان قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كأن معه (يدخل من يشاء) هم المؤمنون * ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

(سورة والمرسلات مكية وهى خمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

---

* أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله

قوله أو يعنى فى نسخ اسقاطها أو وعبارة أبى السعود وبعض الليل فصل له واعله صلاة المغرب والعشاء اه وقوله هزيعا طويلا فى القاموس هزيع من الليل كأمير طائفة أو نحو ثلثه أو ربعه اه كتبه مصححه

فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما

(بسم الله الرحمن الرحيم) والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا

في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت * (فان قلت) ما معنى عرفا (قلت) متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي أرسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر (فان قلت) قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا (قلت) ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم * (فان قلت) ما العذر والنذر وبما انتصبا (قلت) هما مصدران من عذرا ذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين * ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (فرجت) فتحت فكانت أبوابا قال

الفارجي باب الامير المبهم (نسفت) كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته * وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة * قرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم * والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (لاي يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت * (فان قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله (ويل يومئذ للمكذبين) (قلت) هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحو سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا * قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج

ومهمه هالك من تعرجا (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل) بكل من أجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره (الى قدر معلوم) الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر أو ما دونها أو ما فوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره * الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز (فان قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الانس وأمواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم أنها كفات الانس (فان قلت) فالتنكير في (رواسي شامخات) و (ماء فراتا) (قلت) يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم * أي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه (الى ظل) يعني دخان

انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لاي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل

جهنم كقوله وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (لا ظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (بشرر) وقرئ بشرار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة وحوج (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل (صفر) لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجى

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى * ترمى بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم فى العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سوّل له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه ٭ قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ ٭ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة (جمعناكم والاولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وأممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك و (كلوا وتمتعوا) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فان قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك فى الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك فى الآخرة ايذانا بأنهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفى طريقته قوله

إخوتى لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء فى حياتكم بأن يدعى لكم بذلك ٭ وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله الا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين فى الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعنى أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون

قوله لا نجبى قال الشهاب رواه الزمخشرى بالجيم والباء من التجبية وهى الانحناء على هيئة الراكع أو الساجد ووقع فى نسخ نحنى من الانحناء اهـ كتبه المصحح بالمعنى

(سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبا وهي أربعون أو احدى وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عمّ) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أى شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شئ خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أى شئ هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبا العظيم) بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما أن يجرى الوصل مجرى الوقف واما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على أن يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشئ يبهم ثم يفسر (فان قلت) قد زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) (قلت) كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا و (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى (ثم) الاشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الاول وأشد * (فان قلت) كيف اتصل به قوله (ألم نجعل الارض مهادا) (قلت) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى أنه عابث في كل ما فعل * مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أى أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد (سباتا) موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الادواء * ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أى حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعنى الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها * المعصرات السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع اذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وأن تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن أى يحملن على العصر ويمكن منه (فان قلت) فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر (فان قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث

(بسم الله الرحمن الرحيم)
عم يتساءلون عن النبا العظيم
الذى هم فيه مختلفون كلا
سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم
نجعل الارض مهادا والجبال
أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا
نومكم سباتا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا
من المعصرات

لا المعصر

لا المعصر يقال عصره فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتى أعصرن أى حان لها أن تعصر أى تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعنى يثج الكلام ثجا فى خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح فى الوادى (حبا ونباتا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد أنشدنى الحسن بن على الطوسى

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان فى تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور الى الموقف أمما كل أمة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضى الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء * وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعنى أنها تصير شيأ كلا شئ لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها * المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء * قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذى يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له * والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

ما ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات ألفافا ان يوم الفصل
كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور
فتأتون أفواجا وفتحت السماء
فكانت أبوابا وسيرت الجبال
فكانت سرابا ان جهنم كانت
مرصادا للطاغين مآبا لابثين
فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا

وعن بعض العرب منع البرد البرد * وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أى يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من يغالب فى أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شئ أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر فى موضع احصاء أو أحصينا فى معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة فى معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده * والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر * والاعناب الكروم * والكواعب اللاتى فلكت ثديهن وهن النواهد * والاتراب اللدات * والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطنى * وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو لا يكاذبه وعن على رضى الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز و(عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أى جزاهم عطاء و(حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك * قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثانى على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون * والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض أى ليس فى أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه و(يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض * والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل * هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا له فى الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (المرء) هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعنى (ما قدمت يداه) من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق

ولم

جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا

ولم أكلف أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

(سورة والنازعات مكية وهى خمس أو ست وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم (غرقا) اغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الاجساد من أناملها واظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدى الغزاة أو أنفسهم تنزع القسى باغراق السهام والتى تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة و (يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و (الراجفة) الواقعة التى ترجف عندها الارض والجبال وهى النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون أى القيامة التى يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهى رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك (فان قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أى ترجف تابعتها الرادفة (فان قلت) كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى (قلت) المعنى لتبعثن فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أى يوم ترجف وجفت القلوب (واجفة) شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة (فان قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) كيف صح اضافة الابصار الى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون (فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت (فان قلت) ما حقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقته التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا اذا أثر الاكال فى أسناخها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أى الى طريقته وحالته الاولى قال

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى الصفقة وقرأ أبو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة فى أصل الكلمة بمعنى المحفورة * يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الأجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير و (اذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا

(بسم الله الرحمن الرحيم)
والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا

كما عظاما نردونبعث (كرة خاسرة) منسوبة الى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم * (فان قلت) بم تعلق قوله (فانما هى زجرة واحدة) (قلت) بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هى زجرة واحدة يعنى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة فى قدرته ماهى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية (فاذا هم) أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه * والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحى السراب مجللا * لأقطارها قد جبتها متلثما

أو لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم فى جهنم (اذهب) على ارادة القول وفى قراءة عبد الله أن اذهب لان فى النداء معنى القول * هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه (الى أن تزكى) الى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالادغام (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك فى جيبك أو أرادهما جميعا الا أنه جعلهما واحدة لان الثانية كأنها من جملة الاولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وأن الطاعة قد وجبت عليه (ثم أدبر يسعى) أى لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع فى مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة * وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والآخرة أنا ربكم الاعلى (نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهى قوله أنا ربكم الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكرى البعث يعنى (أأنتم) أصعب (خلقا) وانشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء (فان قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان كما استعير

كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها

الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولأنعامكم) لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى أنعامهم (الطامة) الداهية التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وفى أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر) بدل من اذا جاءت يعنى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه * وما فى (ما سعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أى لكل أحد يعنى أنها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذى عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد (فأما) جواب فاذا أى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك * والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان و (هى) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص فى جوفه (أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها أراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه (فيم أنت) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس * أى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور (الا عشية أو ضحاها) (فان قلت) كيف صحت اضافة الضحى الى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد (فان قلت) فهلا قيل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

(سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه

متاعا لكم ولأنعامكم
فاذا جاءت الطامة الكبرى
يوم يتذكر الانسان ما سعى
وبرزت الجحيم لمن يرى فأما
من طغى وآثر الحياة الدنيا
فان الجحيم هى المأوى وأما من
خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هى المأوى
يسألونك عن الساعة أيان
مرساها فيم أنت من ذكراها
الى ربك منتهاها انما أنت منذر
من يخشاها كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها
(بسم الله الرحمن الرحيم)
عبس وتولى

الكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح (أن جاءه) منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى أو وأعرض لذلك وقرئ آأن جاءه بهمزتين وبألف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمى في الشكاية مواجها له بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثوري رحمه الله أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء (وما يدريك) وأي شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكراك أي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني أنك طمعت في أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع الى اله موسى (تصدى) تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أي يلهيك شأن الصناديد (فان قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه أي مثلك خصوصا لا ينبغي له أن يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (انها تذكرة) أي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ (في صحف) صفة لتذكرة يعني أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء أو مرفوعة المقدار (مطهرة) منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها الا أيدي ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (بررة) أتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الانسان) دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و(ما أكفره) تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه * ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر (من أي شئ خلقه) من أي شئ حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشئ بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شئ فقدره تقديرا * نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريق الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره الميت اذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا (أنشره) انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية (ما أمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعني أن انسانا لم يخل من تقصير قط * ولما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم فيما

يحتاج

أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله
يزكى أو يذكر فتنفعه
الذكرى أما من استغنى فأنت له
تصدى وما عليك ألا يزكى وأما
من جاءك يسعى وهو يخشى
فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة
فمن شاء ذكره في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة
كرام بررة قتل الانسان
ما أكفره من أي شئ خلقه من
نطفة خلقه فقدره ثم السبيل
يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء
أنشره كلا لما يقض ما أمره

يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره (أنا صببنا الماء) يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما أني صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء * وشققنا من شق الارض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب * والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما * والقضب الرطبة والمقاضب أرضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو ابن معدي كرب

يمشي بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

* والأب المرعى لانه يؤب أي يؤم وينتجع والاب والام أخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب به والمكرع

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (فان قلت) فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الاب بعض ما أنبته الله للانسان متاعا له أو لانعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن * يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيأ * وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه (مسفرة) مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

(سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره اذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار (فان قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان

فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة
(بسم الله الرحمن الرحيم)
اذا الشمس كورت

اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أى عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب * والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما تكون عند اهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين * وأد يئد مقلوب من آد يؤد اذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (فان قلت) ما حملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله

ومنا الذى منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم توأد

(فان قلت) فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وانما قيل قتلت بناء على أن الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملى في صحيفته وعن عمر رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها

واذا النجوم انكدرت واذا
الجبال سيرت واذا العشار
عطلت واذا الوحوش حشرت
واذا البحار سجرت واذا
النفوس زوجت واذا الموؤدة
سئلت بأى ذنب قتلت واذا
الصحف نشرت واذا السماء
كشطت واذا الجحيم سعرت

غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه (فان قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل

قد أترك القرن مصفرا أنامله

وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى أو لا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه (الخنس) الرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله و(الجوارى) السيارة و(الكنس) الغيب من كنس الوحشى اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها عسعس الليل وسعسع اذا أدبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا أقبل ظلامه * (فان قلت) ما معنى تنفس الصبح (قلت) اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (انه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) اشارة الى الظرف المذكور أعنى عند ذى العرش على أنه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما بهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى اليه وغير ذلك (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أحد الاحرف الذواقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فان قلت) فان وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين وانما أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين

قوله المقانب كتب عليه المقنب ما بين الثلاثين الى الاربعين من الخيل والجمع مقانب جوهرة

وكتب على قوله قيل هى الدرارى الخمسة الخ قال ابن العميد الاتقانى نسخة المصنف فى ترتيب الدرارى الخمسة كما كتبت فى المتن وكان ينبغى أن يذكر على ترتيب أولا كهن بان يذكر زحل أولا لانه فى الفلك السابع ثم يذكر المشترى لانه فى الفلك السادس ثم المريخ لانه فى الفلك الخامس ثم الزهرة لانها فى الفلك الثالث ثم عطارد لانه فى الفلك الثانى وأيضا كان ينبغى ان لا يذكر بهرام بل يذكره بلفظ المريخ لان بهرام ليس بعربى لانه لم يجئ فى كلام العرب من غير الضاعف على فعلال سوى التهقار وهو الحجر والخزعال وهو الضلع اه كتبه المصحح

واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم

جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿ سورة انفطرت مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انفطرت) انشقت (فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذى بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغى والفجور أخوان * بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين * (فان قلت) ما معنى قوله (ما غرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن على رضى الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبنى قال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتنى ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعنى فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت * ما فى (ما شاء) مزيدة أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (قلت) لانها بيان لعدلك * (فان قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون فى أى معنى التعجب أى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك أى ركبك ما شاء من التراكيب يعنى تركيبا حسنا (كلا) ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وان عليكم لحافظين) تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها * وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة

وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفى نعيم

قوله وتشوير كتب عليه تشوير به أخجله اه كتبه المصحح

واطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها قال ماأشدها من آية على الغافلين (وماهم عنها بغائبين) كقوله وماهم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين ومايغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وماهم عنها بغائبين * يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فبإضمار يدانون لان الدين يدل عليه أو بإضمار اذكر ويجوز أن يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

(سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* التطفيف البخس في الكيل والوزن لان مايبخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يارسول الله وماخمس بخمس قال مانقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ماشئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا متفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار وعن أبي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين * لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك * والضمير في (كالوهم أو وزنوهم) ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا أعطوهم أخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو

وان الفجار لفي جحيم يصلونها
يوم الدين وماهم عنها بغائبين وما
أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك
مايوم الدين يوم لا تملك نفس
لنفس شيأ والامر يومئذ لله
(بسم الله الرحمن الرحيم)
ويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم أو وزنوهم

يدعدعون فيه لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك أى يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا (فان قلت) هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن) انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا (أنهم مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم (فان قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لانه مطروح كما روى تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فان قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن قوله (ران على قلوبهم) ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه في سجين (الارائك) الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا ومد أعينهم اليه من مناظر

قوله يدعدعون كتب عليه دعدع الجفنة ملأها اه كتبه مصححه

يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون

الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (نضرة النعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى فى وجوه الاغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع * الرحيق الشراب الخالص الذى لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الأكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها أرفع شراب فى الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم * و (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هى للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أى ينسبون المسلمين الى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم فى ذلك (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم * ثوبه وأثابه بمعنى اذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

وقرئ بادغام اللام فى الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

(سورة انشقت مكية وهى خمس وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

---

* حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم فى مثلها من سورتى التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أى اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة * أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت فى انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعنى وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشئ فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مدت مد الاديم العكاظى لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أى زيدت سعة وبسطة (وألقت ما فيها) ورمت بما فى جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (وأذنت لربها) فى القاء ما فى بطنها وتخليها * الكدح جهد النفس فى العمل والكد

تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

(بسم الله الرحمن الرحيم) اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت

فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى (كادح الى ربك) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير فى ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضى الله عنها هو أن يعرّف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يارسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله فى الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغلّ يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك * وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (فى أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعنى أنه كان فى الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون فى العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (ظنّ أن لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد

يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حورى أى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورنّ (انّ ربه كان به بصيرا) وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بدّ أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الأشدّ وأخيه الاسود بن عبد الأشدّ * الشفق الحمرة التى ترى فى المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامّة العلماء الا ما روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه فى احدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمى لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضمّ يقال وسقه فاتسق واستوسق قال

مستوسقات لو يجدن سائقا

ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (اذا اتسق) اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة * قرئ لتركبنّ على خطاب الانسان فى يا أيها الانسان ولتركبنّ بالضمّ على خطاب الجنس لانّ النداء للجنس ولتركبنّ بالكسر على خطاب النفس وليركبنّ بالياء على ليركبنّ الانسان * والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا (طبقا عن طبق) اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدّة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبنّ أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدّة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها (فان قلت) ما محلّ عن طبق (قلت) النصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا الطبق أو حال من الضمير فى لتركبنّ أى لتركبنّ طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه (لا يسجدون) لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة (الذين كفروا) اشارة الى المذكورين (بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (الا الذين آمنوا) استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

(سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* هى البروج الاثنا عشر وهى قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التى هى منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) يعنى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود مافى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ماذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على مايعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم السلام (فان قلت) أين جواب القسم (قلت) محذوف يدل عليه قوله (قتل أصحاب الاخدود) كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق أنواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الأخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه فى أخاقيق جرذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله فقال من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله (٢) رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر باخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى وقيل قال لها ماهى الا غميضة فصبرت وعن على رضى الله عنه أنهم حين اختلفوا فى أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس (٣) اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء (النار) بدل اشتمال من الأخدود (ذات الوقود) وصف لها

(بسم الله الرحمن الرحيم) والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود

قوله قرقور كعصفور السفينة أو الطويلة أو العظيمة كما فى القاموس (٢) وقوله بسم الله كتب عليه مكتوب فى نسخة بابار الله بحذف ألف الوصل من الاسم (٣) وقوله ذو نواس كتب عليه بفتح النون فى نسخة جار الله اه كتبه المصحح

بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم (اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى (عليها) على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه * ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز أن يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (وما نقموا منهم) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم قال ابن الرقيات

ما نقموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح * وذكر الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه * يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم * البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ البطش ويعيده يعنى يبطش بهم فى الدنيا وفى الآخرة أو دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا * وقرئ ذى العرش صفة لربك * وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله كما فى قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) أى تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه * والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشئ المحيط به * ومعنى الاضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أى بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد * وقرأ يحيى بن يعمر فى لوح واللوح الهواء يعنى اللوح فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درى لانه يدرؤه أى يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لانه يطرق الجنى أى يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها * (فان قلت) ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة

كلمة

اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ

(بسم الله الرحمن الرحيم) والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب

قوله عرفة كتب عليه بالجر والتنوين فى نسخة جار الله اهـ كتبه المصحح

كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم روى أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ماثم نوراً فجزع أبو طالب وقال أي شئ هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت (فان قلت) ما جواب القسم (قلت) (ان كل نفس لما عليها حافظ) لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شئ رقيبا وكان الله على كل شئ مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين * (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حفظاً أتبعه توصية الانسان بالنظر في أول أمره ونشأته الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره في عاقبته و(مم خلق) استفهام جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصاً (لقادر) لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير (يوم تبلى) منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب أو الاحليل أو الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق (فما له) فما للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ولا مانع يمنعه * سمي المطر رجعا كما سمي أوبا قال

ربا شماء لا يأوي لقلتها * الا السحاب والا الأوب والسبل

تسمية بمصدري رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء

كالرجع في المدجنة السارية * والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات (انه) الضمير للقرآن (فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقى ذهنه الى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه (انهم) يعني أهل مكة يعملون المكايد في ابطال أمر الله واطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتظار منهم (فمهل الكافرين) يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

ان كل نفس لما عليها حافظ
فلينظر الانسان مم خلق خلق من
ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب انه على رجعه لقادر
يوم تبلى السرائر فما له من قوة
ولا ناصر والسماء ذات الرجع
والارض ذات الصدع انه لقول
فصل وما هو بالهزل انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا
فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

(سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعانى التى هى الحاد فى أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم * ويجوز أن يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ على رضى الله عنه سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوى) أى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الافعى اذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه فى اغذيته وأدويته وفى أبواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى * وقرئ قدر بالتخفيف * أحوى صفة لغثاء أى (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورفيفه (غثاء أحوى) دريناً أسود ويجوز أن يكون احوى حالا من المرعى أى أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حوته * بشره الله باعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه (الا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة الى أن تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال الا ما شاء الله يعنى القلة والندرة كما روى أنه أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال الا ما شاء الله والغرض نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمى فيما أملك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شئ وهو من استعمال القلة فى معنى النفى وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (انه يعلم الجهر) يعنى أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم فى دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحى ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة * (فان قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع (قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا فى تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثانى أن يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ المكابين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (سيذكر) سيقبل التذكرة وينتفع بها (من يخشى) الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا

(بسم الله الرحمن الرحيم)
سبح اسم ربك الاعلى الذى
خلق فسوى والذى قدر
فهدى والذى أخرج المرعى
فجعله غثاء أحوى سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم
الجهر وما يخفى ونيسرك
لليسرى فذكر ان نفعت
الذكرى سيذكر من يخشى

منك

منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتحاماها (الأشقى) الكافر لأنه أشقى من الفاسق أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا * وقيل (ثم) لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (تزكى) تطهر من الشرك والمعاصى أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أى الصلوات الخمس نحو قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه أنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالى أن لا أجد فى كتابى غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أى أعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضى الله عنه ما الدنيا فى الآخرة الا كنفجة أرنب (هذا) اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى يعنى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل الى ما فى السورة كلها وروى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربى الأعلى وكان على وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائيل

(سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم قرئ * تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو فى التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية فى الحر كقوله وبين حميم آن * الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن فى هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود

(فان قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام الا من ضريع) وفى الحاقة ولا طعام الا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم

ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى

(بسم الله الرحمن الرحيم) هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع

(لايسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أنّ طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوّة والسمن في البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لانّ الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لانّ الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظلّ الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش انّ الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لايسمن فلا يخلوا اما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيردّ قولهم بنفي السمن والشبع واما أن يصدقوا فيكون المعنى أنّ طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أدّاهم اليه من الكرامة والثواب (عالية) من علوّ المكان أو المقدار (لاتسمع) يا مخاطب أو الوجوه (لاغية) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم * وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوّله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوّة لهم من رفع الشئ اذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدّة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدّروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند الى أخرى (وزرابىّ) وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية ٢ (مبثوثة) مبسوطة أو مفرّقة في المجالس (أفلا ينظرون الى الابل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدّر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرّها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وعن بعض الحكماء أنه حدّث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البرّ صبرها على احتمال العطش حتى انّ أظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شئ نابت في البرارى والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر الى الابل كيف خلقت * (فان قلت) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (قلت) قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أنّ الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد أنّ الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في أشعارهم فجوّز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد و(كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل ولا تزول و(كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى مهاد للمتقلب عليها * وقرأ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطّحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدّوا للقائه * أى لا ينظرون فذكرهم ولا تلحّ عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون (انما أنت مذكر) كقوله ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على أنّ سيطر متعدّ عندهم وقولهم تسيطر يدلّ عليه (الا من تولى) استثناء منقطع أى لست بمستول عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فانّ لله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الأكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ ألا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فانه

لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر

قوله مسورة كتب عليه قال في ديوان الادب المسورة المتكأ من أدم لأن الجالس يسور عليها أي يعلو ويشرف على غيره (٢) وقوله زربية كتب عليه بكسر الزاي في نسخة المصنف وكذلك في الجمهرة المقروءة على السيرافي اهـ وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط أو كل ما بسط واتكئ عليه الواحد زربي بالكسر ويضم اهـ كتبه المصحح

بعذبه * وقرأ أبو جعفر المدنى ايابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيب فيعل من الاياب أو أن يكون أصله اوابا فعالا من أوب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم فعل به مافعل بأصل سيد وميت (فان قلت) مامعنى تقديم الظرف (قلت) معناه التشديد فى الوعيد وأن ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

(سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر * وأراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة (فان قلت) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فان قلت) فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالغاز والتعمية * وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع أيامها وذاك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك وقد أكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه * وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم (اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس * وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن أبى عمرو * وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال أيام عشر وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) يريد هل يحق عنده أن تعظم بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبلها ارما

فارم فى قوله (بعاد ارم) عطف بيان لعاد وايذان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعنى بعاد أهل أعلام ذات العماد و(ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعاد أرم ذات العماد أى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على

ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم
(بسم الله الرحمن الرحيم)
والفجر وليال عشر والشفع
والوتر والليل اذا يسر هل فى
ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف
فعل ربك بعاد ارم ذات العماد

مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (لم يخلق مثلها) مثل عاد (في البلاد) عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها أي لم يخلق الله مثلها (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة * قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا أو لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية (الذين طغوا) أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون * يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا أتى على هذه الآية قال ان عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها * المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة ٢ حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان ٣ عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعده بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الاهواء والبدع باحتجاجه * (فان قلت) بم اتصل قوله (فأما الانسان) (قلت) بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فأما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها * (فان قلت) فكيف توازن قوله فأما الانسان (اذا ما ابتلاه ربه) وقوله وأما اذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما تقول أما الانسان فكفور وأما الملك فشكور أما اذا أحسنت الى زيد فهو محسن اليك وأما اذا أسأت اليه فهو مسيء اليك (قلت) هما متوازنان من حيث ان التقدير وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله (فيقول ربي أكرمن) خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره (فان قلت) كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء (قلت) لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فان قلت) هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (قلت) لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني اذا لم يهد لك (فان قلت) فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (قلت) فيه جوابان أحدهما أنه انما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده الى أن الله أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله انما أوتيته على علم عندي وانما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها والثاني أن ينساق الانكار والذم الى قوله ربي أهانن يعني أنه اذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فأكرمه * وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج

التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن

قوله يترتب كتب عليه بالتاء في نسخة المصنف لا بالقاف اه
(٢) وقوله عند بعض الظلمة في نسخ عند المنصور (٣) وقوله يا فلان في النسخ المتقدمة يا أبا جعفر كتبه مصححه

مكتفيا منها بالكسرة (كلا) ردع للانسان عن قوله * ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الانعام ويحبونه فيشحون به * وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء * وقرئ تحاضون أى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم * ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة * ويومئذ بدل من (اذا دكت الارض) وعامل النصب فيهما يتذكر (دكا دكا) دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا * (فان قلت) ما معنى اسناد المجىء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان فى جهة (قلت) هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (صفا صفا) ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجىء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وروى أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضى الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على له كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع * أى يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض (قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان فى أيديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب أهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر * قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبى عمرو أنه رجع اليها فى آخر عمره * والضمير للانسان الموصوف وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (يا أيتها النفس) على ارادة القول أى يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس اما أن يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك و(المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة (فان قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى وقرأ ابن عباس فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى وقرأ أبى ائتى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام

كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى

قوله عن بكرة أبيهم كتب عليه وفى المثل جاؤا على بكرة أبيهم هى الانثى من أولاد الابل قيل أن تبزل وأصله أن قوما قتلوا وحملوا على بكرة أبيهم فقيل ذلك ثم صار مثلا لقوم جاؤا مجتمعين وقيل هى بكرة البئر والمعنى انهم تتابعوا فى المجىء تتابع دورانها وقيل البكرة الجماعة من الناس يقال جاؤا على بكرتهم وعلى بكرة أبيهم أى مع جماعتهم وقيل هو ذم ووصف بالقلة والذلة أى تكفيهم للركوب بكرة واحدة وذكر الاب احتقار وتصغير لشأنهم كذا فى المستقصى اه كتبه المصحح

كانت له نورا يوم القيامة

(سورة البلد مكية وهى عشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعنى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعنى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (فان قلت) أين نظير قوله وأنت حل فى معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع فى كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو فى كلام الله أوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح * (فان قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذى هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل وبمن ولده وبه (فان قلت) لم نكر (قلت) للابهام المستقل بالمدح والتعجب (فان قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) فيه ما فى قوله والله أعلم بما وضعت أى بأى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد * والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده اذا أصاب كبده قال لبيد

يا عين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى فى شدة الامر وصعوبة الخطب * والضمير فى (أيحسب) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه * ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعنى أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للانسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج برئ فهو حقيق بأن أعظمه بقسمى به لقد خلقنا الانسان فى كبد أى فى مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة * لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر

مقيس كمنبر وبعد القاف مثناة تحتية وصبابة بكذابة وأوله صاد مهملة كما صرح به فى المواهب وشرحه اه

(بسم الله الرحمن الرحيم) لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين

وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية (فان قلت) قلما تقع لا الداخلة على الماضى الا مكررة ونحو قوله فأى أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح (قلت) هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن * والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان * وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الاعمال وعن أبي حنيفة رضي الله عنه ان العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار * قرئ فك رقبة أو اطعام على هي فك رقبة أو اطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض ومعناه أنك لم تدرك كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله * والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أى صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه أو اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المتقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به * والمرحمة الرحمة أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدى الى رحمة الله * الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن * قرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى أن أسد أذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ضحاها ضوؤها اذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب أن ينتصف (اذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور (اذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وان لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق * (فان قلت) الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت

فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها

قوله سورة الشمس في النسخ بغير واو وكذا حديثها كما تقدم في النجم وما يأتي في السور بعد بالواو وكذا الاحاديث اه كتبه المصحح

الواو قائمة مقام الفعل والباء سادّة مسدّهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحقهن أن يكنّ عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما * جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدّي اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سوّاها وفي كلامهم سبحان ما سخركنّ لنا * (فان قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس * ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه (فان قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء * الباء في (بطغواها) مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر (اذ انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و(أشقاها) قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم * والضمير في (لهم) يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و(ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبيّ الصبيّ باضمار ذروا أو احذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فدمدم عليهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسوّاها) الضمير للدمدمة أي فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسوّاها بالارض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشأم فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء * وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم

الله

والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ولا يخاف عقباها

(بسم الله الرحمن الرحيم) والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى

الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر أو انثى وان كان مشكلا عندنا (شتى) جمع شتيت أى ان مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره (أعطى) يعنى حقوق ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيؤه لها من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الامور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (واستغنى) وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه فى مقابلة واتقى (فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار أى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل نزلتا فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبى سفيان بن حرب (وما يغنى عنه) استفهام فى معنى الانكار أو نفى (تردى) تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (ان علينا للهدى) ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) أى ثواب الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين * وقرأ أبو الزبير تتلظى * (فان قلت) كيف قال (لا يصلاها الا الاشقى * وسيجنبها الاتقى) وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يجنبها لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة (قلت) الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضى الله عنه (يتزكى) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فان قلت) ما محل يتزكى (قلت) هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أى ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما فى الدار أحد الا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار أحد الا حمار وأنشد فى اللغتين قول بشر بن أبى خازم

أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها * الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

(سورة والضحى مكية وهى احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل

ان سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
والضحى والليل اذا سجى

ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ماودعك) جواب القسم ومعناه ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ماتركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روى أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك الاقد تركك فنزلت * حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف * (فان قلت) كيف اتصل قوله (وللآخرة خير لك من الاولى) بما قبله (قلت) لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فان قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لانا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وأن يكون أصله ولانت سوف يعطيك (فان قلت) ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة * عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين أوى هذه الموقسة ٢ واما من أوى له اذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشأم حين خرج به أبو طالب * فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما ٣ (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني * النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره ٤ وقيل أما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره * التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء

ماودعك ربك وماقلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث

قوله من الفلج كتب عليه فلج الرجل على خصمه اذا ظهر والمصدر الفلج كذا في الجمهرة اه (٢) وقوله الموقسة كتب عليه الموقسة الابل الجربي من الوقس وهو ابتداء الجرب قال الوقس يعدي فتعد الوقسا من يدن للوقس يلاق تعسا وفي التهذيب الموقسة بالتشديد وكتب أيضا قال الزمخشري قال الازهري سمعت أعرابيا فصيحا من بني نمير يرعى ابلا جربا فلما أراحها بالعشي نحاها عن الصحاح ونادى عريف الحي فقال الى أين أوى هذه الموقسة ومنه قوله عليه السلام للانصار أبايعكم على أن تأووني وتنصروني من الفائق (٣) وقوله وعديما أي وقرئ عديما كما صرح به أبو السعود (٤) وقوله تزبره أي تزجره اه كتبه المصحح

وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدّث اقرأه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان اذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدّث وأنتم تقولون لا تحدّث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه الا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبّر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدّث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

(سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا

* استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح وايجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها * والوزر الذي أنقض ظهره أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوّة أو من جهله بالاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام أولي العناد من قومه وتلهفه * ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك * ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاوّلين والاخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فان قلت) أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه (قلت) في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك * (فان قلت) كيف تعلق قوله (فان مع العسر يسرا) بما قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا (فان قلت) انّ مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرّب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب (فان قلت) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأنّ موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الاولى عدة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لانّ حكمه حكم زيد في قولك انّ مع زيد مالا انّ مع زيد مالا واما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد

فهو هو أيضا وأما اليسر فنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال (فان قلت) فما المراد باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ماتيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب (فان قلت) فما معنى هذا التنكير (قلت) التفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فان قلت) فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه قصد باليسرين مافي قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة (فان قلت) فكيف تعلق قوله (فاذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ماروى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أي رغب الناس الى طلب ماعنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

(سورة والتين مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بهما لانهما عجيبان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال مابين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشأم لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون * وأضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب * والبلد مكة حماها الله * والامين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين مايؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وماظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه * ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل

فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
(بسم الله الرحمن الرحيم)
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين

قوله ونحو سينون هو كذلك في جميع النسخ وعبارة أبي السعود وسينون كبيرون ولا غبار عليها اهـ مصححه

في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فان قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع بمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم * (فان قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء * والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك أيها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم * محل (باسم ربك) النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فان قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الانسان) (قلت) هو على وجهين اما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما أن يقدر ويراد خالق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته * (فان قلت) لم قال (من علق) على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر (الاكرم) الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

ورواقم رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين و (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك

(الرجعى) واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك (أرأيت الذى ينهى) وروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروى عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذى يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بينى وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذى ينهى ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فان قلت) ما متعلق أرأيت (قلت) الذى ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين (فان قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثانى (فان قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح في قولك ان أكرمتنى أتكرمنى وان أحسن اليك زيد هل تحسن اليه (فان قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولى أرأيت (قلت) هى زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لابى جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة قال عمرو بن معدى كرب

قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعا وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هى ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم * ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ * والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون والمراد أهل النادى كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال أذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت * وقرأ ابن أبى عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسى وأصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لا تطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

(سورة القدر مختلف فيها وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة

قوله ان أكرمتنى كذا عليه نسخة الاصل ووقعت ان أكرمتنى وكأنه سهو القلم وصوابه ان أكرمتك اه وهو كذلك في بعض النسخ اه كتبه المصحح

الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب (بسم الله الرحمن الرحيم) انا أنزلناه في ليلة القدر

ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى أنا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها * ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالى (وما أدراك ما ليلة القدر) يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها * ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد (تنزل) الى السماء الدنيا وقيل الى الارض (والروح) جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة (من كل أمر) أى تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (سلام هى) ما هى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين * وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

(سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعنى أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره فى الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما * وانفكاك الشىء من الشىء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجىء البينة و(البينة) ٢ الحجة الواضحة و (رسول) بدل من البينة وفى قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل * والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند (فان قلت) لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب فى قوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) (قلت) لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفى ولكنهم حرفوا وبدلوا (وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة (فان قلت) ما وجه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله (قلت) معناه وما أمروا بما فى الكتابين الا لاجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا * قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل * وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب فى جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه

(٢) قوله والبينة الحجة الى قوله قيمة فى نسخة بدله والبينة القرآن أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ورسول من الله جبريل صلوات الله عليه وهو التالى للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحى ويجوز أن يراد النبى عليه السلام فان قلت كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو أمى قلت اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها اه

(سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(زلزالها) قرئ بكسر الزاى وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (فان قلت) مامعنى زلزالها بالاضافة (قلت) معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقى اكرامه وأهن الفاسق اهانته تريد مايستوجبانه من الاكرام والاهانة أو زلزالها كله وجميع ماهو ممكن منه * الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل مافى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون * (فان قلت) مامعنى تحديث الارض والايحاء لها (قلت) هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال مايقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وأن هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها * (فان قلت) اذا ويومئذ ماناصبهما (قلت) يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث (فان قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) قد حذف أولهما والثانى أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها الا أن المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم * (فان قلت) بم تعلقت الباء فى قوله (بأن ربك) (قلت) بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتنى كل نصيحة بان نصحتنى فى الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا وأوحى لها بمعنى أوحى اليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال أوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف * يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار * ليروا جزاء أعمالهم وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح * وقرأ ابن عباس وزيد بن على يره بالضم ويحكى أن اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق

* والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر مايرى فى شعاع الشمس من الهباء (فان قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

(سورة والعاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح * والضبح صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات (فالموريات) تورى نار الحباحب [٢] وهى ماينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها

(بسم الله الرحمن الرحيم)
اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

(بسم الله الرحمن الرحيم)
والعاديات ضبحا فالموريات قدحا

(٢) قوله الحباحب فى الصحاح الحباحب اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فضربوا به المثل حتى قالوا نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها اهـ كتبه المصحح

يجوا فرهما الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) في وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام مالم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق أي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار أو قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ماقلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لأول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثورة وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة (فان قلت) علام عطف فأثرن (قلت) على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن * الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند أباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان أجل ما أنعم به على الانسان من مثله نعمة أبويه ثم ان أعظمها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (بعثر) بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف * ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل * ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لان ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

(سورة القارعة مكية وهي عشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره * وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف * الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان * وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر رضي

قوله والثفر بالمثلثة والفاء والثورة تأنيث الثور ويشير اليه الاخطل قال في الصحاح الثفر للسباع وكل ذات مخلب بمنزلة الحياء من الناقة وربما استعير لغيرها قال الاخطل

جزى الله فيها الاعورين ملامة
وفروة ثفر الثورة المتضاجم

وفروة اسم رجل ونصب الثفر على البدل منه وهو لقبه كقولك عبد الله قفة وانما خفض المتضاجم وهو من صفة الثفر على الجوار كقولك جحر ضب خرب والمتضاجم المعوج الفم اه كتبه المصحح

فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير

(بسم الله الرحمن الرحيم) القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية

الله عنهما فى وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا الحسنات أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤب

فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا أى فأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التى دل عليها قوله فأمه هاوية فى التفسير الاول أو ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

(سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله و(التكاثر) التبارى فى الكثرة والتباهى بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات * عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذى هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم فى طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا * ذاق الضماد أو يزور القبرا

وقال

زار القبور أبو مالك * فأصبح ألأم زوارها

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم * والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم و(ثم) دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ من الاول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم * ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة (فان قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد (قلت) ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين * وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والابصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه (فان قلت) ما النعيم الذى يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من أحد الا وله نعيم

وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية

(بسم الله الرحمن الرحيم) ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

قوله وأقهاه لم يذكر فى القاموس ولا فى الصحاح من معانيه الشغل وكتب عليه فى بعض النسخ وجد بخط المصنف مضروب على أقهاه اه كتبه مصححه

(قلت) هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الاجر كأنما قرأ ألف آية

(سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولان التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب * والانسان للجنس * والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال

وان أغيب فأنت الهامز اللمزة * وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذي) بدل من كل أو نصب على الذم * وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر * وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدّه على فك الادغام نحو ضننوا (أخلده) وخلده بمعنى أي طوّل المال أمله ومناه الاماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروى أنه كان للاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في ألوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعها لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه * وقرئ لينبذان أي هو وماله ولينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره ولينبذنه (في الحطمة) في النار التي من شأنها أن تحطم كل

(بسم الله الرحمن الرحيم)
والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

(بسم الله الرحمن الرحيم)
ويل لكل همزة لمزة الذي جمع
مالا وعدده يحسب أن ماله
أخلده كلا لينبذن في الحطمة

ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة * يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شئ في بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها (مؤصدة) مطبقة قال

تحن الى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

* وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز أن يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

(سورة الفيل مكية وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* روى أن أبرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ٢ وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره ٣ وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
يا رب لا أرجو لهم سواكا * يا رب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ٤ ولا تهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر * قرئ ألم تر بسكون الراء للجد في اظهار أثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و(كيف) في موضع نصب

بفعل

وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة

(بسم الله الرحمن الرحيم) ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

(٢) قوله ودوى أي مرض
وقوله بأربعين سنة الخ كذا في جميع النسخ وحذفها أبو السعود ولعله متعلق بمحذوف يعلم من المقام (٣) وقوله فجهره في القاموس جهر الرجل عظم في عينه وراعه جماله كاجهره اه
(٤) وقوله بنجدية في أبي السعود بتهامية كتبه المصحح

بفعل ربك لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام (في تضليل) في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أي ضيعه يعني أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم (أبابيل) حزائق الواحدة ابالة وفي أمثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها * وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أي الله تعالى أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى * وسجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان اعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه * وشبهوا بورق الزرع اذا أكل أي وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

* (سورة قريش مكية وهي أربع آيات) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لايلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين (فان قلت) فلم دخلت الفاء (قلت) لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان أولفه ايلافا اذا ألفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الزهو غير الاوارك وقرئ لئلاف قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا وقرأ أبو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف * وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد * أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام * وأراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها * والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف

ألم يجعل كيدهم في تضليل
وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم
بحجارة من سجيل فجعلهم
كعصف مأكول
(بسم الله الرحمن الرحيم)
لايلاف قريش ايلافهم رحلة
الشتاء والصيف فليعبدوا رب
هذا البيت الذي أطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف

في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف
الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف
من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة لايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

(سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي
سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع * ردّ في الضرع ما قرى في العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ والمعنى هل عرفت الذي
يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا
عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يترك ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله
على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني أنه لو آمن
بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام
وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة
عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كأنه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون
عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب
وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى
الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي
هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة
وقنطرة الاسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه
الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على
صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن
يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي اذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى
فويل لهم الا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف اليهم ساهين عن الصلاة
مرائين غير مزكين أموالهم (فان قلت) كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (قلت)
معناه الجمع لأن المراد به الجنس (فان قلت) أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم (قلت)
معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين
ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم
وعن أنس رضي الله عنه الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فان قلت) ما معنى
المراآة (قلت) هي مفاعلة من الاراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به
ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله
عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب
اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان أظهره قاصدا
للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء أن يقصد بالاظهار أن تراه الاعين فيثني عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى
رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لأنه

(بسم الله الرحمن الرحيم)
أرأيت الذي يكذب بالدين
فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض
على طعام المسكين فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤن

يوهم

توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود (الماعون) الزكاة قال الراعى

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

وعن ابن مسعود ما يتعاور فى العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

(سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنطيناك بالنون وفى حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة * والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر نهر فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لابره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير * والنحر نحر البدن وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك ومعطى ذلك كله أنا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذى أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم فى النحر للاوثان (ان) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم (هو الابتر) لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وانما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت فى العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذى لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذى لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر أو يقربونه

(سورة الكافرين مكية وهى ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان من النفاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد) أريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل

قوله الثبجة فى القاموس الثبجة محركة المتوسطة بين الخيار والرذال وقوله صنبور ذكر فى القاموس من معانيه الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر اه كتبه المصحح

ويمنعون الماعون
(بسم الله الرحمن الرحيم)
انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
(بسم الله الرحمن الرحيم)
قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

الا على مضارع فى معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل فى لن ان أصله لا أن والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته (فان قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت (فان قلت) فلم جاء على ما دون من (قلت) لان المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى والمعنى أنى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذ لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

(سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة روى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع * (فان قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام (فى دين الله) فى ملة الاسلام التى لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (أفواجا) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى الاسلام أفواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فان قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب اما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أى فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد من ان يغلب أحد على أهل الحرم واحمده على صنعه أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له روت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة فى نفسه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك

ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين (بسم الله الرحمن الرحيم) اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره

قوله نفس ربكم كتب عليه نفس الانسان بالسكون ونفره ونفرته ونفره وناصره فالمعنى ربك ونفرته ونصره وقطع الذين ينصرونه اه وفى تمعن الله من ربكم اه كتبه المصحح

ياعم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضى الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفى أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا أراه سألهم الا من أجلى فقال بعضهم أمر الله نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونى عليه بعد ما ترون وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان توابا) أى كان فى الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

(سورة تبت خمس آيات وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أى هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

جزانى جزاه الله شر جزائه ❊ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فان قلت) لم كناه والتكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية ابن أبو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله بجرة الدال لا يعرف الا كذا والثانى أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة فى وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ أبى لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم (ما أغنى) استفهام فى معنى الانكار ومحله النصب أو نفى (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى رأس المال والارباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى أن بنى أبى لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عنى الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيده فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذى ظن أنه منه على شئ كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى) قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا

انه كان توابا
(بسم الله الرحمن الرحيم)
تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب

قوله ذا سابياء ذكر فى القاموس من معانى السابياء المال الكثير والنتاج والابل النتاج والغنم التى تنسلها اه كتبه المصحح

والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورّث الشرّ قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحيّ بالحطر الرطب

جعله رطبا ليدلّ على التدخين الذي هو زيادة في الشرّ ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته و (في جيدها) في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحبّ هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته بالتصغير * المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلدا أو غيرهما قال ومسد أمرّ من أيانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل ابن العباس ابن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي * أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجد غرّتها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

(سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هو) ضمير الشأن و (الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له (فإن قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فإن قلت) فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبيّ هو الله أحد بغير قل وفي قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين و (الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنيّ عنهم (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دلّ على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم * ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الأشياء وفاطرها وفي طيّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا

على

وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

على غاية الاحكام والاتساق والانتظام وفى ذلك وصفه بأنه حى سميع بصير وقوله أحد وصف بالواحدانية ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به (فان قلت) الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام انما سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شئ وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فان قلت) لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها (قلت) لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبى وأنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد يعنى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

(سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالى أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ما خلق) من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله فى الموات من أنواع الضرر كالاحراق فى النار والقتل فى السم * والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما * ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفى الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعنى صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه (النفاثات) النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شئ ضار أو سقيه أو اشمامه أو مباشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد

المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذى يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤن به (فان قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك والثانى أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (اذا حسد) اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله فى وقت حسده واظهاره أثره (فان قلت) قوله من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر (فان قلت) فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين وقال أبو تمام

وما حاسد فى المكرمات بحاسد

وقال

ان العلا حسن فى مثلها الحسد

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى كلها

(سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة * (فان قلت) لم قيل (برب الناس) مضافا اليهم خاصة (قلت) لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالى اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى أمرهم * (فان قلت) (ملك الناس اله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبى حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فان قلت) فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (قلت) لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى و (الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى فاذا غفل وسوس اليه (الذى يوسوس) يجوز فى محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما أحقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك

وثبت

ومن شر حاسد اذا حسد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

ونبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسى كقوله يوم
يدع الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان
حق الله عز وجل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ
سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان * قال عبد الله الفقير
اليه وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة * وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة * من كل
ما يكلم الدين * ويثلم اليقين * أو يعود فى العاقبة بالندم * أو يقدح فى الايمان المسوط باللحم والدم * وأسأله
بخضوع العنق وخشوع البصر * ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر * مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة
فى الاسلام * متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام * وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى * ومرابطتى
بمكة ومصابرتى * على تواكل من القوى * وتخاذل من الخطا * ثم أسأله بحق صراطه المستقيم * وقرآنه
المجيد الكريم * وبما لقيت من كدح اليمين * وعرق الجبين * فى عمل الكشاف عن حقائقه * المخلص عن
مضايقه * المطلع على غوامضه * المثبت فى مداحضه * الملخص لنكته ولطائف نظمه * المنقر عن فقره وجواهر
علمه * المكتنز بالفوائد المفتنة التى لا توجد الا فيه * المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه * مع الايجاز
الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المملول * ولو لم يكن فى مضمونه * الا ايراد كل شئ على قانونه * لكفى به
ضالة ينشدها محققة الاحبار * وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار * وبما شرفنى به ومجدنى * واختصنى
بكرامته وتوحدنى * من ارتفاعه على يدى فى مهبط بشاراته ونذره * ومتنزل آياته وسوره * من البلد
الامين بين ظهرانى الحرم * وبين يدى البيت المحرم * حتى وقع التاويل * حيث وجد التنزيل * أن يهب لى
خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى يوم التناد * ولا يفضحنى بها على رؤس الاشهاد *
ويحلنى دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نوله * انه الجواد الكريم * الرؤف الرحيم

(فى نسخة مانصه)

فى أصل المصنف بخطه رحمه الله وهذه النسخة هى نسخة الاصل الاولى التى نقلت من السواد وهى أم
الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها فى السنة الشهباء
فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة فى جناح داره السليمانية التى على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة
ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر فى عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله على
ما هو كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين

تم

* (قال الاستاذ الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقى حفظه الله آمين) *

الحمد لله الذى بنعمه تتمّ الصالحات والصلاة والسلام على صاحب المعجزات وبعد فقد تمّ طبع تفسير امام الائمة وهادى هداة هذه الأمة أبى القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى من هو بأحاسن النعوت حرى صاحب التنا ليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة فهو الامام الكبير فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى والبيان وغيرها بلا ممانى كان امام عصره من غير مدافع تشدّ اليه الرحال من كل مكان شاسع أخذ الأدب عن شيخه منصور أبى مضر وصنف التصانيف البديعة الغرر منها هذا الكتاب فى تفسير القرآن ولم يدرك شأوه فيه انسان والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب فى العربية والفائق فى تفسير الحديث ولم ير مثله فى القديم ولا فى الحديث وأساس البلاغة فى اللغة ولم يبلغ كتاب قبله فى التمييز مبلغه وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه أسامى الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض والمفصل فى النحو وهو كتاب كبير وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج فى علم العربية والمفرد والمؤلف فى المسائل النحوية ورؤس المسائل الفقهية والمستقصى فى الامثال العربية والبدور السافرة فى الامثال السائرة والكتاب الجليل المسمى بديوان التمثيل وشقائق النعمان فى حقائق النعمان وشافى العىّ من كلام الشافعى والقسطاس فى العروض ومعجم الحدود والمنهاج فى الاصول ومقدمة الأدب فى اللغة وديوان الرسائل . وديوان الشعر والرسائل الناصحة والأمالى الواضحة فى كل فنّ وغير ذلك وكان شروعه فى تأليف المفصل فى غرّة شهر رمضان سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه فى غرّة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أنّ احدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشى فى جارن من خشب واختلف فى سبب سقوطها فقيل انه كان فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظنّ من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر فى الاطراف فى تلك البلاد فتسقط به خصوصا خوارزم فانها فى غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه وقيل انّ الزمخشرى لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أنى كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجل الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سنّ الطلب رحلت الى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت علىّ عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فردّ جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان فى العام الثانى كتب اليه أيضا مع الحاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال فى آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل وله فى ذلك الأجر الجزيل فكتب اليه الزمخشرى مالم يكن له فى حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ما مثلى مع أعلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والا كام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الاشبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلى فيه أقلص من ظلّ حصاة أمّا الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا الى أعلام مشاهير وأمّا الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبلّ شفاها ولا يغرّنكم قول فلان فىّ وفلان وعدّ جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولو سردناها اطال الحال ثم قال فانّ ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه وجهل بالباطن المشوّه ولعلّ الذى غرّهم منى ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وايصال الشفقة الى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وافاضة المبارّ والصنائع

عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتي والاعراض عما لا يعنيني جللت في عيونهم وغلطوا فيّ ونسبوني الى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصريّ رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي واطلعته طلع أمري وأفضيت اليه بخبية سرّي وألقيت اليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأمّا المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابيّ فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير في شرّ ورد ولم يلم بها ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرّح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازه بعد ذلك أولا ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعانيّ في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزميّ املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشريّ لنفسه بخوارزم

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطبينّ النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذ غازلته قرب روضة * الى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له اني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر المذكور أوّلا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدرّ الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

ومما أنشده لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة انّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يا من يرى مدّ البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاوّل

وقيل انّ الزمخشريّ أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات

(ومن كلامه رضي الله عنه)

زمان كل حبّ فيه خبّ * وطعم الخل خلّ لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ومن كلامه)

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي * من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحلّ عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها * أحلى من الدوكاه والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقري لألقي الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

(ومن كلامه)

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلم
فان حنفيا قلت قالوا بانني * أبيح الطلا وهو الشراب المحرّم

وان مالكيا قلت قالوا بأننى * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وان شافعيا قلت قالوا بأننى * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبليا قلت قالوا بأننى * ثقيل حلولى بغيض مجسم
وان قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدرى ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرنى دهرى وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أننى * أنا الميم والايام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشرى يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانيه خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاى والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانيه بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها جرجانيه وهى على شاطئ جيحون ولما تهيأ للتمام ولبس وشاح الختام أرخته فقلت

أرياض تزهو بحلة حسن * أم زهور تفتحت بعد هتن
أم سفين من عسجد فى عباب * من لجين به المثانى تغنى
أم سماء بها الكواكب تزهو * زاهرات على المهيمن تثنى
أم شحارير روضة قد أجابت * ذات طوق تنوح من فوق غصن
أم غصون تمايست فى نسيم * علمتها القدود حسن التثنى
أم صفوف من البنفسج جادت * وسقاها الربيع صيب مزن
أم خطوط من الشطائب جلت * فى صفاح السيوف تزهو بعتن
أم سطور الديباج فوق طروس * من لجين عن الكواكب تغنى
أم كتاب الكشاف كنز المعانى * وبديع البيان من غير طعن
بمعان تكاد أستغفر الله تحكى التنزيل فى رفع شأن
للامام الاجل أهدى البرايا * لذة اللب الآى ظهر البطن
أوحد المحرزين فضلا وقدرا * وفريد الأنام فى كل فن
وهو محمود الذى قد تباهت * بعلاه زمخشر فى المدن
فهو كنز التفسير من غير شك * وسواه المفتاح فى حدظنى
قدر الله طبعه لذكى * ذى مزايا قد حاز دقة ذهن
جامعا منه كل ما صح خطا * وخلا من ردى سقط ولحن
قلت لما تكامل الحسن فيه * وكساه الاتقان حلة حسن
اشكر الله يا حسين وأرخ * تم طبع الكشاف فى سلك حسنى
١٢٨ ١١٠ ٩٠ ٤٣٣ ٨١ ٤٤٠
سنة ١٢٨١

يقول مصحح دار الطباعة المصرية * التي ببولاق مصر المعزية * المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ * الفقير
الى الله سبحانه محمد الصباغ * أحسن ملفوظ به أمام كل كلام * وأفضل ما افتخر به كل امام * حمد الله سبحانه
بما يحمد به في تنزيله الكريم * وفرقانه العظيم * من جواهر صيغه المحلاة باسمه لا على جهة الايضاح والتفصلة *
ولا على سبيل الابانة والتفرقة * اذ ليس جل بالمشارك * في اسمه المبارك * رب السموات والارض وما بينهما
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا * وانما هي تماجيد لذاته الموجدة لجميع الكائنات ايجادا سويا *
وأحرى ما تلى به حمده الصلاة والسلام على أفضل خلقه المستل من سلالة عدنان * المفضل باللسان والقرآن *
الذي اجتمع فيه أعلى الفصاحة والبيان * وعلى آله وصحابته ذوي العرفان * هذا ولما أنزل الله سبحانه كتابه
مختصا من بين الكتب الجليلة * بصفة الاعجاز والبلاغة التي تقطعت عليها أعناق العتاق السبق الجميلة *
وونت عنها خطا الجياد * وصدرت بالاسداد * كان الموفق من العلماء الاعلام * أنصار ملة الاسلام * الذابين
عن بيضة الحنيفية البيضاء * المبرهنين على ما كان من العرب العرباء * حين تحدوا به من الاعراض عن
المعارضة بأسلات ألسنتهم * والفزع الى المقارعة بأسنة أسلهم * من كانت مطامح نظره * ومطارح فكره *
الجهات التي توصل الى تبين مراسم البلغاء * والعثور على مناظم الفصحاء * والمخايرة بين متداولات
ألفاظهم * ومتعاورات أقوالهم * والمعايرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا * وما انتفوا عنه فلم يتقبلوا * والنظر
فيما كان الناظر فيه على سبيل الاعجاز أوقف * وبأسراره ولطائفه أعرف * حتى يكون صدر يقينه أثلج *
وسهم احتجاجه أفلج * وحتى يقال هو من علم البيان حظي * وفهمه فيه جاحظي * والى هذا الصواب *
والمنهل العذب المستطاب * ذهب خير امام * وأفضل همام * العلامة أبو القاسم جار الله * فخر خوارزم
محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه ورضاه * فصنف في ذلك أبدع تصنيف * وأعجب تأليف * وأجل كتاب
لم تزل نعام القلوب اليه زفافة * ورياح الآمال حوله هفافة * وعيون الافاضل نحوه روامق * وألسنتهم
بتمنيه نواطق * لما أودع فيه من رموز المعاني والبيان * وكنوز الكشف والتبيان * وأسرار الكتاب الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * بأسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه * ونكات بديعة *
واستنباطات رفيعة * وأفهام ثاقبة * واستظهارات صائبة * وعبارة يحتزأ فصاحتها سحبان * ويطرح لبلاغتها
قس في زوايا النسيان * ولعمري ان اسمه طابق مسماه * ووافق مدلوله ومعناه * كما يعرف ذلك الناقد البصير *
ولا ينبئك مثل خبير * فكان تحصيله بل الاطلاع عليه من أجل نعمة يشكرها الشاكرون * وأنفس ما يتنافس
فيه المتنافسون * فأتاح الله سبحانه له من أحيا بطبعه معالمه ورسومه * بعدما كادت تمحي صروف الدهر
علومه * فحرك من همته العلية * ما به تدوم المآثر بهية * فجلب اليه من خزائن الملوك أسفارا * تضيء
طروسها وسطورها أنوارا * منها ما قوبل على خط مؤلفه * ومنها ما كتب عليه الثقة بمعرفته * وفيما كتبنا
بالهامش اشارة اليه * ومعول عليه * من عادت محاسن دار الطبع بنظره الى شبابها * وصارت في قنة عز
لا منال لمتناولها * من لا تزال عليه أخلاقه باللطف تثني * حضرة حسين افندي حسني * لا زال للمآثر
الحميدة يجدد * وللمعارف الجليلة يقصد * فيمثل طبع هذا الكتاب تلبس مصر ثوب تيهها واعجابها * وتجر ذيل
خيلائها ومهرجانها * خصوصا طبعه بالمطبعة العامرة * ببولاق مصر القاهرة * ذات الشهرة الباهرة *
والمحاسن الزاهرة * تعلق المستعين بمولاه فيما يعيد ويبدي * عبد الرحمن بك رشدي * ثم ان تهذيبه وتصحيحه *
وترصيع جوهره وتنقيحه * البعض بمعرفة خاتمة المحققين * وسيد المدققين * الشيخ محمد قطة العدوي
فسح الله تعالى له في قبره * ورزقه في الجنان أكبر مزيد من خيره * والبعض الآخر بمعرفة الفقير الى الله
سبحانه محمد الصباغ * أسبغ الله عليه نعمه أتم اسباغ * وفاح مسك ختامه *
وتم سلك نظامه * أواخر جمادى الثانية * من العام المشار اليه
في الابيات الماضية * من هجرة سيد الكائنات * عليه
أزكى صلوات وأبهى تحيات * ما هبت
نسمات * وهدأت
حركات